الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة
مركز تحقيق التراث

الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة

لابن ظهيرة

تحقيق

مصطفى السقا • كامل المهندس

مطبوعات دار الكتب

١٩٦٩

اهداءات ٢٠٠١
المرحوم/ محمد راغب عباس
وكيل وزارة الثقافة سابقا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد :

فقد قرر " مركز تحقيق التراث القومى ونشره " ، بمناسبة " ألفية القاهرة " ، نشر طائفة من أمهات الكتب الخاصة بتاريخ القاهرة وخططها ، فكان مما كلفنا به تحقيق كتاب « الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة » لابن ظهيرة .

وابن ظَهِيرة — أو ظُهَيْرة — علم على أسرة مكية من بنى مخزوم ، عرف منها غير واحد من الحفاظ والفقهاء والقضاة والمحدثين فى القرنين التاسع والعاشر للهجرة . وقد ترجم لهم السخاوى فى " الضوء اللامع " ، والسيوطى فى " نظم العقيان " ، والمحبى فى " خلاصة الأثر " . غير أن ابن ظهيرة يذكر فى مقدمته للفضائل الباهرة أن مولده ومنشأه قريب من البلاد المقدسة من أرض الشام ، وأن أصول آبائه الأقدمين من أرض مصر والشام وإن كانت إلى الشام أقرب . وأشهر أبناء ظهيرة :

(١) أبو السعادات جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن ظهيرة المخزومى (٧٩٥ — ٨٦١ هـ ، ١٣٩٣ — ١٤٥٧ م) .

(٢) أبو الطيب محب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين (٨٢٥ — ٨٨٥ هـ — ١٤٢٢ — ١٤٨٠ م) .

(٣) أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن محمد ... بن عطية بن ظهيرة (٨٢٥ — ٨٩١ هـ — ١٤٢٢ — ١٤٨٦ م) .

(٤) جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين محمد بن أبى اليمن بن أبى بكر بن على ... ابن ظهيرة (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ — ١٥٧٨ م) .

(٥) على بن جار الله محمد بن محمد بن أبى اليمن (المتوفى سنة ١٠١٠ هـ — ١٦٠١ م) .

وقد اختلف فيمن يكون ابن ظهيرة صاحب الفضائل الباهرة من بين هؤلاء .

فمن قائل : إنه من علماء القرن العاشر للهجرة . و يؤيد هـذا الرأى أن المؤلف انتهى فى ذكر حكام مصر إلى سنة ٩٨٢ هـ ، وهى السنة التى تولى فيها السلطان مراد ، فابن ظهيرة هنا ، إذا ، جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ) أو ابنه على (المتوفى سنة ١٠١٠ هـ) ، ولكن كيف أوفق بين هـذا وبين تلمذة المؤلف للقـريزى (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ)، فإنه كلما اقتبس من الخطط المقريزية وصف المقريزى بأنه شيخه ، فتتلمذ ابن ظهيرة للقريزى لا بدّ أن يكون فى سنة ٨٤٥ هـ أو قبلها، وإذا سلمنا جدلا أن ابن ظهيرة هو جمال الدين محمد بن محمد بن نور الدين بن أبى بكر بن على — كما جاء فى فهرس التاريخ بدار الكتب جـ ٥ ص ٢٨٩ — ، وأنه تتلمذ على المقريزى، حتى فى السنة التى توفى فيها، وأن سن جمال الدين كانت وقتئذ حوالى العشرين، فمعنى هذا أنه عاش ٧٥ سنة فى القرن التاسع، و ٨٦ سنة فى القرن العاشر للهجرة، وهذا غير محتمل عادة . أضف إلى هذا أن مؤلف " الفضائل الباهرة " لم يشر ، من قريب أو بعيـد ، إلى عالم من علماء القرن العاشر للهجرة ، اللهـم إلا الشيخ زكريا الأنصارى (٨٢٣ — ٩٢٦ هـ) فقـد توفى فى القرن العاشر ، و إن كان قد قضى معظم حياته فى القرن التاسع للهجرة . ألا يجوز — إذا — أن يكون مؤلفنا من علماء القرن التاسع، وأن واحدا من أبناء ظهيرة أكمل الجزء الخاص بحكام مصر حتى أوصله إلى السلطان مراد بعـد وفاة ابن ظهيرة المؤلف؟ ويؤيد هذا الاحتمال أنه كتب بهامش نسخة باريس، بخط غير خط النسخة، نبذة عن السلطان محمد الغازى، وابنه السلطان أحمد — هذا ما أرجحه .

و إذا وصلنا إلى أن مؤلف الفضائل الباهرة من علماء القرن التاسع للهجرة فهو إما أن يكون :

(١) أبا السعادات جلال الدين محمـد بن محمـد بن الحسين بن ظهـيرة المخزومى (٧٩٥ — ٨٦١ هـ) .

أو (٢) أبا الطيب محب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين (٨٢٥ — ٨٨٥ هـ) .

أو (٣) أبا إسحاق برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن محمد بن حسين بن على بن عطية ابن ظهيرة (٨٢٥ — ٨٩١ هـ) .

فأما أبو السعادات ، فلا يحتمل عادة أن يكون تلميذا للقريزى ، لأن الفـرق بين سنتى وفاتهما ١٦ سنة فقط .

وأما الاثنـان الآخران فقد اتصلا بالمقريزى فى مكة أو فى القاهرة ، وأجازهما ، وقد ارتحل الثانى منهما إلى مصر مرتين : الأولى فى سنة ٨٥١ هـ ، والثانيـة فى سنة ٨٥٣ هـ (أى بعد وفاة المقريزى بست سنوات فى الأولى ، وثمان سنوات فى الثانية) (انظر السخاوى : "الضوء اللامع" جـ ١ ص ٩٨،٨٨ وجـ ٢ ص ١٩١ مطبعة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ) كما أنه لازم والد جلال الدين السيوطى (المتوفى سنه ٨٥٥ هـ) بمكة والقاهرة ، وتخرج به فى الفقه والأصول ، وأنه كان يحمل جلال الدين على كتفه وهو صغير ("نظم العقيان" للسيوطى ، المطبعة السورية الأمريكية بنيو يورك ص ١٧) .

ومن هـذا يتضح أن صلة أبى اسحاق بمصر أوثق ، وتأليفه فى تاريخها وخططها أكثر احتمالا ، غير أنى لا أستبعد أن يكون أبو الطيب محب الدين أحمد مؤلفَ الكتاب .

وأما التاريخ الذى ألفت فيه "الفضائل البـاهرة" فقد وردت فى نسخة باريس — فى « فصـل ملخص من كلام ابن زولاق » — عبارة يفهم منها أن ابن زولاق توفى سنة ٣٨٩ هـ ، (وأغلب المراجع على أنه توفى سنة ٢٨٧ هـ) ، وأنه مضى على وفاته عند تأليف هذا الكتاب ، أو الفصل الذى وردت فيه هذه العبارة على الأقل ، ٤٨٢ سنة ، وعلى هذا يكون الكتاب أو الفصل قد وضع سنة ٨٧١ هـ .

« والفضائل الباهرة » رتبها مؤلفها على مقدمة وتسعة عشر فصلا وخاتمة ، فى ذكر مبدأ مصر وأول أمرها ، وذكر حدودها ، وذكر ملوكها وحكامها من قبـل الطوفان إلى زمن السلطان مراد فى الدولة العثمانيـة ، وكور مصر (محافظاتها ومراكزها) ، وماورد فى فضل مصر من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، ودعاء الأنبياء لمصر وأهلها ، ووصف العلماء لها ، ومن ولد بها من الأنبياء والحكماء والملوك والعلماء ، وذكر فتوح مصر ، وما بها من ثغور الرباط والمساجد الشريفة ، ووصف من كان بها من العلماء والحكماء وعدة خُلجُها ، وخراجها

فى الجاهلية والإسلام، وما اختصت به مصر من مأكول وملبوس ومشروب، ملخصا من خطط ابن زولاق وتاريخه الكبير، وعجائب مصر وغرائبها، وذكر مقاييسها، وذكر القاهرة بالخصوص، وذكر محاسن مصر الكلية الجامعة، وذكر ما اختصت به مصر والقاهرة.

أما الأصول التى اعتمدنا عليها فى تحقيق هذا الكتاب فهى :

(١) نسخة خطية بقلم معتاد كتبت سنة ١١١٤ هـ، وأوراقها ٨٣ ورقة من القطع الصغير، ورقمها بدار الكتب ١٤٦٠ تاريخ.

(٢) نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة خطية بمكتبة رفاعة بسوهاج، مكتوبة سنة ١١١٨ هـ، وبها ١٠١ لوحة، كل لوحة ذات شطرين، ورقم الصورة بدار الكتب ٥٥٦٠ تاريخ.

(٣) ميكروفيلم للنسخة الخطية بالمكتبة الوطنية بباريس، فى ١٤٨ لوحة، كل لوحة غالبا ذات شطرين، وعلى صفحة العنوان تمليكان : أحدهما باسم مصطفى ابن محمد المشهور بنوزدق زاده بتاريخ ١٧ شعبان المعظم يوم الجمعة سنة ١٠٦١هـ، والثانى باسم الفقير إبراهيم كتخدا الأستاذ الأعظم البكرى، ورقمه بدار الكتب ٣١٥٢ ميكروفيلم.

(٤) نسخة رابعة بخط عبد الوهاب محمد زرنبة، نقلها عن نسخة سوهاج الخطية سنة ١٣٥٤ هـ، ورقمها ٥٥٨٣ تاريخ.

أما نسخة سوهاج فهى أكمل النسخ وأقربها إلى الصحة برغم أنها ليست أقدمها، ولذلك اعتبرناها أصلا، ورمزنا لها بالحرف (ا).

وأما نسخة دار الكتب الخطية فتكاد تكون ملخصا لكل من نسختى سوهاج وباريس، وإن كانت تلى نسخة سوهاج فى الصحة، ولهذا رمزنا لها بالحرف (ب).

وأما نسخة باريس فبرغم أنها أعانتنا فى حل الكثير من المشاكل التى صادفتنا فى التحقيق، وأضافت أجزاء هامة ساقطة من (ا) و(ب)، وأنها أقدم النسخ التى بين أيدينا — برغم كل هذا فإنها أقل النسخ من ناحية الصحة وأكثرها تكرارا؛ لهذا رمزنا لها بالحرف (ج)

وتتفق (ا) و (ج) فى مقدار الفصول وترتيبها ، أما (ب) فقد ضمت فصل " عجائب مصر وغرائبها " (من لوحة ٦٦ حتى لوحة ٨٢ فى أ) إلى فصل "من ولد بمصر" (من ورقة ٣١ حتى ورقة ٤٨ فى ب) ، كما وضعت " فصـل فى ذكر المقاييس " بين فصلى " من ولد بمصر " و " فتـوح مصر " ؛ وهو فى (ا) و (ج) بين فصـلى " عجائب مصر وغرائبها " و " ذكر القاهرة بالخصوص " . وقد وضعنا ما فى (ا ، ج) من زيادات عن (ب) بين قوسين مستديرين .

وابن ظهـيرة يقتبس فى كتابه من كلام من تقـدموه من رواد الخطط المصرية وتاريخ مصر الإسلامية كابن عبد الحكم (المتوفى سنة ٢٥٧هـ)، ومحمد بن يوسف الكندى(المتوفى سنة ٣٥٠ هـ) ، وابن زولاق (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ) ، والقضاعى (المتوفى سنة ٤٥٤ هـ)، وخاصة شيخه تقى الدين المقريزى (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ) .

وقد رجعنا فى تحقيقنا إلى جميع الموجود من كتب هؤلاء : " فتـوح مصر وأخبارها " لابن عبد الحكم ،"ولاة مصر وقضاتها وفضائلها" للكندى ،و"فضائل مصر" لابن زولاق، و " المواعظ والاعتبار " للقريزى ، بالإضافة إلى الكثير من كتب التراجم ومعاجم البلدان واللغة العربية ، وخاصة "لسان العرب" لابن منظور و "تاج العروس" للزبيدى .

ولم يفتنا أن نرجع كذلك إلى بعض المعاصرين للؤلف ومن برزوا بعده من كتاب الخطط المصرية وتاريخ مصر الإسلامية، كالسيوطى فى "حسن المحاضرة"، وعلى مبارك فى " الخطط التوفيقية " ، ومحمد رمزى فى " القاموس الجغرافى " .

"والفضائل الباهرة" تعتبر بمثابة مختصر لخطط المقريزى إذا استثنينا الفصلين الأخيرين منهـا ، فإنهما من ابتكار مؤلفهـا ، ونعنى بهما " ذكر محاسـن مصر الكلية الجامعـة " و " ذكر ما اختصت به مصر والقـاهرة " ، غير أن الأهميـة البالغة لهـذا الكتاب تبـدو فى الاقتباسات العديدة التى استقاها من مراجع لا أثر لهـا فى الوجـود الآن ، وذلك كخطط الكندى ، " وتاريخ مصر الكبير "، " وخطط مصر " وكلاهما لابن زولاق ، و " خطط مصر " للقضاعى ، وغيرها .

ولقد جرى ابن ظهيرة فى كتابه على عادة المكيين من إهمال الهمزة فى الرسم ، فهو يهملها إن كانت مفردة ، وإن كانت على واو أو ياء رسمت الواو أو الياء مجردة من الهمزة .

وبعـــد :

فنرجو أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق فى إنجاز أول كتاب لمركز تحقيق التراث القومى ونشره . ولا يفوتنى أن أشكر من عاوننا من طلاب المركز المذكور فى البحث أثناء التحقيق .

ولقد كان المتفق عليـه أن يقوم بكتابة هـذه المقدمة صديق الشـباب أخى وشريكى فى تحقيق هذا الكتاب المرحوم الأستاذ مصطفى السقا ، ولكن المنية عاجلته ، فحرمتنا تتويج هـذا الكتاب بأسلوبه الرصين وفكره الثـاقب ، ولقد كان لى من توجيهاته النـيرة وتجاربه الواسعة وعلمه الغزير خير هاد فى تغلبى على العديد من الصعاب أثناء التحقيق .

تغمد الله فقيدنا العظيم بواسع رحمته ، وألهمنا جميعا فى فقده الصبر ،،

كامل المهندس

(مارس ١٩٦٩)

المراجـــع والرموز

المرجع	الرمز
أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول — للاسحاقى، طبعة مصطفى البابى الحلبى (١٣١٠ هـ)	ح
الاستيعاب فى معـرفة الأصحاب — لابن عبد البر، أربعة أقسام فى أربعة مجلدات طبعـة (١٩٦٦)	ر
الإصابة لابن حجر : ثمانية مجلدات ١، ٢ مطبعة السعادة، ٣ــ٨ الشرفية سنة ١٩٠٧	إص
الأعلام للزركلى (طبعة ثانية) — عشرة مجلدات	ع
تاج العروس للزبيدى	ت
الجامع الصغير للسيوطى، طبع دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٣٠ هـ	سج
حسن المحاضرة للسيوطى — المطبعة الشرفية جزءان فى مجلد	سح
حلية الكميت للنواجى مطبعة إدارة الوطن سنة ١٢٩٩ هـ...	حل
خريدة القصر للعماد الأصفهانى — لجنة التأليف والترجمة والنشر جزءان ١ــ٢ (١٩٥١)	خر
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى اسماء الرجال للخزرجى — طبع بولاق سنة ١٣٠١ هـ	خز
الدرر الكامنة لابن حجر خمسة مجلدات، طبع دار الكتب العربية الحديثة سنة ١٩٦٦	د ر
صبح الأعشى للقلقشندى	صب
صحيح مسلم — مطبعة عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٥٥ — خمسة مجلدات	م
الطالع السعيد للادفوى — المطبعة الجمالية ١٩١٤	ف
الطبقات الكبرى لابن سعد — ثمانية مجلدات طبع دار صاعد بيروت ١٩٥٧ــ١٩٦٠	ط
فتوح مصر وأخبارها — لابن عبد الحكم طبع ليدن ١٩٢٠	ك
فضائل مصر وأخبارها وخواصها — لابن زولاق خـط بدار الكتب تحت رقم ٣٥٩١ تاريخ	زو
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (مجلدان)	فو

الرمز

القاموس الجغرافى لمحمد رمزى قسمان فى خمسة مجلدات — دار الكتب المصرية
سنة ١٩٥٣ — ١٩٦٣ ... ... ق

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى للمستشرق زامباور — مطبعة
جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ ... ... ز

معجم البلدان — لياقوت — ستة مجلدات طبع طهران سنة ١٩٦٥ ... ... ب

المواعظ والاعتبار (الخطط) — للمقريزى مجلدان طبع بلاق سنة ١٢٧٠ هـ . خ

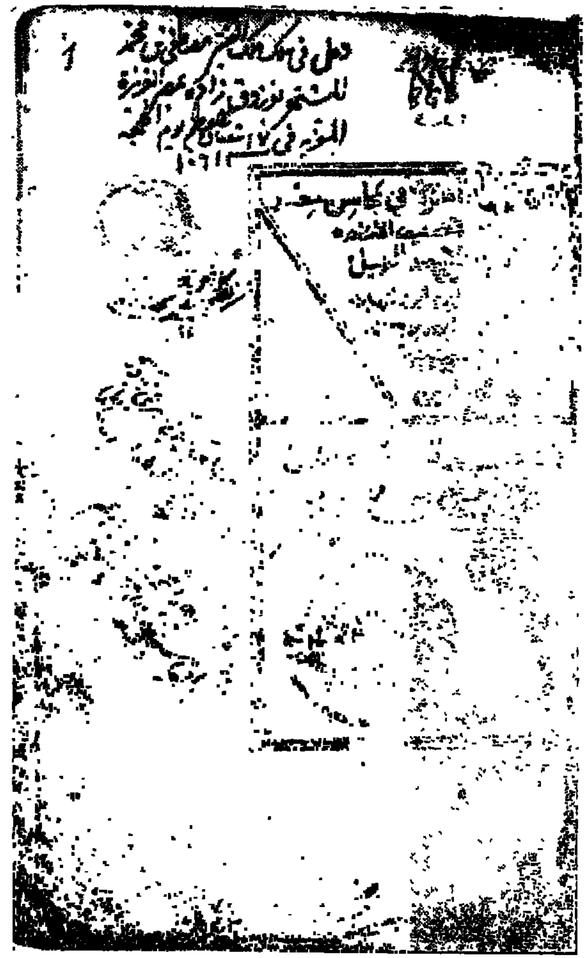
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى طبع دار الكتب المصرية ... ... ن

الوافى بالوفيات — للصفدى — الثلاثة الأولى طبع والباقى مصور ... ... واف

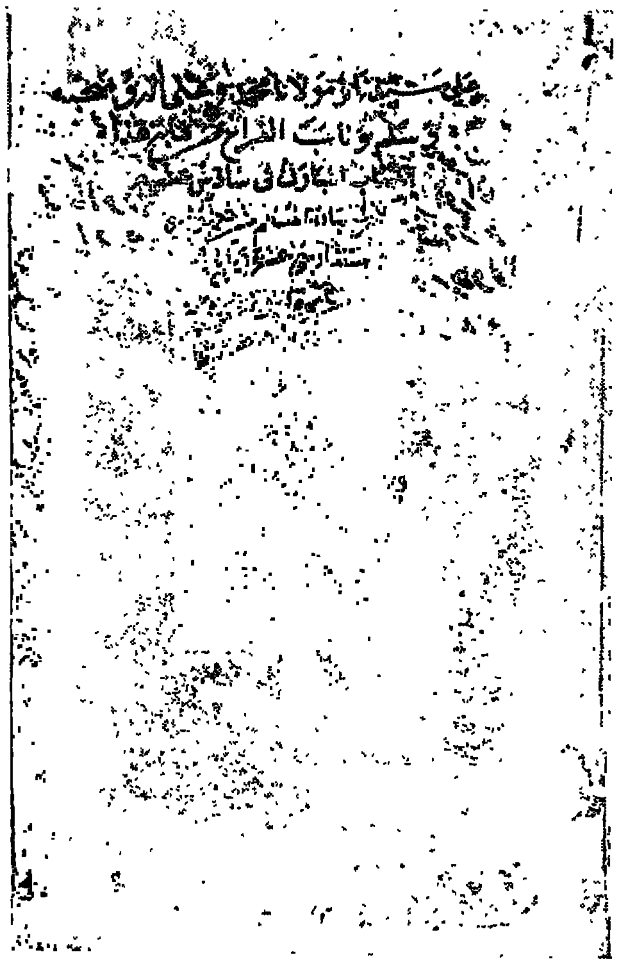
وفيات الأعيان لابن خلكان (١ — ٦) مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ و

ولاة مصر — للكندى — طبع بيروت ١٩٥٩ ... ... ل

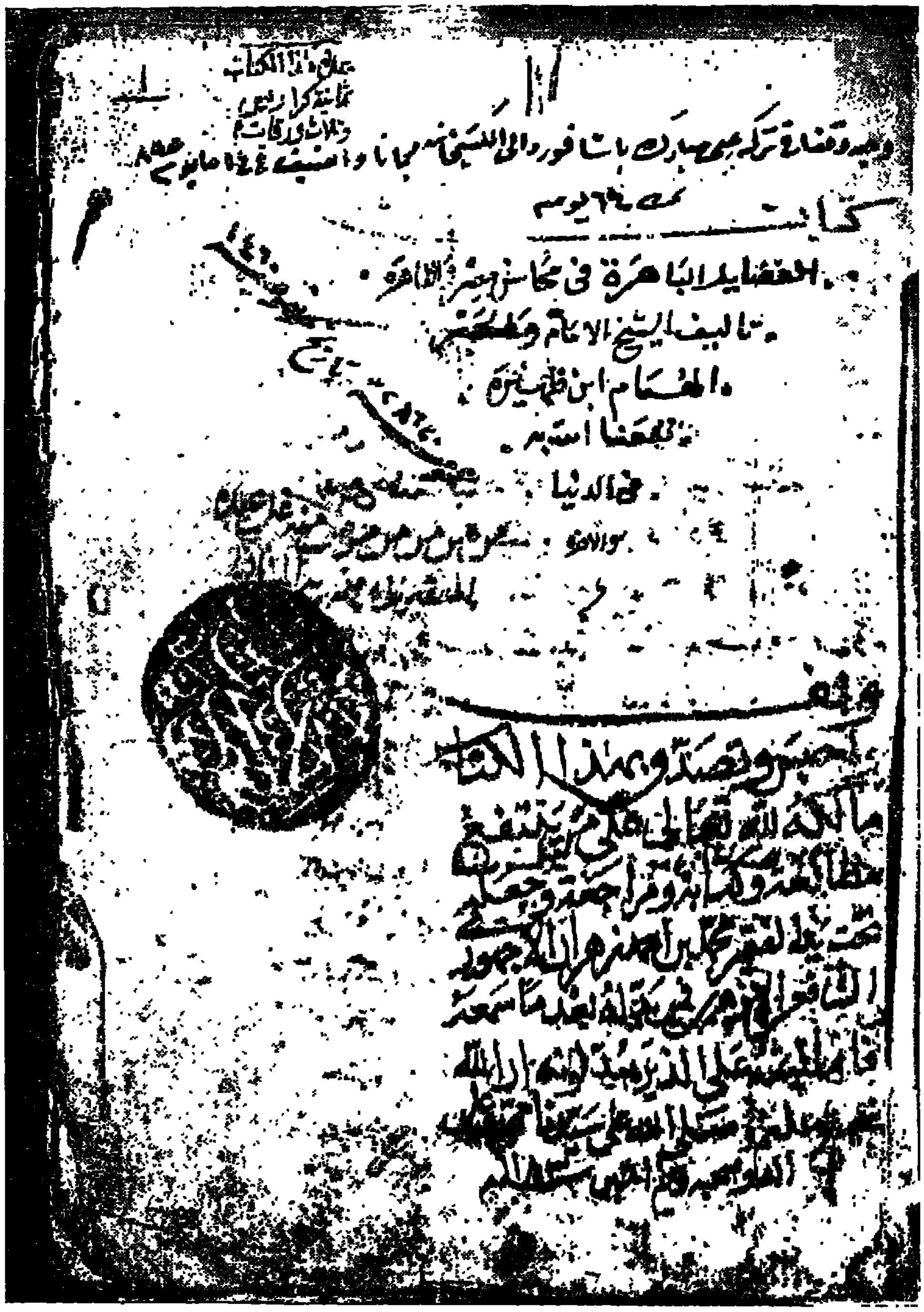
فصـــول الكتاب



صورة صفحة الغلاف من نسخة باريس من مخطوطة " الفضائل الباهرة "



صورة الصفحة الأخيرة من كتاب " الفضائل الباهرة لابن ظهيرة "
والأصل محفوظ بمكتبة رفاعة بسوهاج



صورة لصفحة العنوان من مخطوطة دار الكتب المصرية لكتاب
" الفضائل الباهرة لابن ظهيرة " المكتوبة سنة ١١١٤ هـ .

[مقـــدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فاوت بين البلاد فى فضلها وصفاتها ، وجعل لكل منها مزايا مختصة بها ، دون أخواتها ، وذلك من بديع حكمته الباهرة فى ذاتها ، لئلا تجتمع الناس على بلدة واحدة ، بتعطيل أخواتها ، فأودع فى قلوبهم حُبَّ الأوطان لعِماراتها ، وجعله الشارع من الإيمان لعنـاياتها .

وصلى الله على سيدنا (محمد) عبده ورسوله ، الذى ببركته أقيلت النفوس من عثراتها[1] ، (وأوقظت عيون عباده من سِنة) غفلاتها[2] ، وعلى آله وأصحابه صـلاة نفوز يوم القيامة — إن شاء الله تعالى — بجزيل صِلاتها ، وسلَّم .

وبعـد فقد[3] أكثر الناس فى المفاضلة بين مصر والشام ، ولم يزالوا يلْهَجون بها قديمـا وحديثا ، فاشية بين أهل البـلدين ، وللناس فى ذلك كلام كثير ، من نظم ونثر ، وأخبـار الإقليمين — بحمد الله تعالى — معروفة مشهورة ، قد صنف فيها كتب كثيرة مفيدة ، وتواريخ عديدة . وفصل الخطاب بين البلدين : أنه لا مفاخرة بينهما فى الفضل الأخروىّ ، وشرف البِقاع ، كما دلَّ عليه النصوص من الكتاب والسنة ، وأقاويل الأئمـة[4] ، كيف [لا] وبلاد الشام مواطن الأنبياء ومدافنهم ، وبهـا الأرض المقدّسة (والرباط للجهاد لا بد منجسه) ، ولم يثبت أنه دفن بأرض مصر نبىّ ؛ ولكن المفاخرة تقع فيما عدا ذلك من الخصائص الإلهية ، (ومن الأمور الدنيوية ، والمحاسن الأخروية والكمالات الإنسانية) ؛ ولقد أحسن القاضى

---

(١) فى الأصل (ب) : أقيلت النفوس على عثراتها ، وفى (جـ) : أقيلت النفوس من عثراتها .

(٢) ساقطة من (أ) ومذكورة فى (جـ) .

(٣) فى كل من (أ ، ب ، جـ) : « فلما » بدلا من فقـد ، واستدرك بعض العلماء على هـذه العبارة بهامش (ب) بقوله : لم يأت السجواب ، ولعلها محرفة ، وصوابها « فقد » .

(٤) الأمة فى (أ ، ب ، جـ) .

الفاضل[١] حيث قال : « إن دمشق تصلح أن تكون بستانا لمصر » ؛ ولا شك أن أحسن ما فى البلاد البساتين، فحسبها بهذا الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار[٢] .

ولقد سألنى بعض الإخوان (فى هذا الزمان) فى جمع شىء يتعلق بذلك ، فشرعت فى جمع فصول ملخصة مفيدة ، تشتمل على فوائد عديدة ، وغرائب مَزيدة، وأطراف وطُرف ، (وعيون) وتحف ، أذكر فيها — إن شاء الله تعالى — ما اشتمل عليه إقليم مصر من مبتدأ[٣] أمره، وأسماء ملوكه ، وفضائله وعجائبه ، ومحاسنه وغرائبه ، وما اختص به هو وأهله عن سائر بلاد الله تعالى العامرة، ومحاسن مصر والقاهرة بالخصوص، وترجيحها على غيرها بالنصوص، وبعض ما قيل فى ذلك من منظوم ومنثور، مما وقفت عليه واستحسنته . وكل ذلك إن شاء الله تعالى مع العدل والإنصاف، والخلو من التعصب والاعتساف، فإن لى بالإقليمين أصلا أصيلا، وعرقا صالحا نبيلا . لأن مولدى ومنشئى قريب من البلاد المقدّسة من أرض الشام، و (أصل) أصول آبائى القديمة من أرض مصر والشام، وإنى وإن كنت إلى الأخيرة أقرب فالرجوع إلى الحق أوجب ، وذكر الفضائل للنفوس السليمة أطلب[٤] .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال[٥] : « أربعة لا تشبع من أربع : عين من نظر ، وأنثى من ذكر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر » .

وجميع ما ذكرته فى هذا الجمع قطرة من بحر، ونفثة من صدر، (ينبغى أن[٦] يعلم) ويحفظ ويفهم ، مرتب — بحمد الله تعالى — فى أيام قليلة مع شَغْل الخاطر من أبدان عليلة . يتنزه فيه الناظر، وينشرح بمطالعته الخاطر، وتنبسط النفوس بذكره فى المجالس ، ويتفكه به السامع والجالس .

(١) هو عبد الرحيم بن على بن السعيد اللخمى البيسانى ، المعروف بالقاضى الفاضل (٥٢٩ — ٥٩٦ هـ) . من وزراء السلطان صلاح الدين ، وكان سريع الخاطر فى الإنشاء : كثير الرسائل (ع ٤ : ١٢١) .

(٢) والأبكار فى (ا ، ب) ، والأبصار فى (جـ) .

(٣) فى (ب) تبيان أمره .

(٤) فى (ب) أطيب ، وفى (ا ، جـ) أطلب .

(٥) حديث ضعيف (مج ١ : ٣٧) .

(٦) فى الأصل (ا) : لكل من يتعلم .

وسميته : « الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة » ، وانحصر فى مقدّمة وفصول .
فالمقدّمة فى الحث على سكنى الأمصار العظام ، والترغيب فيها ، وحب الوطن .

عن علىّ كرم الله وجهه قال : « اسكنوا الأمصار العظام ، فإنها جِماعُ(١) المسلمين ، واحذروا منازل الغَفْلة(٢) والجفاء وقلة الأعوان على طاعة الله تعالى ؛ وإياكم ومتابعة الأسواق ، فإنها محاضر الشيطان ، ومعارض الفتن » .

وكان كسرى أنو شروان يقول : « لا تنزلَنّ بلدا(٣) ليس فيها خمسة : سلطان قاهر ، وقاضٍ عادل ، وسوق قائمة ، وطبيب عالم ، ونهر جار » .

وروى عن النبىّ — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « من بدا فقد جفا(٤) ، وسكان الكُفور كسكان القبور » .

وحكى عن الإمام الشافعىّ — رحمه الله تعالى — أنه قال : « أحب إلىّ أن أسكن بلدا يخرج منها الأمر ، ولا أسكن بلدا يخرج إليه الأمر » .

وعن عمر — رضى الله عنه — عمران البلاد بحب الأوطان ، وكما أن لحاضنتك حق لبنها ، فلأرضك حُرْمة وطنها .

وعن ابن عباس ، رضى الله عنهما ؛ لو قَنَع الناس بأرزاقهم ، كقناعتهم(٥) بأوطانهم ، لما اشتكى أحد الرزق .

ولما أدركت يوسف عليه السلام الوفاة أوصى بحمل جسده إلى مقابر آبائه ، فمنع أهلُ مصر أولياءه من ذلك ، فلما بُعِث موسى عليه السلام ، وأهلك الله فرعون ، حمله إلى مقابرهم من أرض الشام ، بدلالة عجوز من القبط .

---

(١) جماع كل شىء : مجتمع أصله .
(٢) فى (جـ) : وتقاعد .
(٣) بلد : مذكر ، وقد يؤنث (المصباح المنير للفيومى) .
(٤) بدا : أقام فى البادية ، وجفا غلظ خلقه ، وساء خلقه .
(٥) فى الأصل (أ) : وأحبوا أوطانهم ، وفى (جـ) قناعتهم بأوطانهم .

قالوا : فقبر يوسف — عليه السلام — بقرية تسمى «
كذا حكاه الزمخشرى[(٢)] فى « ربيع الأبرار » .

وقال المسعودى[(٣)] فى كتاب « مروج الذهب » : قبض الله تعالى
وله مئة وعشرون سنة ، وجعل فى تابوت من الرخام ، وسُدَّ بالرص
المانعة من الهواء والماء ، وطُرِح فى مصر نحو مدينة « منف »[(٤)] ؛
انتهى .

ومات فى زمن[(٥)] دارم بن الريان .

قلت : وقد اشتهر (أن) قبره عليه السلام خارج سور بلد جده « ا:
من جهة الغرب ، وهو ظاهر هناك معروف ، وعليه نُصْبه[(٦)] مكتوب علي

ولما أشرف الإسكندر على الوفاة أوصى أن تُحمل رِمَّته فى تابوت
الروم ، حبا لوطنه . وكانت العرب إذا سافرت حملت معها من تر
ريحه وتَسْتَفُّه[(٧)] وتشربه فى الماء ، لتتداوى به من تغير الماء والهواء . و

---

(١) حامى فى (أ ، ب) ، وفى (جـ) كامى ، ولم نوفق لتحديد هذين المكانين ؛
الآن أن قبور ابراهيم و يعقوب و يوسف عليهم السلام فى غار أقيم فوقه المسجد الابراهيمى
أو كامى اسم قديم لمدينة الخليل .

(٢) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ... الخوارزمى الزمخشرى (٤٦٧ — ٨
فى التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ، ومن تصانيفه : « الكشاف » فى تف
فى تفسير الحديث ، و « أساس البلاغة » فى اللغة ، وغير ذلك (و ٤ : ٢٥٤) ، و (ع

(٣) المسعودى : هو أبو الحسن على بن الحسين بن على (المتوفى سنة ٣٤٥ أو س
رحالة ، من ذرية عبد الله بن مسعود ، وله كتاب : « مروج الذهب ، ومعادن الجو
فى أخبار الأمم من العرب والعجم » وغيرهما ، بغدادى الأصل ، وأقام بمصر مدة ، وتو
و (ع ٥ : ٨٧) .

(٤) منف : اسم مدينة فرعون بمصر ، وأصلها باللغة القبطية مافه أى مدينة الثلاثين
منف . وكانت عاصمة مصر بعد الطوفان ، كما كانت من أعمال الجيزية غربى النيل ،
من الفسطاط (ب ٤ : ٦٦٧ — ٦٦٩) ، و (خ ١ : ١٣٤) . (٥) هو فرع

(٦) ما يقام من بناء ذكرى لشخص أو حادثة . (٧) تشربه

أن غسّان[1] بن عباد مرض حين وُلّى الرّقة[2] ، فما كان ينجع فيه الدواء ، فقال له طبيبه : يا أبا عُبادة : سببه تغير الهواء ، فبعث إلى « بغداد » ، فحمل الهواء فى جُرُب ، فكان يفتح كل يوم فى وجهه جرابا ، حتى برِئ .

(١) فى (ب) أدعسان أو أرعسان بن عبادة . وفى (أ) عسان بن عبد الله وفى (ح) : غسان بن عبادة ، فهو إما غسان بن عباد (أو عبادة) ، وإما غسان بن عبد الله ، فأما الأول فقد كان نائبا للحسن بن سهل ، أحد ولاة العباسيين فى نيسابور سنة ٢٠٢ هـ (ز : ٧٨) ، كما كان أحد عمال الخلفاء العباسيين ببلاد السند سنة ٢١٣ هـ (ز : ٤١٦) . وأما الثانى فقد كان أحد الولاة الإباضيين بعمان من بنى جلندى أو عمارة سنة ١٩٢ هـ (ز ١٩١) .

وإذ أن وطن الأول بغداد فنرجح أن المقصود غسان بن عباد أو عبادة ، وإن كنا لم نوفق إلى أنه كان واليا للرقة .

(٢) مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حرّان ثلاثة أيام ، معدودة فى بلاد الجزيرة ، لأنها فى جانب الفرات الشرقى (ب ٢ : ٨٠٢) .

[فصل فى ذكر مبدأ مصر[1] وأول أمرها]

حكى القضاعى[2] عن ابن لَهِيعة[3] : أن أول من سكن مصر " بَيْصر " بن حام بن نوح عليه السلام، بعد أن أغرق الله قومه . وأول مدينة عُمِّرت بمصر « مَنْف »، فسكنها بيصر بولده، وهم ثلاثون نفسا، منهم أربعة أولاد قد بلغوا وتزوّجوا وهم : "مِصر"، "وفارِق"، " وماح "، " وياح " . وكان " مصر " أكبرهم، وهو من جملة من كان مع نوح عليه السلام فى السفينة، فدعا له .

وأصل منف بالقبطية مافَه[4] وتفسيرها : ثلاثون، وكانت إقامتهم قبل ذلك بسفح الجبل « المقطم »، ونَقَروا هناك منازل كثيرة . وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر هذا أن يسكنه الله الأرض المقدسة الطيبة المباركة، التى هى أم البلاد، وغوث العباد، ونهرها أفضل الأنهار، فسأله عنها، فوصفها له . وكان بيصر بن حام قد كَبِر وضعف، فساقه ولدُه مصرُ وجميع إخوته إلى مصر، فنزلوها، وبذلك سُمِّيت مصر، وهو اسم لا ينصرف، لأنه مذكر سميت به هذه المدينة، فاجتمع فيه التأنيث والتعريف، فمَنَعَاه الصرف، ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها السُّفّار[5] مصر، فإذا أريد مصر من الأمصار صرف، لزوال إحدى العلتين، وهى التعريف .

---

(١) العنوان فى (ب) أول من سكن مصر، وفى (أ) فى ذكر مبدأ مصر وأول .

(٢) القضاعى : هو أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر ... القضاعى الفقيه الشافعى (المتوفى سنة ٤٥٤ هـ)، تولى القضاء بمصر، وله عدة تصانيف، منها : «الشهاب» و «تواريخ الخلفاء» و «خطط مصر»، وقد اطلع عليه السيوطى بخطه، ونقل عنه (ر ٣ : ٣٤٩)، (ع ٧ : ١٦) .

(٣) ابن لهيعة : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن فرعان بن عقبة ... الحضرمى الغافقى المصرى (٩٧ — ١٧٤ هـ)، كان مكثرا من الحديث والأخبار والرواية، قال الإمام أحمد بن حنبل : ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة، وقال سفيان الثورى : عند ابن لهيعة الأصول، وعندنا الفروع .
وهو أول قاض ولى القضاء بمصر من قبل الخليفة مباشرة، وأول قاض حضر لنظر هلال رمضان، واستمر القضاة عليه للآن . (ر ٢ : ٢٤٢)، (ع ٤ : ٢٥٥) »

(٤) فى الأصلين (أ، ب) منافة، وقد تقدم أن أصلها مافة فى معجم البلدان، والخطط، والقاموس الجغرافى .

(٥) السفار : المسافرون .

والمصر فى كلام العرب : الحد الفاصل بين الأرضين ، وأهل "هجر"(١) يقولون : اشتريت الدار بمصورها ، أى بحدودها . (وقال الجاحظ(٢) فى كتاب « مدح مصر » : « إنما سميت مصر بمصر ، لمصير الناس إليها واجتماعهم بها ، كما سُمى مَصير الجوف مَصيرا ومُصْرانا ، لمصير الطعام إليه ... ») .

قال ابن لهيعة : « حاز مصرُ بن بيصر » لنفسه ما بين الشجرتين اللتين بالعريش إلى أسوان طولا ، ومن بُرقة(٣) إلى أَيْلة(٤) عرضا . وحاز « فارق » لنفسه ما بين برقة إلى « إفريقية » فكان ولده الأفارقة ، وبه سميت إفريقية ، وذلك مَسيرة شهر . وحاز « ماح » ما بين الشجرتين ، من منتهى حدّ « مصر » إلى الجزيرة ، مسيرة شهر ، وهو أبو نَبَط الشام . وحاز « ياح » ما وراء الجزيرة كلها مما بين البحر إلى الشرق ، مسيرة شهر ، فهو أبو نَبَط العراق . ثم توفى « بيصر بن حام » ، ودفن فى موضع دير أبى هُرمس(٥) ، غربى الأهرام ، يقال إنها أول مقبرة دفن بها بأرض مصر .

ثم كثرت أولاد بَيْصَر ، فكانت الأكابر هم : قِفْط ، وأَتريب ، واشمنُ ، وصا . والقبط : من ولد مصر هذا . ويقال إن قبطا أخو قِفط ، وهو بلسانهم قفطيم وقبطيم ومصريم) .

---

(١) كانت قصبة بلاد البحرين . (٢) الجاحظ : هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى المعروف بالجاحظ (١٦٣ — ٢٥٥ هـ) ، صاحب التصانيف فى كل فن ، ومن أحسنها كتاب « الحيوان » و « البيان والتبيين » ، وهى كثيرة جدا ، تلميذ النظام المتكلم المشهور ، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة (و ٣ : ١٤٠) و (ع ٥ : ٢٣٩) . والعبارة من أول « قال الجاحظ » إلى « قال ابن لهيعة » مضطربة محرفة فى الأصل (أ) ، وساقطة من (ب) ، وقد اعتمدنا فى تصحيحها على ما جاء فى المقريزى (خ ١ : ٢١) .

(٣) برقة : اسم اصقع كبير ، يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية ، وكان اسم مدينتها انطابلس ، ومعناها المدن الخمس ، وجغرافيو العرب يطلقون عليها إقليم برقة ، وبعضهم يظن أن برقة أو انطابلس اسم لمدينة ، والصواب أنها اسم لإقليم . وأما القرية التى يطلقون عليها اسم برقة فهى قرية المرج الواقعة بين مدن انطابلس الخمس فى منطقة أراضى الجبل الأخضر بإقليم برقة (ق ١ : ١٣٣) .

(٤) أيلة : بلدة فى أول حدود الحجاز من جهة مصر ، وقد خربت سنة ٤٥٩ هـ فى زلزلة (خ ١ : ١٨٤) . وهى الآن فى شمال خليج العقبة فى الحدود بين مصر وشرق الأردن ، ويقال لها عقبة أيلة ، كما يطلق عليها الآن اسم إيلات . (ق ١ : ١٣٦) . (٥) دير أبى هرمس : كان بمنف من أرض مصر ، وعنده هرم قيل إن فيه مدفونا رجلا كان يعد بألف فارس ، وهو غربى الأهرام (ب ٢ : ٧٠٦) و (خ ١ : ١٣٥) .

ويقال إن « مصر » أقطع « قفطا » من قفط(١) إلى اسوان فى الشرق ، وبه سميت . وأقطع « أشمُن » من أشمون(٢) وما دونها إلى «منف» وما فوقها ، إلى حد أسوان فى الغرب وأقطع ابنه الثالث « أتريب » شرقىّ أسفل(٣) الأرض ، وبه سميت كورة أتريب(٤) . وأقطع ابنه « صا » كورة صا(٥) إلى البحر . فكانت مصر أربعة أجزاء ، جزءان بالصعيد . وجزءان بأسفل الأرض » انتهى .

---

(١) قفط : بصعيد مصر الأعلى (من أسوان إلى أسيوط ، والأدنى من أسيوط إلى الفسطاط (خ ١ : ١٤) كانت فى الدهر الأول مدينة الإقليم ، وبدأ خرابها بعد سنة ٤٠٠ هـ ، وآخرما كان فيها بعد سنة ٨٧٠ أربعون مسبكا للسكر وست معاصر للقصب (خ ١ : ٢٣٢) . وكان يغلب على معيشة أهلها التجارة والسفر إلى الهند ، كما كانت رأس طريق القوافل التى تخترق الصحراء العربية بين وادى النيل والبحر الأحمر (خ ١ : ٢٣٢) ، (ب ٤ : ١٥٢) (ق ٤ : ١٧٧) .

(٢) أشمون : مدينة قديمة أزلية ، كانت قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل ، واسمها أشمون ، وأهل مصر يقولون الأشمونين (ب ١ : ٢٨٣) ، وكانت المركز العام لعبادة الآله توت . وقد دثرت الأشمونين القديمة ، ومكانها لا يزال ظاهرا فى التل الواقع بجوار قرية الأشمونين الحالية التابعة لمركز ملوى بمحافظة المنيا (ق ٢ جـ ٤ : ٥٩) .

(٣) المقصود بأسفل الأرض : الوجه البحرى .

(٤) أتريب كانت من كور أسفل الأرض ، مشتملة على ١٠٨ قرية (خ ١ : ١٧٥) وقد بدأ الخراب فى مساكنها من القرن السابع الهجرى ، ثم اندثرت بعد ذلك ، ومكانها اليوم : أحواض تل أتريب الشرقى والبحرى والغربى بأراضى مدينة بنها (ق ٢ جـ ١ : ١٨) ع

(٥) صا : البحيرة والإسكندرية (خ ١ : ١٨٢) ، كانت من كور الحوف الغربى الواقع على جانبى فرع رشيد ، فكان يشمل : كفر الزيات ودسوق وفوه من محافظة الغربية ؛ ومحافظة البحيرة بأكلها ، ثم بلاد لوبيا (صب ٣ : ٣٨٩) ، و(ق ١ : ٥١) .

[فصل فى ذكر حدود مصر]

فالذى يقع عليه اسم « مصر » : من العريش إلى آخر لوبية(١) ومَراقية(٢)، وفى آخر أرضها تلقى أرض أَنْطابُلُس، وهى بُرْقة . ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة أربعين يوما ، وهو ساحل كله على البحر الرومىّ ، وهو بَحْرِىّ(٣) أرض « مصر » ، ومهب ريح الشّمال (منها) إلى القبلة شيئا مّا(٤) ، فإذا بلغت آخر أرض مراقيــة عدت ذات الشّمال ، واستقبلت الجنوب ، وتسير فى الرمل وأنت متوجه إلى القبــلة ، يكون الرمل من مصبه عن يمينك إلى إفريقيّة(٥) . وعن يسارك من أرض مصر إلى أرض الفيوم منها ، وأرض الواحات الأربع ، فذلك غربىّ مصر ، وهو ما استقبلته منــه . ثم تعرج من آخر أرض الواحات ، وتستقبل المشرق سائرا إلى النيل ، تسير ثمانى مراحل إلى النيل ، ثم عد على النيل فصاعدا ، وهو آخر أرض الإســلام هناك . ويليهــا بلاد النوبة ، ثم تقطع النيــل ، فتأخذ من أســوان فى المشرق منكبا عن بلاد أســوان إلى عيــذاب(٦) ساحل البحر الحجــازىّ . فمن أســوان إلى عيذاب خمس عشرة مرحلة ، وذلك كله قبلىّ أرض مصر ، ومهبّ الجنوب منها ، ثم تقطع

---

(١) لوبية : كانت مدينة بين الإسكندرية وبرقة (ب ٤ : ٣٦٨) ، وتطلق الآن على جميع المملكة الليبية ، مع تحريف فى الاسم .

(٢) مراقية : كانت أول بلد يلقاه القاصد من الإسكندرية إلى إفريقية ، وبعده لوبية (ب ٤ : ٤٧٧) .

(٣) يستعمل أهل مصر فى تحديدهم لفظة القبلية بدلا من الجنوبية ، وكذلك يقولون : الحد البحرى ، ويريدون به الشمالى (خ ١ : ١٥) .

(٤) شيئا ما فى (خ ١ : ١٦) ، وفى الأصل شأما .

(٥) إفريقية : قال أبو عبيــد البكرى : حد إفريقية ، طــوله : من برقــة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا ، وعرضها : من البحر إلى الرمال التى فى أول بلاد السودان (ب ١ : ٣٢٤ ، ٣٢٥) .

(٦) عيــذاب : بليدة على ضفة بحر القلزم (البحــر الأحمر) ، ومرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد (ب ٣ : ٧٥١) . وكانت طريق الحج المصرى فى القرون الوسطى يسير إليها الحجاج من قوص ، ثم يجتازون البحــر الأحمر عند عيذاب إلى جدة ، ومنها إلى مكة . وكانت فى أرض مصر بالقرب من الحــد الفاصل بينها وبين السودان (ق ١ : ٣٣٩) .

البحر الملح من عيذاب إلى أرض الحجاز ، فتنزل الحوراء[١] أول أرض مصر، وهى متصلة بأعراض أرض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم) . وهذا البحر المحدود هو بحر القلزم ، وهو داخل فى أرض مصر، بشرقيّة ، وغربيّـه ، وبحريّه . فالشرقى منه أرض الحوراء[١] وطنسه[٢] والنّبك[٣]) وأرض مدين[٤] وأرض أيلة فصاعدا؛ إلى « المقطم » بمصر . (والغربى منه ساحل عيذاب إلى بحر النعام إلى المقطم)[٥] . والبحرى منه مدينة القلزم[٦] وجبل الطور، ومن القلزم إلى الفرما مسيرة يوم وليلة ، وهو الحاجز فيما بين البحرين : بحر الحجاز، وبحر الروم . وهذا كله شرقىّ أرض مصر من الحوراء إلى العريش . (وهو مهب الصبا منها) .

فإن اختصرت فقل : حده طولا من الشجرتين اللتين بين رَفَح والعريش، إلى أسوان، وعرضه من برقة إلى عَقَبة أيلة ، وهى مسيرة أربعين ليلة : ثلاثون ليلة طولا، وعشر ليال عرضا، وهو إقليم عظيم سكنته الجبابرة والفراعنة، وموقعه فى الأقاليم السبعة فى الثالث منها، وهو إقليم كثير الأرض كما سيأتى ذلك مبينا إن شاء الله تعالى .

---

(١) الحوراء : كورة من كور مصر ، فى آخر حدودها من جهة الحجاز ، وهى على البحر شرقى القلزم (ب ٢ : ٣٥٦) . وفى الأصل (أ) الحوار .

والنص من : «وعن يسارك» إلى : «بأعراض أرض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم» ، منسوبا إلى القضاعى ، به بعض السقط والاختلاف عما ورد فى المقريزى (خ ١ : ١٦) ، فلفظة « أرض الإسلام » مثلا كانت فى الأصل (أ) « أرض الشام » .

(٢) فى الأصل (أ) طيبة ، وهذا غير محتمل ، لأن طيبة غربى البحر الأحمر ، ويمكن أن تقرأ فى (خ ١ : ١٦) « طنسه » ، ولم نعثر فى معجم البلدان ولا فى غيره على اسم "طنسة" ، وإنما وجدنا "طنزة" ، والسين والزاى تتبادلان فى اللهجات العربية (الأسدى والأزدى مثلا) ، وهى بلدة بجزيرة ابن عمر من ديار بكر (ب ٣ : ٥٥١) ومن المحتمل أن تقرأ "الطينة" وكانت بليدة بين الفرما وتنيس ، ومكانها اليوم على بعد ٣٤ ك . م . شرقى مدينة بورسعيد (ب ٣ : ٥٧٢) و (ق ١ : ٨٠) ، ولكن هذه أيضا تقع شمالى البحر الأحمر لا شرقيه .

(٣) والنبك : فى الأصل (أ) والنيل ، وهذا خطأ لأن النيل غربى البحر الأحمر . وفى (خ ١ : ١٦) : النبك ، وهى قرية بين حمص ودمشق (ب ٤ : ٧٣٩) . (٤) ومدين : مدينة على بحر القلزم . محاذية لتبوك ، وبها البئر التى استق منها موسى عليه السلام وهى مدينة قوم شعيب عليه السلام (خ ١ : ١٨٦) .

(٥) العبارة بين القوسين : ساقطة من الأصل (أ) ، وقد نقلناها من (خ ١ : ١٦) وبحر النعام ، فيما يبدو، جزء من الشمال البحر الأحمر بين ساحل عيذاب وبين المقطم ، ويظهر أن حدود المقطم قديما كانت تختلف عما هى الآن ، فقد كان المقطم فى الاصطلاح القديم يمر على جانبى النيل إلى النوبة (خ ١ : ١٢٤) . (٦) هى مدينة قديمة على البحر الأحمر ، بنى على أنقاضها مدينة السويس ، وباسمها سمى البحر الأحمر (خ ١ : ١٦ ، ٢١٣) .

قال الليث بن سعد[١] : لما ولى ابن رفاعة[٢] مصر ، خرج ليحصى عِدّة أهلها ، وينظر فى تعديل الخراج عليهم ، فأقام فى ذلك ستة أشهر بالصعيد ، حتى بلغ أسوان ، ومعه جماعة من الكتّاب والأعوان يكفونه ذلك بجِدّ وتشمير ، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض ، وأحصَوْا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية ، فلم يُحْصَ فى أصغر قرية أقلُّ من خمس مئة جُمْجُمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية .

(١) الليث بن سعد (٩٤ ــ ١٧٥ هـ) ، مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمى . قال الشافعى رحمه الله : الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به .... وقال ابن وهب : ما رأينا أحدا قط أفقه من الليث (و ٣ : ٢٨٠) .

(٢) المقصود به : الوليد بن رفاعة لا عبد الملك أخوه (خ ١ : ٧٤) .

[فصل[1] : فى ذكر عدد كور أرض مصر وقراها]

وذكر أنها كانت فى زمن القِبط الأول مقسومة على مئة كورة وثلاث كُوَر ، ثم انقسمت إلى خمس وثمانين كورة ، منها بأسفل الأرض خمس وأربعون ، وبالصعيد أربعون ، وكان فى كل كورة رئيس من الكهنة ، وهم السحرة .

(وكان الذى يعبد الكواكب السبعة سبع سنين يسمونه " ماهرا " ، والذى يعبدها تسعا وأربعين سنة ، لكل كوكب سبع سنين ، يسمونه " فاطرا " . وهذا يقوم له الملك إجلالا ، ويجلس إلى جانب الملك ، ولا يتصرف إلا برأيه . وتدخل الكهنة ، ومعهم أصحاب الصناعات ، فيقضون حق الفاطر ، وكل واحد منهم منفرد بكوكب يخدمه من السبعة لا يتعداه ، يسمى بعبد ذلك الكوكب) ، (فيقول[2] الفاطر لأحدهم : أين صاحبك ؟ فيقول فى البرج الفلانى فى درجة كذا فى دقيقة كذا . ويقول للآخر ، إلى آخرهم ، فإذا عرف مستقر كواكبهم السبعة قال للملك : ينبغى أن يعمل كذا وكذا ، ويؤكل كذا ، ويجامع كذا فى وقت كذا ، فيقول له جميع ما يزعم أن فيه صلاح أموره . والكاتب قائم بين يديه يكتب جميع ما يقول له الفاطر . ثم يلتفت إلى أهل الصناعات ، ويخرجهم إلى دار الحكمة ، فيضعون أيديهم فى الأعمال التى يصلح عملها فى ذلك اليوم ، ويؤرّخ جميع ما جرى فى ذلك اليوم فى صحيفة ، وتُطْوَى ، وتودع فى خزائن الملك) .

وكان الملك إذا أهمه أمر أمر بجمعهم خارج مصر ، ويصطف لهم الناس بشارع المدينة ، فيدخلون رُكْبانا ، يتقدم بعضُهم بعضا ، وبين أيديهم طَبْل الاجتماع ، ويدخل كل واحد بفن . فمنهم من يعلو وجهَه نور كنور الشمس ، لا يقدر أحد على النظر إليه ، ومنهم من يكون على يديه جوهر أحمر ، أو أصفر ، أو أخضر ، أو أزرق ، على ثوب من ذهب منسوج ؛ ومنهم من يكون متوشحا بحيّات عظيمة ، ومنهم من يكون عليه قُبة من نور ، كل واحد

(١) هذا العنوان فى (جـ) ، وليس له وجود فى (أ) ولا (ب) .

(٢) ما بين القوسين ساقط فى الأصلين (أ ، ب) ، ومذكور فى (جـ) .

يصنع ما يدل عليه كوكبه الذى يعبده . فإذا دخلوا على الملك قص عليهم أمره، وضربوا فيه من الرأى ما يتفق .

وكانت مصر القديمة اسمها أمْسوس (١) .

قال ابن عبد الحكم (٢) : وكانت قُرى مصر بالصعيد وأسفل الأرض ألفين وثلاث مئة وخمسا وتسعين قرية ، بالصعيد تسع مئة وست وخمسون قرية ، وبأسفل الأرض ألف وأربع مئة وتسع وثلاثون قرية .

قال المقريزى (٣) : (وفى شعبان من سنة (٤) سبع وثلاثين وثمان مئة) أمر السلطان الأشرف "برسْباى" (٥) كاتب ديوان الجيش، أن أُحْصِ قرى مصر كلها : قبليّها وبحريّها، (فأحصيت)، فكانت ألفين ومئة وسبعين قرية . وقال : وقد ذكر المُسبِّحى (٦) أنها عشرة آلاف قرية، فانظر التفاوت بين الزمنين .

قلت : وقد نقصت بعد ذلك بخراب ما خرب منها ، من الظلم وخراب الأرض ، وما أدرى الآن (ينتهى (٧) إلى ماذا) ؟ فالله أعلم بذلك .

---

(١) أول مدينة عرف اسمها فى أرض مصر ، وقد محا الطوفان رسمها ، وبها كان ملك مصر قبل الطوفان (خ ١ : ١٢٨) . فى الأصلين (أ ، ب) أبسوس . وكانت واقعة غربى النيل فى المنطقة التى بها اليوم نواحى ميت رهينة والبدرشين وسقارة بمحافظة الجيزة (ق ١ : ١٣١) .

(٢) ابن عبد الحكم : هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (المتوفى سنة ٢٥٧ هـ) ، مؤرخ ، عالم بالحديث ، مصرى المولد والوفاة ، ومن كتبه « فتوح مصر والمغرب والأندلس » ، مطبوع (ع ٤ : ٨٥) .

(٣) المقريزى : هو أحمد بن على عبد القادر أبو العباس الحسينى العبيدى تقى الدين المقريزى (٧٦٦ — ٨٤٥ هـ) مؤرخ الديار المصرية ، وصاحب الخطط والسلوك (ع ١ : ١٧٢) .

(٤) مابين القوسين ساقط من الأصل (أ) . (٥) ساقط من الأصل (أ) .

(٦) المسبحى : هو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى (٣٦٦ — ٤٢٠ هـ) أحد الأمراء المصريين وكتابهم وفضلائهم اتصل بخدمة الحاكم ، وله تصانيف عديدة فى الأخبار والمحاضرة والشعراء ، من ذلك كتاب « التلويح والتصريح فى الشعر » ، « ومختار الأغانى ومعانيها » وغير ذلك (ت : س ب ح) .

(٧) قوله : « ينتهى الى ماذا » مخالفة للأسلوب العربى الفصيح .

[فصـــل فى ذكر ملوك مصر]

أعنى من أول أمرها قبل الطوفان وفى الجاهلية ، إلى زمن الفتح الإسـلامى ، ثم إلى وقتنـا هذا .

قال صاحب مرآة الزمان[1] : قال قتادة[2] : مَلَكَ مصر من أول العـالم إلى ولادة المسيح اثنان وثلاثون فِرعونا ، وكل من ملكها يسمّى فرعونا . وقد ملكها جماعة من الروم ، واليونان ، والعمالقة وغيرهم .

قال ابن زولاق[3] : وعِدّتهم إلى زمن الفتح ثلاثة وخمسون ملكا .

قال المسعودى[4] : أول من ملكها بيصر بن حام ، ثم مات وترك[5] (ولدُه) أربعة أولاد : " قِفْط " ، وأشمن ، " وأَتْريب " ، و " صا " .

(ذكر صاحب البستان[6] ، الجامع لتـاريخ الزمان ، أنه) كان للترك ملوك يقـال لهم : الخاقانية ، وللديلم ملوك يقـال لهم : الكاسانية ، وللفرس ملوك يقـال لهم : الأكاسرة ، وللروم ملوك يقال لهم : القياصرة ، (وللأنباط ملوك يقال لهم : النمـاردة) ، وللعرب ملوك يقال لهم : التبابعة ، وللقبط ملوك يقال لهم : الفراعنة ، بادوا[7] جميعا ، وانقرضوا (سريعا ، فنسيت أخبارهم ، وامّحت آثارهم ، فلم يبق لهم حديث يُرْوَى ، ولا تاريخ يتلى) .

---

(١) هو يوسف بن قزأ غلى أوقزغلى (ومعناها ابن البنت) بن عبد الله ، ابو المظفر شمس الدين ، المعروف بسبط ابن الجوزى (٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ) ، مؤرخ ، من الكتّاب الوعاظ ، من كتبه " مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان " ، مطبوع ، وغير ذلك (ع ٩ : ٣٢٤) .

(٢) قتادة : هو قتادة بن دعامة بن قتـادة . . . أبو الخطاب السدوسى البصرى (٦١ ـ ١١٨ هـ) مفسر ، حافظ ، ضرير ، أكمه . قال الإمام أحمد بن حنبل : قتـادة احفظ أهل البصرة . وكان مع علمه بالحديث رأسا فى العربية ، ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب (ع ٦ : ٢٧) .

(٣) ابن زولاق : هو أبو محمـد الحسن بن ابراهيم بن الحسين ... بن سليمان بن زولاق (٣٠٦ ـ ٣٨٧ هـ) ، مؤرخ مصرى ، له كتاب فى " خطط مصر " استقصى فيه ، وكتاب « أخبار قضاة مصر » ، جعله ذيلا على كتاب محمد بن يوسف الكندى ، « ومختصر تاريخ مصر » (و ١ : ٣٧٠) ، (ع ٢ : ١٩١) .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) " ولده " : ساقطة من الأصل (أ) .

(٦) لم نهتد لبيانات عن هذا الكتاب ولا عن مؤلفه .

(٧) فى الأصل (ب) ماتوا .

ثم ملكها بعد " بيصر " ابنــه " مصر " ، ثم " قِفط بن مصر " ، (ثم أشمن أخوه ، ثم أخــوه أتريب ، ثم أخوه صا ، ثم ابنــه ندارس بن صا ، ثم ماليق بن ندارس ، ثم حربيا ابن ماليق ، ثم ملك كلكن بن حربيا ، فملكهم نحو مئة سنة) ثم مات ولا ولد له ، فملك أخوه " إليا " ، وهو الذى وهب " هاجَر " " لسـارَة " ، زَوج إبراهـيم ، عليــه السلام ، عنــد قدومه عليــه . وتوفى وليس له إلا ابنــة اسمهـا " حَرُّوبة " ، فملكت مصر ، وهى أول امرأة ملكت مصر من أولاد نوح عليه السلام ، ثم ابنــة عمها : " زالفـــة "[1] ، فعُمِّرت دهرا طويلا ، فطمعت فيهــم العمالقة ، وهم الفراعنة ، وكانوا يومئذ أقوى أهل الأرض ، وأعظمهم مُلْكا . والعمالقة ولد عِمْليق بن لاوُذ بن سام بن نوح عليــه السلام ، فغزاهم الوليد بن دُومع[2] ، أكبر الفراعنة ، فظهر عليهــم ، فملكهم خمسة ملوك من العمالقة : ملك الوليــد بن دومع هــذا نحوا من مئة سنة ، ثم افترسه سَبع ، فأكله . ثم ملك (ولده) الريان ، صاحب يوسف عليه السلام (ثم دارم بن الريان ، وفى زمانه توفى يوسف عليــه السلام) ، ثم غرق فى النيــل بين طرا وحلوان . ثم ملك بعده كاغم[3] بن معدان ، ثم هلك ، ثم كان بعده موسى .

قال قتـادة[4] : الفراعنة ثلاثة : أولهم : سنان " الأشل " صاحب سارة ، كان فى زمن الخليل عليــه السلام بمصر . ثم الثانى : " الريان بن الوليــد " ، وهو فرعون يوسف عليه السلام . ثم الثالث : " الوليد بن مصعب " ، وهو فرعون موسى عليه السلام .

(وقال المقريزى[5] : ذكر القِبط أن الفراعنة سـبعة ، أولهم : طرطيس بن ماريا ، وهو فــرعون إبراهيم عليــه السلام . والثـانى : الوليــد بن دومع ، يعنى ابنــه الريان ، وهــو فرعون يوسف عليه الســلام . والثـالث : دَرْيوس السامس بن معـاديوس ظالمـا ، وهو فــرعون موسى عليــه السلام ، وأهــل الأثر تسـميه الوليد بن مصعب) ،

---

(١) فى (خ ١ : ١٤١) زلفى . (٢) بالدال المهملة دائما فى خطط المقريزى .

(٣) كاعم بالعين المهملة فى (ب) ، وفى (جـ) . (٤) تقدمت ترجمته . (٥) تقدمت ترجمته .

وقيل : كان من العرب ، وكان أبرش قصيرا (قَطَطا في لحيته)(١) ، ملكها خمس مئة عام ، ثم أغرقه الله تعالى ، (وهو الوليد بن مصعب . قال : وزعم قوم أنه من قبط مصر ، ولم يكن في العمالقة) .

فلما(٢) كان يوسف عليه السلام في السنين المُجْدبة اشترى جميع أراضي مصر وعقاراتها للعزيز صاحب الرؤيا ، وهو " الرَّيّان " ، ثم استنبط له من قراها كثيرا ، ومنها مدينة الفيوم .

وفي زمن " الريان " دخل " يعقوب " وأولاده مصر ، واجتمع بولده يوسف ، وهم يومئذ ثلاثة وتسعون نفسا ، ما بين رجل وامرأة ، فأقاموا بها وتناسلوا إلى أن خرجوا مع " موسى " عليه السلام . فلما مات يوسف ، عليه السلام ، استملك أهلُ مصر ، وهم القبط ، بني إسرائيل إلى زمن فرعون " موسى " . فلما خرج فرعون يطلب موسى وبني إسرائيل فروا منه .

قال ابن عطية(٣) : وكان عِدَّتهم يومئذ ست مئة ألف وسبعين ألف مقاتل (لا يعدون ابن الستين لكبره ، قال :) ، وكان " موسى " عليه السلام (على) ساقتهم(٤) ، والسيد " هارون " أخوه : على مقدمتهم .

قال : ولم يدع فرعون في مصر غير النساء والعبيد والأجَراء والصبيان ، فغرقوا كلهم معه ببحر القلزم . وكان عدة من معه من أشرافهم وأكابرهم أكثر من ألفَي ألْف رجل ، وخلت مصر . فلما رأى ذلك من بقي بمصر من النساء استعظَمْن أن يولين ملكَهن أحدا من الأجراء أو العبيد ، واجتمع الرأى على تولية عجوز كانت من أشراف القبط ، ولها عقل ومعرفة وتجديد ، يقال لها " دلوكه " ابنة " زيا "(٥) ، وهي يومئذ ابنة مئة وستين سنة ، فوُلِّيت مصر ، فخافت أن يتناولها ملوك الأرضين الذين حولها ، فبنت جدارا

(١) الشعر القطط : القصير الجعد .
(٢) في (ب) (وكان) بدلا من (فلما كان) .
(٣) هو عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي : الغرناطي ، أبو محمد (٤٨١ – ٥٤٢ هـ) ، مفسر ، فقيه أندلسي ، عارف بالأحكام والحديث . من كتبه « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » (ع ٤ : ٥٣) .
(٤) ساقتهم : مؤخرتهم .
(٥) في (ب) ريا .

أحاطت به جميع أرض مصر كلها : المدائن ، والمزارع ، والقرى ، ويعرف بجدار العجوز بمصر ، وقد بقيت منه بالصعيد بقايا كثيرة إلى هذا الوقت ، وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء ، وأقامت القناطر ، وجعلت فيه المحارس والمسالح(١) ، على كل ثلاثة أميال محرسا ومسلحة ، وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل ، وجعلت فى كل منها رجالا ، وأجرت عليهم الأرزاق ، فإذا أحسّوا أحدا ، ضربوا بالأجراس بعضُهم إلى بعض ، فيأتيهم الخبر من أى جهة كانت فى ساعة واحدة ، وفَرغت من بنائه فى ستة أشهر ، فمنعت بذلك مصرَ ممن أرادها . فملكتهم عشرين سنة ، حتى بلغ من أبناء أكابرهم وأشرافهم من قوى على التدبير للُملك ، فملّكوه ، وهو " دركون(٢) " بن بيلوطس . ولم يزل الملك فى أشراف القبط من ولد دركون هذا وغيره ، ومصر ممتنعة(٣) بتدبير تلك العجوز نحوا من أربع مئة سنة ، إلى أن قدم بُخْتَ نَصَّر(٤) إلى بيت المقدس ، فظهر على بنى إسرائيل ، وخرّب بلادهم ، فلحقت طائفة من بنى إسرائيل بعويس بن نفاس ، ملك مصر ، لما يعلمون من مَنَعَته ، فأرسل إليه بخت نصر يأمره أن يردهم إليه وإلا غزاه وقاتله ، فامتنع من ردهم ، وشتمه ، فغزاه بخت نصر ، وأقام يقاتله سنة(٥) ، ثم ظهر عليه وقتله ، وسبى أهل مصر ، ولم يترك بها أحدا ، وبقيت مصر خرابا أربعين سنة ، ليس فيها أحد ، ويجرى نيلُها فى كل عام ولا يُنْتَفع به . ثم ردهم " بخت نصر " بعد أربعين سنة ، فعمروها ، ثم بعث ملكا عليهم رجلا منهم ، فلم تزل مصر مقهورة من ذلك الوقت .

ثم ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين وسَّط(٦) البلاد ، فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين ، وحاصروهم برا وبحرا ، إلى أن صالحوهم على شىء يدفعونه لهم فى كل عام ، على أن يمنعوا(٧) منهم ، ويكونوا فى ذمتهم .

(١) جمع مسلحة ، وهى موضع السلاح ، وكل موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة .

(٢) ساقطة من الأصل (أ) ، وابن بلوطس فى (جـ) . (٣) فى (ب) مستمتعة .

(٤) بختنصر : ملك بابل الذى غزا القدس ، وخرب بيت المقدس ، وذلك بعد ١٩ سنة من ابتداء حكمه ، و ٩٩٧ سنة من وفاة موسى عليه السلام (تاريخ أبو الفدا جـ ١ ص ٣٧ ، طبعة أولى بالمطبعة الحسينية المصرية) .

(٥) فى (ب) ستة أشهر بدلا من سنة . (٦) فى (ب) توسطوا . (٧) فى (ب) يمتنعوا منهم .

ثم ظهرت فارس على الروم ، وغلبوهم على الشأم ، فألحوا على مصر فى القتال .

ثم استقر الحال على أن خراج مصر بين فارس والروم فى كل عام، نصف لصاحب كِسْرَى ونصف لصاحب هِرَقْل، وأقاموا على ذلك تسع سنين وكان كل ما بمصر من بناء آجُر[١] فهو للفرس ، وكل ما فيها من (بناء) حَجَر فهو للروم . وغلبت الروم فارس ، فأخرجوهم من الشأم ، وصار صلح مصر خالصا للروم ، وذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمان الحُدَيْبِيَة[٢] ، وكان أمر الروم إلى هِرَقْل ، فوجه المقوقس[٣] إلى مصر أميرا عليها، ولّاه حربها[٤] وخراجها، فنزل الإسكندرية ، وبها قدم عليه حاطب بن أبى بَلْتَعة[٥] بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(وكانت الفرس قد بدأت ببناء الحصن المعروف بباب أليون[٦] ، ثم تممت بناءه الروم، وحصنته ، ولم تزل فيه إلى حين الفتح .

وكانت الفرس قد بنت فيه هيكلا لبيت النار، وهو القبة المعروفة فى قصر الشمع[٧] بقبة الدخان، وتحتها مسجد معلق أخذه المسلمون، مبنى بالآجر . وكان المقوقس صاحب القبط هذا ينزل إسكندرية فى بعض فصول السنة ، وفى بعض الفصول مدينة مصر[٨] ، وفى بعضها قصر الشمع، وهو اليوم يعرف بهذا الاسم فى وسط مدينة الفسطاط) .

---

(١) اللبن أو الطوب المحرق المعد للبناء ، واحده آجرة .

(٢) الحديبية : مكان قرب مكة ، وقعت فيه إحدى غزوات النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) عظيم القبط فى مصر ، واسمه جريج (صبح ١ : ١١٧) معرب جورج .

(٤) فى الأصلين (أ ، ب) خوطها ، وفى (جـ) حربها ، وهو الصواب .

(٥) ابن أبى بلتعة : هو حاطب بن أبى بلتعة (المتوفى سنة ٣٠ هـ) ، شهد بدرا والحديبية ، بعثه النبى صلى الله عليه وسلم سنة ست من الهجرة إلى المقوقس ، صاحب مصر والإسكندرية ، كما بعثه أبو بكر ، رضى الله عنه ، إلى المقوقس ، فصالحهم ، ولم يزالوا كذلك حتى دخل عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠ هـ (ر : ٣١٢ — ٣١٥) .

(٦) باب أليون : قرية كانت بمصر ، وقعت بها وقعة فى أيام الفتوح ، ويقال لها : اليون أو باب اليون ، وهى موضع الفسطاط خاصة (ب ١ : ٣٥٥) ، وفى (ت : أ ل ن) : أليون اسم مدينة مصر قديما ، وقيل اسم قرية كانت بمصر قديما ، وإليها يضاف باب أليون ، وقد يقال باب ليون .

(٧) قصر الشمع : أحدث داخل الفسطاط بعد خراب مصر على يد بختنصر ، وكان يوقد عليه الشمع فى رأس كل شهر ليعلم الناس أن الشمس قد انتقلت من البرج الذى كانت فيه ، وقيل إنه بنى للفرس بمثابة بيت نار هيكله القبة المعروفة بقبة الدخان (خ ١ : ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

(٨) فى (جـ) منف .

وكان المسلمون بالحجاز إذا بلغهم ظهور الروم على الفرس فرحوا ، فلما اقتتل الفريقان وظهرت الفرس على الروم ، بلغ المسلمين ، فساءهم ، فأنزل الله تعالى ((الم غُلِبَتِ الروم[1] فى أَدْنى الأَرض وهُم مِن بَعْدِ غَلَبِهِم سَيَغْلِبون فى بضع سنين ... الآية .)) ، فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسرهم ذلك .

---

(١) الآيات ١ — ٣ سورة الروم .

[فتح المسلمين لمصر]

ثم أتى الله بالاسلام والفتح ، وأزال الله الجميع ، (ولله الحمد والمنة) .

ولما افتتحها عمرو بن العاص — رضى الله عنه — سنة عشرين من الهجرة (١) ، من قِبَل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بإذن له فى ذلك ، (كان) (٢) أولَ ملوكها فى الإسلام ولم يزل عمرو مقيما عليها أكثر أيام أمير المؤمنين ، وقبل موته بشهر عزله عن الصعيد ، وولّى عبد الله بن أبى السّرح (٣) ، وبقى على مصر بقية أيام عمر .

فلما قتل عمر رضى الله عنه ، ووُلّى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، خرج إليه عمرو ابن العاص مهنئا ، وطمع فى لينه ، وقال : (ترد إلى مصر بصعيدها ؟ فقال له عثمان : عمر ابن الخطاب رضى الله عنه) ولّى عبد الله بن أبى السرح ، وليس بينه و بينه صلة رَحِم ، وهو أخى من الرضاعة ، فغضب عمرو ، ونهض من عنده ، فكتب عثمان إلى عبد الله بن أبى السرح سِرّا بولاية مصر جميعها ، فبقى عمرو مقيما بالمدينة ، فأقام عبدُ الله على مصر كلّها أيامَ عثمان رضى الله عنه ، وعسف أهلَ مصر (٤) ، فقدم المصريون المدينة على عثمان مستصرخين ، وكثر ضجيجهم ، فدخل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه على عثمان ، وقال له : ياهذا ، اصرفه وأرح نفسك منه . فقال : بمن أبدله ؟ قال : بمحمد بن أبى بكر ، فأحضره عثمان ، وقلده ، وكتب له عهدا ، وضمّ إليه عسكرا ، وسار معه المصريون ، وودعه على بن أبى طالب . فبينما هم سائرون إلى مصر إذ نظر محمد بن أبى بكر غلاما أسود على بعير يَخْبِط (٥) الأرض ، فأمر بإحضاره ، فجاءوا به ، فقال لعسكره : أتعرفون هذا الغلام؟ قالوا : هذا غلام عثمان . قال : والبعير؟ قالوا : لعثمان .

---

(١) فى (ز : ٣٨) : فى مستهل المحرم سنة ٢١ هـ ، وهو تاريخ سقوط الإسكندرية ورحيل البيزنطيين . وفى (خ ا : ٢٩٤) اختلف قدماء المؤرخين فى تاريخ فتح مصر ، بين السنين الواقعة من ١٦ إلى ٢٥ هـ .

(٢) فى الأصول (ا ، ب ، جـ) : وهو ، وإذ لم نجد جوابا لـما فى قول المؤلف « ولما افتتحها » وضعنا كان مكان وهو .

(٣) ابن أبى مرح فى (ل : ٣٤ ، خ ا : ٢٩٩ ، جـ) ، وفى (ل : ٣٨ ، خ ا : ٣٠٠) أن الوالى الثالث كان محمد بن أبى حذيفة ، حينما انتزى (وثب) على عقبة بن عامر ، خليفة عبد الله بن سعد . وقد سقطت هنا ولاية عبد الله بن سعد الثانية من كل من الأصلين (ا ، ب) ، كما سقطت من (ل) .

(٤) ظلمهم ، وفى الأصلين (ا ، ب) : عسف بأهل مصر ، والصواب ما أثبتناه.

(٥) يضربها بقدميه ضربا شديدا .

فسأله : أين تريد ؟ قال : مصر ، ففُتِّش ، فلم يوجد معه كتاب ، (فشُقَّت إداوة[1] معه فإذا فيها) كتاب من عثمان بن عفان، إلى عبد الله بن أبى السرح، وهو :

« أما بعدُ، فإن محمد بن أبى بكر واصلٌ إليك، وقد أُجْبِرت على تقليده، فإذا وصل إليك فاقتله » . فانزعج محمد بن أبى بكر لذلك، وجمع أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقرأ عليهم الكتاب ، وأشهد على الغلام وخَتْمه ، وعاد إلى المدينة ومعه المصريون ، فانقلبت المدينة لرجوع العسكر، فاجتمع الناس، وقرءوا الكتاب ، وقام على بن أبى طالب، فدخل على عثمان ومعه طلحة[2] والزُّبير[3] وأكثر الصحابة ، وقالوا له : أتعرف هذا الغلام ؟ قال : غلامى . قالوا : والبعير ؟ قال : بعيرى . قالوا : والخاتم ؟ قال : خاتمى . قالوا : فاقرأ هذا الكتاب . فقال : ما كتبتُه، ولا وقفتُ عليه، وكان الكتاب بخط مروان[4] بن الحَكَم، فانصرف على والناس معه، وحوصر عثمان فى داره، وبقى لا يقْدر على الظهور، لعظم الحال . ولما شاهد عمرو بن العاص ذلك، وسمع الطعن على عثمان، سَرَّه ذلك ، وأظهر الغم لعثمان . فقال له عثمان : اخرُج ياعمرو وصلِّ بالناس . وأَعْذِرْنى[5] عندهم ، فخرج وصَعِد المنبر، فخطب الناسَ خُطبة ، ثم نزل ودخل على عثمان ، فقال له : قَمِلت فَرْوتك[6] يا عمرو منذ عزلناك عن مصر، وقد بلغنى ما كنتَ فيه . فقال له عمرو : قلت ما علمتُ ، ثم خرج من عنده، وسار إلى الشام، واضطربت المدينة بسبب محمد بن أبى بكر ورجوعه، وتكلمت

(١) الإداوة : إناء صغير يحمل فيه الماء ، وما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان ... القرشى التيمى ، أبو محمد (المتوفى سنة ٣٦ هـ) كان من المهاجرين الأولين ، وشهد أحدا وما بعدها ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان يحارب عليا يوم وقعة الجمل ، ثم انصرف عن قتاله ، فرماه مروان بن الحكم بسهم ، فمازال ينزف حتى مات (ر : ٧٦٤ — ٧٧٠) و (إص ٣ : ٢٩٢)

(٣) الزبير بن العوام ... القرشى الأسدى ، أبو عبد الله (المتوفى سنة ٣٦ هـ) ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أمه عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ، وكان أول من سل سيفا فى سبيل الله ، ثم قتل غيلة سنة ٣٦ هـ . (ر : ٥١٠ — ٥١٦) و (إص ٣ : ٥) .

(٤) هو مروان بن الحكم القرشى الأموى (٢ — ٦٥ هـ) ، استكتبه عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكتب له ، وولاه معاوية المدينة ، ثم عزله عنها ، وتولى الخلافة تسعة أشهر أو عشرة (ر : ١٣٨٧ — ١٣٩٠) .

(٥) أعذر فلانا : عذره والتمس له عذرا . (٦) كناية عن إلصاق العيوب وألوان السوء به .

عائشة والصحابة والمصريون، وهموا بالدخول على عثمان لقتله، فحفظ بنو أمية بابه، وحفظه أيضا الحسن والحسين[(١)] وعبد الله بن عمر. وجاءت بنو عدى[(٢)] فأزالوا عبد الله بن عمر، فقال عمرو بن حزم[(٣)]: أنا أُدْخلكم على عثمان، فأصعدهم على داره، وأنزلهم عنـده، وكان جارَه، فدخل عليـه محمد بن أبى بكر (والجمـاعة. فلما رآه عثمان وبيـده الخنجر قال له: لو رآك أبوك لساءه ذلك، وقد كان أخذ بلحية عثمان، فاستحيى محمد بن أبى بكر)، ثم تأخر عنا، وقال: استَحْيَيتُ منه لمـا ذكر لى أبى، فوثب الباقون عليه فنحروه، وأخرجوه فألقوْه على مَزْبلة ثلاثة أيام، ثم دُفن ليلا سرا، (والله تعالى أعلم بالصواب).

ثم بويع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه. وأول من بايعه طلحة، فنظر إليه أعرابى فقال: «يد شلّاء وأمر لا يتم»، وكانت إصبع طلحة قطعت يوم «أُحُد»[(٤)]. ثم بايعه الزبير، ثم الجمـاعة بيعةَ الحـق. وكتب إلى العمال بالأمصار جميعها، ولم يكتب إلى معاوية بدمشق، فكتب إليه معاوية يستعطفه، ويسأله أن يُقَلِّده، فقال: لا يرانى الله متَّخذَ المُضِلِّين عضُدا. فقال له المغيرة: قَلِّده ثم اعزله. فقال: لا أفعل المنكر وقد نهى الله ورسوله عنه.

ثم بعث إلى محمـد بن أبى حُذَيْفة[(٥)]، فقلّده مصر، ولم يزل عليها من قِبَـله إلى أن قتل بالشام، وكان قد استخلف الحكم بن الصَّلْت[(٦)].

---

(١) ابنا على بن أبى طالب، وعبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٢) بنو عدى: رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وبهم سمى المكان الذى نزلوا به من أعمال الشرقية، وهو المعروف اليوم باسم أولاد العدوى بمركز فاقوس (ق ا: ١٧٢).

(٣) فى الأصول (ا، ب، جـ) ابن حازم، والصواب أنه عمرو بن حزم بن زيد الأنصارى، أبو الضحاك (المتوفى سنة ٥١ أو سنة ٥٣ هـ)، أول مشاهده الخندق، واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على أهل نجران وهو ابن ١٧ سنة ليفقههم فى الدين ويعلم القرآن (ر: ١١٧٢ — ١١٧٣).

(٤) جبل بظاهر المدينة، وقعت عنده الغزوة الثانية، وسميت باسمه.

(٥) هو محمـد بن أبى حذيفة ... القرشى العبشمى، أبو القاسم، ولاه "على" بن أبى طالب مصر، ثم عزله وكان من أشد الناس تأليبا على عثمان، فلما مات عثمان هرب إلى الشام، فوجده رشدين، مولى معاوية، فقتـله. (ر: ١٣٦٩ — ١٣٧٠)

(٦) هو الحكم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب القرشى المطلبى، شهد خيبر، واستخلفه محمد بن أبى حذيفة على مصر حين خرج إلى معاوية وعمرو بن العاص بالعريش. (ر: ٣٩٦).

ثم ولى قيس بن سعد بن عُبادة[١]، وجمع له حربها وخراجها . وكان قيس هذا شجاعا عاقلا ذا هيبة ، وكانت له ولاية ومنزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أنس[٢]: كان منه بمنزلة صاحب الشُّرطة من الأمير، يقوم بين يديه متكئا على سيف ، وكان بليغا يقول فى دعائه : اللّهُمّ إنى أسألك حمدا ومجدا ، فإنه لا حمدَ إلا بعدل ، ولا مجدَ إلا بمال وفضل .

وسار قيس إلى مصر فى عسكر كثير ، وملك مصر، وساس شيعة عثمان أحسن سياسة ، وكانوا قد اعتزلوا بِخَرِبتا[٣] : قرية من قرى مصر ، فصان دورهم وعِيالهم ، وأَدَرَّ أرزاقهم ، فثقل ذلك على عمرو بن العاص ومعاوية ، وأيسا من مصر ، ولم يزالا يحتالان عليه حتى عزله أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، بسؤال عبد الله بن جعفر[٤] له فى ذلك ، وتولية مالك بن الحارث المعروف بالأَشْتَر[٥] ، فأجابه إلى ذلك .

وكتب إلى قيس « قد احتجت إليك ، وإلى الاجتماع بك ، فاعمل على ذلك » .

وكتب لمالك عهدا ، وسار إلى مصر . فكتب معاوية إلى دُهقان القُلْزُم[٦] : اكفنى الأشتر ، وأنا أسقط عنك خراجك أبدا . فلما وصل الأشتر إلى القلزم ، لقيه الدهقان ،

---

(١) بدء ولايته فى (ز : ٣٨) ٣٥ هـ . وفى (ل : ٤٤) مستهل ربيع الأول سنة ٣٧ هـ . وفى (خ ١ : ٣٠٠) جمع له الخراج والصلاة .

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر ... الأنصارى ، أبو حمزة (المتوفى سنة ٩١ أو سنة ٩٢ أو سنة ٩٣ هـ) ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج معه حينما توجه إلى بدر يخدمه ، وهو آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ر : ١٠٩٠ – ١١١٠) .

(٣) خربتا : هذا ضبط ابن عبد الحكم لخربتا ، وكانت قرية وكورة من كور مصر بالقرب من الاسكندرية ، وهى الآن خراب (ب ٢ : ٤١٦) . ولا يزال مكانها يعرف بهذا الاسم ، و يبعد عن الاسكندرية بمسافة ٩٠ ك م على خط مستقيم (ق ٢ جـ ٢ : ٣٣٤) .

(٤) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب القرشى الهاشمى ، أبو جعفر (المتوفى بالمدينة سنة ٨٠ هـ) ، ولدته أمه أسماء بنت عميس بأرض الحبشة ، وقدم مع أبيه المدينة ، وحفظ عن رسول الله ، وروى عنه . (ر : ٨٨٠ — ٨٨٢) .

(٥) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعى المعروف بالأشتر (المتوفى سنة ٣٧ هـ) ، أدرك الجاهلية ، وشهد اليرموك ، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع على رضى الله عنه (ع ٦ : ١٣١) .

(٦) الدهقان : رئيس القرية ورئيس الإقليم . والقلزم : بلد قديم ، خرب ، وبنى فى موضعه مدينة السويس ، وبحر القلزم : البحر الأحمر . (خ ١ : ١٦ ، ٢١٣) .

وكان صائما ، فقال له : أىُّ الشراب إليك أحب ؟ قال : العسل ، فسقاه شربة عسل مسمومة ، فجفت عُنُقه ومات . فلما بلغ معاويةَ موتُ الاشتر ، خطب عمرو، وقال : « إن لله جنودا من عسل » .

وخطب معاوية وقال : كان لعلى يمينان : قُطِعَت إحداهما بِصِفّين[(١)] ، يعنى عمار ابن ياسر[(٢)] ، وقطعت الأخرى بمصر ، يعنى الأشتر . ولما بلغ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ذلك قال : لليدين[(٣)] وللفم . والله أعلم .

ثم قلد محمد بنُ[(٤)] أبى بكر — رضى الله عنهما — مصر ، وكتب له عهدا ، وسار فى عسكر كثير، وصحبه أخوه عبد الرحمٰن بن أبى بكر، فلقيه قيس بن سعد، وهو منصرف عن مصر، فقال له : لا يمنعنى عزل أمير المؤمنين لى عن نصحك، ولقد عزلنى عن غير وَهْن ولا عجز؛ ولكن بنصحى عزلنى ، فاحفظ عنى ما أُوصيك به : إنك ستقدَم على بلد مُفْتَتِن، وبه شيعة عثمان : معاوية بن حُدَيْج[(٥)]، ومسلمة بن مُخَلَّد[(٦)]، وبُسْر بن أرطاة[(٧)] وغيرهم ، قد اعتزلوا فى قرية ، ولهم رِباع وأولاد وعِيال وعبيد، فلا تعترضهم فى شىء ، واقض حوائجهم، وزر مرضاهم، واحضر جنائزهم ، يكفُّوا عنك ، ويرضَوا منك بالمتاركة ، وعسى أن يدخلوا فى طاعتك . وكأنى بك وقد دخلت مصر مُدِلًّا بأمير المؤمنين ، وشرفه وسابقته وعلمه وعدله ، وتقول :

---

(١) صفين : موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات ، كانت به الوقعة العظمى بين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما غرة شهر صفر سنة ٣٧ هـ (ت : ص ف ن) .

(٢) هو عمار بن ياسر ... العنسى ثم المذحجى ، أبو اليقظان . شهد بدرا والمشاهد كلها ، وهو من المهاجرين الأولين ، ثم قتل يوم صفين فى ربيع الآخر سنة ٣٧ هـ ودفنه على بن أبى طالب (ر : ١١٣٥ — ١١٤٠) .

(٣) أى كب على يديه وصدره .

(٤) بدء ولايته فى (ز : ٣٨) ٣٦ هـ . وقد سقطت بعده ولاية الأشتر النخعى — (٣٧ هـ) فى (ز : ٣٨) ، ومستهل رجب سنة ٣٧ هـ فى (ل : ٤٦) — من كل من الأصلين (أ ، ب) ، أما (ل : ٤٦) فقد قدمت ولايته على محمد بن أبى بكر.

(٥) معاوية بن حديج بن جفنة بن قنبر أبو نعيم الكندى ثم السكونى (المتوفى سنة ٥٢ هـ) الأمير الصحابى ، قائد الكتائب ، شهد فتح مصر ، وكان الوافد على عمر بفتح الاسكندرية ، وشهد صفين فى جيش معاوية ، وقتل محمد بن أبى بكر ، وولى غزو المغرب مرارا (إص ٦ : ١١١) .

(٦) ومسلمة بن مخلد بن الصامت ... الأنصارى الخزرجى أبو سعيد (١ — ٦٢ هـ) ، شهد معارك صفين مع معاوية ، وولى إمرة مصر ، وهو أول من جمعت له ولاية مصر والمغرب (إص ٦ : ٩٧) .

(٧) وبسر بن أرطاة أو ابن أبى أرطاة (المتوفى سنة ٨٦ هـ) ، مختلف فى صحبته ، شهد فتح مصر ، واختط بها ، وكان من شيعة معاوية ، ومختلف كذلك فى سنة وفاته (إص ١ : ١٥٢) .

أنا ابنُ الصدِّيق ، وتخالفنى فى كل ما أوصيتك به . وكأنى بمن معك وقد تفرقوا عنك ، فأُخذت وقُتلت ، وحُرِّقت بالنار ، فى جوف حمار . فخالفه محمد فى كل ما أوصاه به ، ووقع له جميعُ ما أخبره به .

ولما تعرَّض لشيعة عثمان أرسلوا يقولون له : أَيْش(١) لك معنا ؟ دعنا ننصرف عنك ، فعمل لهم جسرا ، فعبروا عليه وساروا إلى الشام ، إلى معاوية ، وعنده عمرو بن العاص ، وشكوا مما نزل بهم من محمد بن أبى بكر ، وضَرْبه على دُورهم وعلى رباعهم ، وكتب عليها : صافيةٌ لأمير المؤمنين علىٍّ أهل الحق .

وكتب محمد بن أبى بكر إلى معاوية :

« بسم الله الرحمن الرحيم :

من محمد بن أبى بكر إلى معاوية بن صخر .

أما بعدُ فإنك نازعت أمير المؤمنين عليا ، ووثبت على حقه ، وأنت طليق ابنُ طليق(٢) ، وقد علمت أنه أكبر المهاجرين والأنصار ، وله من رسول الله صلى الله عليه وسلم سوابق مباركات ، قتَل فيها أخاك ، وقسر على الإسلام أباك ، فوثبت عليه ، واغتصبت حقه ، وقمت بهذا الأمر دونه ، وقلت : ولانى عثمان ، وأنا أطالب بدمه » .

فكتب إليه معاوية :

« بسم الله الرحمن الرحيم :

من معاوية بن أبى سفيان إلى محمد بن أبى بكر العاق بأبيه :

أما بعدُ ، فقد قرأت كتابك ، ولم أزل فى توقيرك ، على حسب ما يجب لك علىّ ، وعلىٌّ ذو سوابق مباركات (كما ذكرت) ، وما زال رأسا مرءوسا ، حتى كان أولَ خليفة وثب عليه ، واقتسره(٣) حقه أبوك ، فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك أوله ، وإن يكن خطأ فأبوك سببه ، فدونك افعل فى حق أبيك ما شئت ، أودع . والسلام » .

(١) كلمة منحوتة من لفظتى (أى شىء) .

(٢) أى ممن أطلقهم النبى صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم ، بعد ما لحقهم من الخزى والعار بسبب هزيمتهم يوم فتح مكة ، وسماهم « الطلقاء » .

(٣) اقتسره : قهره وغلبه .

ولمـا انقضى أمر التحكيم حضر عمرو إلى معاوية ، وقال له : إن عليـا قد أغفل ذكر مصر ، ولم يشترطها فى تحكيمه ، وبها محمـد بن أبى بكر ، فدعنى أسِرْ إليها ، فإن أخذتها كانت لى طُعْمة[١] .

فقال له معاوية : كَثير يا عمرو ، فقال له : ما أعجبَ أمرَك ، تبخل على بمـا لا تملكه ، (وهو فى يد غيرك) ! فقال له معاوية : سر إليها ، وتكون لك طعمة . فسار عمرٌو ومعه شيعة عثمان ، فلما وصلوا إلى ظاهر[٢] مصر ، خرج إليهم محمد بن أبى بكر ، ومنعهم ، فحاصروه ، (وقاتلهم ومانعهم) ، وكان مع صغر سنه شجاعا ، ومعه أخوه عبد الرحمن ، فبلغ " عائشةَ " وصـولُ عمرو إلى مصر لينتزعها ، فكتبت إلى أخيها (عبد الرحمن) تأمره بلقاء عمـرو ، فإلى أن وصل الكتاب تفرق الناس عن محمد بن أبى بكر وانهزموا ، فالتجأ محمـد إلى خَرِبات المعَافِر[٣] ، فطُلِب ، فقالت لهم عجوز : أتريدون الأمير محمدا؟ فقالوا : نعم . قالت : وتعطونى أمانا لأخى؟ وكان يبيع الفجل ، فدلتهم عليه ، فدخلوا إليـه وقد كَدَّه[٤] العطش ، فقال لهم : اسقونى ماء ، فقال له معاوية بن حُدَيْج : لا سقانى الله إن سقيتك . فأوصل أخوه عبد الرحمن كتاب " عائشة " إلى عمرو ، فقرأه وقال : والله مالى أمر (ولا أنا الآبق) ، وإنمـا الأمر لهـذا الغلام ، يعنى معاوية بن حُدَيْج . (ثم قدمه عمرو وقال : يا محمد معك أمان من أحد ولو من عبـد أو امرأة أو صبىّ ، فإنا نقبل قولك ؟ فلم يذكر له أمانا) . فقدمه معاويةُ ليقتله ، فقال : احفظنى فى أبى بكر . فقال : قتلت من أهلى ثمانين فى مقام واحد وأحفظك؟ لا حفظنى الله إن حفظتك ، والساعة أضرب عنقك وألهبك بنار تتلظى[٥] . فقال له محمـد : تكون علىّ بَرْدا وسلاما . وكره عمرو قتله ، ونهض مُغْضَبا ، ثم قدمه معاوية ، وضرب عنقه (صبرا[٦]) ، وأمر أن يجر برجله ، ويطاف به المدينة ، ويمرّ [به] على دار عمرو بن العاص لعلمـه بكراهيته قتـله ، ثم أحرقه فى جوف حمار عنـد رحبة الزبير بقرب الدار المعروفة الآن بالفـــرغانى .

---

(١) غنيمة ومكسبا ورزقا . (٢) ظاهر مصر : أول ما يبدو منها (٣) خرابات المعافر : يغلب على ظننا أنها قريبة من بركة الحبش ، فقد كانت تدعى هذه البركة أيضا بركة المعافر ، وقد حددنا موقعها فى غير هذا المكان .
(٤) فى (ب) كظه : بهظه وكربه ، وكده : أرهقه . (٥) تتلظى : تتلهب . (٦) صبرا : تركه حتى يموت .

ولما أبطأ خبر محمد على " عائشة " أنفذت حُجْر بن عدى[١] يشفع فيه ، فوصل وقد فُرِغ منه . ثم أنفذ معاوية القميص الذى قتل فيه إلى المدينة ، (فوصل) إلى دار عثمان ، واجتمع رجال عثمان ونساؤه ، وأظهروا السرور ، ولبست " نائلة بنت الفَرافِصة "[٢] ، زوجة عثمان ، القميص ورقصت به ، وأرسلت "أم حبيبة أخت معاوية" بكبش شواء إلى "عائشة" ، وقالت : هكذا شُوِىَ أخوك بمصر . فحلفت ألا تأكل شِواء حتى تلقى الله ، فما أكلته بقية عمرها . ودخلوا على " أسماء بنت عُمَيس "[٣] ، أم محمد بن أبى بكر ، فقيل لها : قتل محمد بمصر ، وأحرق بالنار فى جوف حمار ، وكانت فى مُصلاّها ، فعضّت شفتيها ، وكظمت غيظها ، فَتَشَخَّبَت[٤] ثدياها دما .

وكان وصول محمد بن أبى بكر إلى مصر فى النصف (من شهر رمضان سنة سبع وعشرين ، وقيل فى النصف) من صفر سنة ثمان وعشرين ، فكانت مدة ولايته خمسة أشهر ، وكانت الوقعة عند سوق الدواب بالمُسَنّاة[٥] . (قال عمرو : حضرت أربعة وعشرين زحفا ، فلم أر مثل يوم المُسَنّاة) . وكان فيه ، رحمه الله تعالى ، غايةُ الفضل والشجاعة ، قاتلهم حتى أشجاهم[٦] ، ولولا [أن] تفرق عنه عسكره ، لما قدروا عليه ، ولا على مصر .

---

(١) حجر بن عدى بن معاوية بن جبلة ... الكندى المعروف بحجر بن الأدبر ، وحجر الخير ، شهد القادسية ، والجمل ، وصفين ، وكان من شيعة على ، وقتل بمرج عذراء (بغوطة دمشق) بأمر معاوية سنة ٥١ هـ أو ٥٣ هـ (إص ١ : ٣٢٩) .

(٢) نائلة بنت الفرافصة : زوج عثمان بن عفان .

(٣) هى أسماء بنت عميس ... الخثعمية ، كانت من المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب ، فولدت له هنالك محمدا أو عبد الله وعونا ، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر ، فولدت له محمد بن أبى بكر ، ثم مات عنها ، فتزوجها على بن أبى طالب ، فولدت له يحيى ، روى عنها عمر بن الخطاب ، وأبو موسى الأشعرى ، وابنها عبد الله بن جعفر (ر : ١٧٨٤ - ١٧٨٥) .

(٤) أخرجتاه مسموعا صوته ، والمقول أنها مصحف نشحت بمعنى رشحت (ل : ٥٤) .

(٥) المسناة : السد يبنى لحجز ماء السيول أو النهر ، به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة . ويقصد بها هنا المكان الذى لاقى فيه محمد بن أبى بكر بجيش معاوية . ويظن أنه كان قريبا من الفرما لأنها كانت قديما حصن مصر ، وطريق المغيرين عليها . (ق ١ : ١٠٩) .

(٦) قهرهم وغلبهم . وفى (م) : ولولا تفرق عسكره عنه .

وكان مولده عام حجـة الوداع بذى الحُلَيْفة[١] . وتُوفِّى النبى — صلى الله عليـه وسلم — وله أقلّ من أربعــة أشهر ، وتوفى أبوه وله سنتان ونصف ، وقيل : وله ثمـانية وعشرون شهرا . وورد غلامه زمام ، والتمس رأسـه ، وبذل فيه مالا جزيلا ، ودفنه وبنى المسجد المعروف بمسجد الزمام[٢] ، وبنى على الرأس المنارة ، وقيل : القبلة . ثم حج معـاوية بن حديج بعد قتل محمد بن أبى بكر ، فلقيته نائلة زوجة عثمان ، فقبّلت رجليه ، وقالت : شَفَيْتَ نفسى من ابن الخثعمية .

فملك عمــرو بن العــاص — رضى الله عنــه — مصر بعــده طعمة يستخرج خراجها اثنى عشر ألفَ ألفِ ألف دينـار[٣] ، ولا يحمل إلى معاوية شيئا منها ، فكتب إليــه معاوية فى ســنة أربعين : « قد كثر على زوّاى من العــراق ، وسُؤّال الحجــاز ، فأَعِنّى بخراج مصر سنة واحدة » .

فكتب إليه عمرو : « أما بعــدُ فإن فى طلبك خراجَ مصر شجًا[٤] فى حلقك ، وليست بك إليــه من حاجة ، وعندك ما يكفيك » . (فكتب إليه معاوية أبياتا[٥] ، وكتب إليــه عمرو ثانيا شعرا أوله :

مُعـاوى ان نذكرك نفسى شحيحة * فـما مورثى مصرا عن ام ولا أب)

فلما قتل علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى شهر رمضان سنة أربعين ، أقام عمرا أميرا على مصر ، حتى تُوفِّى آخر يوم من رمضان سنة ثلاث وأربعين وله من العمر خمس وتسعون ســنة . فغسله ابنــه وكفنه ، وغدا به يوم الفطر إلى المُصَلَّى القديم ، ووضعه فى المحراب ، ولم يزل ينظر إلى الطريق حتى تكامل الناس ؛ فصلّى بهم عليه ، ثم صلى بالناس صلاة العيد وخطب ، ثم انصرف به ، ودفنه فى مقابر مصر ، على طريق الحاجّ ، كما أوصاه به .

(١) قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة (ب ٢ : ٣٢٤) .

(٢) مسجد الزمام ، جاء فى المقريزى (خ ٢ : ٤٥٦) أن مسجد الكنز الذى كان شرق الخندق ، وشمالى قبر ذى النون المصرى كان مسجدا صغيرا يعرف بمسجد الزمام ، ثم أعيد بناؤه ووسع وعرف بمسجد الكنز .

(٣) الصواب ما جاء فى (خ ١ : ٧٩) منسوبا إلى الليث بن سعد رضى الله عنه من أن خراج عمرو بلغ اثنى عشر ألف ألف دينار ، فلفظة ألف الأخيرة مقحمة . وفى (ج) اثنى عشر ألف ألف دينار .

(٤) ما اعترض ونشب فى الحلق من عظم ونحوه . (٥) ما بين القوسين ساقط من (ا ، ب) ومذكور فى (ج) .

قيل : إنه لما اعتلّ دعا بأمواله ، فأُحضرت إليه ، فكانت مئة وأربعين إردبا من الدنانير . وقال لبنيه : كل منكم يأخذ حقه نُصْبَ عينى . فقال له ابنه عبد الله : لا ، والله ، أو تردّ إلى كل ذى حق حقه (١) . فقال : والله ما أجمع بين اثنين منهم .

ولما اشتد به الأمر سمع البكاء من داره ، فقال : أَحْضِروا إلىّ الساعة أربعة آلاف نفس بالسلاح ، فلما أحضروا قيل له : فما تصنع بهم ؟ قال : يكون ألف بباب المدينة ، وألف على الجبل ، وألف على الفَجّ عند بنى وائل (٢) ، وألف على الجيزة . فقال له ابنه : ولم ذلك ؟ قال : يمنعون عنى الموت . فقال : ومن يقدر على هذا ؟ قال : فما هذا البكاء ؟ . لكن صدق على رحمه الله ، فإن غلامه قَنْبَرا كان لا يفارقه ، فقال له على : ما هذا ؟ قال : أخاف عليك . قال : (ممن ؟ من أهل الأرض أم من أهل السماء ؟ (٣) فقال : من أهل الأرض . فقال على : لا تمتد يد من فى الأرض إلا أن يأذن له من فى السماء .

ولما اشتد بعمرو الحال جعل يده موضع الأغلال من عنقه ، وقال : اللهمّ إنك أمرت فتركنا ، ونهيت فزدنا ، ولا ذو قوة فأنتصرَ به ، ولا ذو حجة فأعتذرَ به ، وإنه لا يسعنا إلا عفوُك .

فما زال هذا هِجّيره (٤) حتى مات رحمه الله تعالى .

[حكام مصر فى الإسلام]

وأما ملوكها فى الإسلام من بعد فتحها ، وإلى وقتنا هذا ، فأقول : مرتّبا على الدول .

أول من تولّاها من الأمراء بعد فتحها ، عمرو بن العاص أبو عبد الله القرشى ، رضى

---

(١) كذا فى الأصل (أ) ، وفى الأصل (ب) : ما نقتسم مالك مادمت حيا .

(٢) بنو وائل السهمى جد عمرو بن العاص ، ومكانهم فى مصر قرية فى كفور العلاقة من أعمال الشرقية دون بلبيس ، أنشئت فى زمن العرب نسبة إلى قبيلة العلاقة (ب ٣ : ٧١٠) و (ق ١ : ١٧٤) والفج : الطريق الواسع .

(٣) عبارة (ب) : من أهل الأرض أم من أهل السماء ؟ فإنه لا تمتد يد فى الأرض حتى يأذن من فى السماء .

(٤) هجيره ، وهجيراه : دأبه وعادته .

الله عنه ، فى سنة عشرين من الهجرة النبوية (١) ، من قِبَل عمر بن الخطاب رضى الله عنــه .

وما أحسنَ قولَ أبى الحُسين الجزار فى « الدرة المُضيّة فى الأمراء المصرية » (٢) :

يقول : من أثقلَته الأوزار ، أبو الحسن المذنب الجزّار :

ياسائلى عن أمراءِ مصر * منــذُ حَباها عُمَــرٌ لعمــرو

خذ من جوابى مايزيلُ الإلبسا * واحفظه حفظَ ذاكرٍ لا يَنْسى

أول من كان إليه الأمرُ * مُفَوَّضا بعــد الفتوح عَمْــرُو

ثم وليها بعده ابن أبى السرح ، وهو أبو يحيى عبد الله العامرىّ ، عامر قريش ، فى سنة خمس وعشرين ، وقيل إنه توفى بفلسطين سنة ست وثلاثين .

ثم وليها قيس بن سعد الأنصارىّ الخزرجىّ فى سنة سبع وثلاثين .

(ثم (٣) وليها مالك بن الحارث النخعى الأشتر ، فلما وصل إلى القلزم مات مسموما) .

ثم وليها محمد بن أبى بكر الصديق القرشىّ التيْمىّ من قِبَله أيضا ، فأحرق فى جوف حمار ، وكلاهما فى سنة سبع وثلاثين .

ثم وليها عمرو بن العاص [ثانية] من قبل معاوية سنة ثمــان وثلاثين .

ثم وليها بعده عُتْبَة بن أبى سُفْيان ، أخو معاوية من قِبَــله أيضا سنة ثلاث وأربعين .

ثم وليها عُقْبة بن عامر الجُهَنىّ (٤) سنة أربع وأربعين ، و بها مات .

---

(١) اختلف قدامى المؤرخين فى تاريخ فتح مصر بين السنين الواقعة من سنة ١٦ إلى سنة ٢٥ هـ ، على ماقدمناه (خ ١ : ٢٩٤) .

(٢) هو أبو الحسين يحيى بن عبــد العظيم الجزار المصرى جمــال الدين (٦٠١ — ٦٧٩ هـ) ، كان جزارا بالفسطاط ، وأقبــل على الأدب ، وأوصــله شعره إلى الملوك والسلاطين ، فمدحهم ، وله : « العقــود الدرية فى الأمراء المصرية » ، « وديوان شعر » صغير ، « وفوائد الموائد » (ع ٩ : ١٩٠) و (مع ١ : ٢٤٤) .

(٣) مابين القوسين ساقط من (ا ، ب) ومذكور فى (جـ) .

(٤) هو عقبة بن عامر بن عبس ... بن قيس الجهنى الصحابى (المتوفى سنة ٥٨ هـ) روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، وكان قارئا عالمــا بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان ، شاعرا ، كاتبا ، وهو أحد من جمع القــرآن (حفظه كله) ، وشهد الفتوح ، وكان هو البريد إلى عمــر بفتح دمشق ، وجمع له معاوية فى إمرة مصر بين الخراج والصلاة (إص ٤ : ٢٥٠) .

* وقد سقطت بعده ولاية معــاوية بن حديج (٤٧ هـ) من كل من (ا ، ب ، جـ ، ل ، خ) ، وذكرت فى (ز : ٣٨) ، والراجح أنه كان قائدا للجيش فقط .

ثم وليها مَسْلَمة بن مُخَلَّد[1] الخزرجى سنة سبع وأربعين .

ثم وليها سعيد بن يزيد بن عَلْقمة الأزدى سنة اثنتين وستين من قِبَل يزيد بن معاوية .

ثم وليها عبد الرحمن بن جَحْدم القرشى الفِهْرى سنة أربع وستين من قِبَل عبد الله ابن الزُّبير ، لما بُويع بالخلافة فى مكة ، وبايعه المصريون .

[دولة بنى أمية]

ثم دخلت دولة بنى أمية .

فوليها عبد العزيز بن مروان[2] . ولاه أبوه مَرْوان ، عند ما وصل إلى مصر واستولى عليها ، وكان قد عَهِد إليه بالخلافة بعد أخيه عبد الملك .

ثم عبد الله بن[3] عبد الملك سنة ست وثمانين .

ثم قُرّة بن شَرِيك العَبْسى[4] سنة تسعين .

ثم عبد الملك بن رِفاعة الفُهْمى سنة ست وتسعين .

ثم أيوب بن شُرَحْبيل الأصبحى سنة تسع وتسعين .

ثم بِشر بن صفوان الكلبى[5] سنة إحدى ومئة .

ثم حنظلة[6] بن صفوان ، أخو بشر ، سنة ثلاث ومئة .

---

(١) كما سقطت ولاية محمد بن مسلمة (٦٢ هـ) بعد مسلمة بن مخلد من (أ ، ب ، جـ ، ل) .

(٢) ذكرت (أ ، ب ، جـ) أن اسمه عبد الرحمن بن عبد عبد العزيز بن مروان ، والصواب عبد العزيز بن مروان (مستهل رجب سنة ٦٥ هـ) كما فى (ل : ٧٠) ، و (ز : ٣٨) وكما يفهم من نفس النص .

(٣) بدء ولايته فى (ل : ٧٩) ١١ جمادى الآخرة سنة ٨٦ هـ ، وفى (ز : ٣٨) ١١ جمادى الآخرة سنة ٨٤ هـ

(٤) كانت ولايته فى ١٣ ربيع الأول من السنة المذكورة فى النص ، كما فى (ل : ٨٤) و (ز ، ٣٨) .

(٥) سقطت بعد بشر بن صفوان ولاية أسامة بن زيد (١٠٢ هـ) من (أ ، ب ، ل) . وذكرت فى (ز : ٣٨) .

(٦) كذا فى كل من الأصلين : (أ ، ب) ، وفى (ز : ٣٨) أن بدء ولايته شوّال سنة ١٠٢ هـ ، وهذا هو الصحيح لما جاء فى (ل : ٩٣) من أنه لما بويع هشام بن عبد الملك صرف حنظلة عن الولاية فى شوال سنة ١٠٥ هـ ، فكانت ولايته ثلاث سنين .

ثم محمد بن عبد الملك ، أخو هشام بن مروان ، سنة خمس ومئة .

ثم الحر[(١)] بن يوسف الأموى ، فيها أيضا .

(وأقام فيها إلى آخر سنة ثمان ومئة)

ثم حفص[(٢)] بن الوليد سنة تسع ومئة .

ثم عبد[(٣)] الملك بن رفاعة (ثانية) سنة تسع ومئة .

ثم أخوه[(٤)] الوليد فى السنة المذكورة .

(ثم عبد الرحمن بن خالد الفَهْمى[(٥)] سبعة أشهر وخمسة أيام) .

ثم حنظلة بن صفوان (ثانية) سنة عشرين ومئة .

ثم حفص بن الوليد (ثانية[(٦)]) ، وأقام بها ثلاث سنين .

(ثم حسان بن عتاهية التُّجيبى سنة سبع وعشرين ومئة .

ثم حفص بن الوليد (ثالثة) ، وعزل عنها سنة ثمان وعشرين ومئة .

ثم الحَوْثَرة بن سُهَيل الباهلى فى السنة المذكورة .

---

(١) فى كل من الأصلين : أ ، ب أن اسمه الحسن بن يوسف الأموى ، والصواب الحر كما فى (ل : ٩٥) و (ز : ٣٨) ، وما بين القوسين زيادة فى (جـ) .

(٢) فى (ز : ٣٨) ٣٠ ذى الحجة سنة ١٠٨ هـ ، وفى (ل : ٩٨) أنه لم يمكث سوى جمعتين ، وأنه صرف فى سلخ ذى الحجة سنة ١٠٨ ، فبدء توليته ، على ما جاء فى ل ، منتصف ذى الحجة سنة ١٠٨ لا سنة ١٠٩ كما فى الأصل (أ) .

(٣) بدء ولايته ١٨ المحرم سنة ١٠٩ هـ ، وقد سقطت ولايته من الأصلين : (أ ، ب) ، وذكرت فى (ل : ٩٧) و (ز : ٣٨) .

(٤) سقطت بعد الوليد ولاية الحكم بن قوس بن مخرمة (١١١ هـ) — ولو أن ولايته كانت اسمية — من (أ ، ب ، ل) ، وذكرت فى (ز : ٣٩) .

(٥) بدء ولايته جمادى الآخرة سنة ١١٧ هـ ، وقد سقطت ولايته قبل حنظلة بن صفوان الثانية من الأصل (ب)

(٦) ذكر خطأ فى الأصل (ب) أنها الثالثة . وقد سقطت أسماء أربعة من الولاة فى الأصل (ب) بين حفص ابن الوليد (ثانية) ، وعبد الملك بن مروان اللخمى ، وهم :

حسان بن عتاهية . . . التجيبى (١٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٧ هـ) .

حفص بن الوليد (ثالثة) (٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٧ هـ) .

الحوثرة بن سهيل الباهلى (٢ المحرم سنة ١٢٨ هـ) .

المغيرة بن عبيد الله الفزازى (٢٣ رجب سنة ١٣١ هـ) .

وذكرت فى (ز : ٣٩ ، ل : ١٢٧ ، خ ١ : ٣٠٦) .

ثم المغيرة بن عبيد الله الفزارىّ سنة إحدى وثلاثين ومئة .

ثم عبد الملك بن مروان اللخمى سنة اثنتين وثلاثين ، وهو آخر دولة بنى أمية .

[دولة بنى العباس]

فأول من وليها منهم (صالح[1]) بن علىّ بن عبد الله بن العباس سنة ثلاث وثلاثين ومئة من قِبَل السفاح ابن أخيه ، وهو أول خلفاء بنى العباس .

ثم من بعده أبو عون[2] عبد الملك الأزدى ، كان مولًى للأزد ، سنة ثلاث وثلاثين ومئة .

ثم صالح (ثانية[3]) سنة ست وثلاثين ومئة .

ثم موسى بن كعب ، وهو النقيب التميمىّ ، سنة إحدى وأربعين ومئة .

ثم محمد بن الأشعث[4] ، وهو الأسلمىّ الخزاعى ، سنة اثنتين وأربعين ومئة .

(ثم حُمَيد[5] بن قحطبة الطائى سنة ثلاث وأربعين .

(ثم يزيد بن حاتم المهلبى سنة أربع وأربعين) .

ثم عبد الله بن[6] عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيبى سنة اثنتين وخمسين ومئة .

---

(١) اسم "صالح" سقط فى كل من الأصلين (أ ، ب) ، وذكر فى (ل : ١١٩ ، ز : ٣٩) . كما ذكر فى (جـ : لوحة ٢١) ، وكتبت بهامش (جـ) العبارة الآتية :
"آخر بنى أمية مروان الحمار" .

(٢) اسمه فى (ز : ٣٩) أبو عون عبد الملك بن يزيد الخراسانى ، مولى هناء . وفى (ل : ١٢٣) مولى هناءة من الأزد ، وهو من أهل جرجان ، وقد سقط اسمه من جـ : لوحة ٢٢ .

(٣) بدء ولايته ، كما فى (ز : ٣٩) ، ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٦ هـ ، وفى (ل : ١٢٣) ٥ ربيع الآخر من نفس السنة . وقد سقطت بعده ولاية أبى عون الثانية فى كل من (أ ، ب) ، وذكرت فى (ز : ٣٩ ، ل : ١٢٧ ، خ ١ : ٣٠٦) .

(٤) فى كل من (أ ، ب) أن بدء ولايته ١٤٢ هـ . وفى (ز : ٣٩) ٢٥ ذى الحجة سنة ١٤١ هـ ، وفى (ل : ١٣٠) ٥ ذى الحجة سنة ١٤١ هـ . وقد سقطت بعده ولاية نوفل بن محمد بن الفرات (١٤٢ هـ) من (أ ، ب ، ل) ، وذكرت فى (ز : ٣٩) .
فى جـ بدء ولايته ١٤١ هـ .

(٥) ساقط من الأصل (ب) . وقد سقط بعده أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبى (١٥ ذى القعدة سنة ١٤٤ هـ) من (أ ، ب) ، وذكر فى (خ ١ : ٣٠٧) و(جـ) ، كما سقط محمد بن سعيد (ربيع الثانى سنة ١٥٢ هـ) من(أ ، ب ، ل ، خ) .

(٦) ساقط من (ب) .

ثم أخوه محمد[1] بن عبد الرحمن ، فأقام سنة وشهرين .

ثم موسى[2] بن على اللخمى ، ويقال له : عُلَىّ (للتصغير) ، سنة خمس وخمسين .

ثم عيسى[3] بن لُقمان سنة إحدى وستين .

ثم واضح المنصورىّ ، مولى المنصور ، سنة اثنتين وستين .

ثم منصور[4] بن يزيد الحميرىّ ، فى أواخر السنة المذكورة) .

ثم يحيى[5] أبو صالح الحَرَشى الشهير بابن ممدود، فى أواخرها أيضا .

ثم سالم بن سوادة[6] التميمىّ فى سنة أربع وستين .

ثم إبراهيم بن صالح العباسىّ سنة خمس وستين ومئة .

(ثم موسى بن مصعب[7] الخثعمى ، مولى خثعم ، سنة سبع وستين) .

ثم عسامة بن عمرو بن علقمة المعافرى سنة ثمان وستين .

(ثم الفضل بن[8] صالح العباسى سنة تسع وستين .

ثم على بن سليمان[9] العباسى فى السنة .

ثم موسى بن عيسى[10] العباسىّ سنة تسع وستين) .

---

(١) ساقط من (ب) ، وقد سقط بعده : عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس (١٥ شوّال سنة ١٥٥ هـ) من (أ ، ب ، ل ، خ) ، وذكر فى (ز : ٣٩) .

(٢) ساقط من (ب) ، كما أن مطر ، مولى المنصور (١٥٩ هـ) ، وأبو ضمر محمد بن سليمان (١٥٩ هـ) ساقطان من (أ ، ب ، ل) ، ومذكوران فى (ز : ٣٩) .

(٣) ساقط من (ب) وقد سقط بعده من (أ ، ب ، ل) أبو ضمرة للمرة الثانية (١٦٢ هـ) ، وسلمة بن رجا (١٦٢ هـ) ، وذكر فى (ز : ٣٩)

(٤) فى (ل : ١٤٤) و(ز : ٣٩) الرعينى .

(٥) فى (ب) الحرمى ، فى (ل : ١٤٤) الخـرسى (نسبة إلى خراسان ، كما فى النجوم عن المشتبه للذهبى) ، وفى بعض الكتب الجرشى ، والحرشى ، والكنية مقدمة على الاسم فى (ل : ١٤٤ ، ز : ٣٩) ، وفى (خ ١ : ٣٠٧) يحى بن داود أبو صالح .

(٦) فى (ب) ابن سواد ، والصحيح سواده ، فى (ل : ١٤٦) ، (ز: ٤٠) .

(٧) ساقط من (ب) ، وبدء ولايتـه فى كل من (ل : ١٤٨) و(ز : ٤٠) ٧ ذى الحجـة سنة ١٦٧ هـ . وقد سـقط بعده عسامة بن عمرو بن علقمة المعافرى (٢٦ ذى الحجـة سنة ١٦٨ هـ) من (أ ، ب) ، وذكر فى (خ ١ : ٣٠٨) كما ذكر فى (جـ) باسم أسامة بن عمرو المعافرى .

(٨) ساقط من (ب) .

(٩) ساقط من (ب) .

(١٠) ساقط من (ب). ويلاحظ أن الأصل (أ) قدم ولاية موسى بن عيسى العباسى على : على بن سليمان العباسى ، مع أنه مؤخر عنـه فى كل من : (ل : ١٥٤ ، ١٥٥، ز : ٤٠ ، خ ١ : ٣٠٨) ، وهو الصحيح لأن ولاية موسى بن عيسى العباسى بدأت بعد أن عزل هارون على بن سليمان العباسى فى ٢٦ ربيع الأول سنة ١٧١ هـ ، وبدء ولاية موسى فى (جـ) ١٧٢ هـ لا ١٦٩ هـ .

ثم مَسْلمة بن يحيى سنة اثنتين وسبعين .

ثم محمد بن الأسدى[(١)] سنة ثلاث وسبعين .

ثم داود بن يزيد فى السنة المذكورة .

ثم موسى[(٢)] بن عيسى العباسى ثانية سنة خمس وسبعين .

ثم إبراهيم[(٣)] بن صالح العباسى ثانية سنة ست وسبعين .

ثم عبد الله[(٤)] الشهير بالمُسيَّب [سنة ست وسبعين] .

ثم إسحاق[(٥)] بن سليمان العباسى [سنة سبع وسبعين] .

(ثم هَرْثمة[(٦)] بن أعين سنة ثمان وسبعين .

ثم عبد الملك بن صالح العباسى إلى سلخ ثمان وسبعين)

ثم عبيد الله بن المهدى العباسى سنة تسع وسبعين .

ثم موسى[(٧)] بن عيسى العباسى (ثالثة) (واستمر إلى سنة ثمانين ومئة) .

---

(١) فى (ب) محمد بن أسدى ، وفى (ز : ٤٠) محمد بن زهير بن المسيب الضبى الأزدى ، وفى (ل : ١٥٧ ، وخ ا : ٣٠٨) محمد بن زهير الأزدى .

(٢) هذه هى ولايته الثانية ، وبدؤها فى (ج) سنة ١٧٥ هـ .

(٣) التاريخ الصحيح لبدء ولايته الثانية صفر سنة ١٧٦ هـ كما فى (ل : ١٦٠) ، (ز : ٤٠) ، لا سنة ١٨٦ هـ كما ذكر فى الأصل (أ) . وقد سقط بعده اسم جعفر بن يحيى بن برمك (١٧٦ هـ) من (أ ، ب ، ل) ، وذكر فقط فى (ز : ٤٠) ، وربما كان السبب فى سقوطه أنه كان حاكما نظريا فقط .

(٤) التاريخ الصحيح لبدء ولايته ١٩ رمضان سنة ١٧٦ كما فى (ل : ١٦٠ ، وز : ٤٠) ، لا ١٠٧ هـ كما فى الأصل (أ) . وفى (ج) ١٧٧ هـ .

(٥) بدأت ولايته فى مستهل رجب سنة ١٧٧ هـ . كما فى (ز : ٤٠ ول : ١٦٠) . لا سنة ١٠٧ كما ذكر فى الأصل (أ)

(٦) تقدم هرثمة بن أعين وعبد الملك بن صالح فى الأصل (أ) على ولاية موسى بن عيسى العباسى للمرة الثانية ؛ ومكانهما الصحيح بعد إسحاق بن سليمان العباسى ، لأن ولاية كل منهما بدأت سنة ١٧٨ هـ . ، بينما بدأت ولاية موسى ابن عيسى الثانية سنة ١٧٥ هـ ، وذلك طبقا لما جاء فى (ل : ١٥٨ – ١٦١ ، ز : ٤٠ ، خ ا : ٣٠٩) . ويلاحظ أن هرثمة وعبد الملك ساقطان من الأصل (ب) .

(٧) بدأت ولايته فى ٣ رمضان سنة ١٧٩ هـ . وقد سقطت قبل ولايته هذه ولاية عبيد الله بن المهدى العباسى الأولى (١٢ المحرم سنة ١٧٩ هـ) من (أ ، ب) ، وذكرت فى (خ ا : ٣٠٩) ، كما ذكرت فى (ج) .

ثم عُبيد الله بن المهدىّ (ثانية) فى سنة ثمانين إلى رمضان سنة إحدى وثمانين .

ثم إسماعيل بن صالح العباسى سنة إحدى وثمانين .

(ثم إسماعيل[1] بن عيسى سنة اثنتين وثمانين ومئة) .

ثم الليث بن[2] الفضل الأَبِيَوَرْدىّ سنة اثنتين وثمانين أيضا .

ثم أحمد بن[3] إسماعيل العباسى سنة سبع وثمانين .

ثم عبد[4] الله بن محمد العباسى الذى يقال له : ابن زينب ، فأقام إلى سنة تسعين ومئة .

ثم الحسين بن جميل الأزدى فى سنة تسعين أيضا .

(ثم مالك بن[5] دُلْهُم الكلبىّ سنة اثنتين وتسعين ومئة) .

ثم الحسن بن[7] جميل البَجْباح سنة ثلاث وتسعين .

ثم حاتم بن[7] هرثمة بن أعين ، ولم يزل بها حتى انصرف فى سنة خمس وتسعين .

(ثم جابر بن[8] الأشعث الطائى فى السنة المذكورة) .

(ثم عباد[9] بن محمد أبو نصر مولى كِيَبِره سنة ست وتسعين) .

ثم المطلب بن عبد الله الخزاعى سنة ثمان وتسعين .

ثم العباس بن موسى فيها أيضا .

---

(١) ساقط من (ب) .

(٢) بدء ولايته ٢٥ شوّال سنة ١٨٢ ، كما فى (ز : ٤٠) ، و ٥ شوّال من نفس السنة فى (ل : ١٦٥ ، خ ١ : ٣٠٩) ، ونسبته فى المقريزى (خ ١ : ٣٠٩) اليوردى من أهل بيورد .

(٣) ساقط من (أ) ، وبدء ولايته ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٨٧ كما فى (ل : ١٦٧ ، ز : ٤٠) .

(٤) فى (ب) عبد الله بن محمد ، وكذلك فى (ل : ١٦٨) . وفى (ز : ٤٠ ، خ ١ : ٣٠٩) عبيد الله بن محمد . وبدء ولايته ، كما فى (ل ، ز ، خ) ١٥ شوّال سنة ١٨٩ هـ . وفى (جـ) : أبو محمد ، وأبو زينب .

(٥) ساقط من (ب) .

(٦) فى (ز : ٤٠ ، خ ١ : ٣١٠) الحسن بن التختاح بن التختكان ، ويسمى أيضا أبو على بن البحباح البلخى ، وفى (ل : ١٧٢) الحسن بن التختاخ ، وفى (ب) الحسين بن جميل البجاى ، وفى (جـ) الحسن بن البجباح ، (لوحة ٢٣) .

(٧) بدء ولايته ، كما فى (ز : ٤٠ ، ل : ١٧٣) ٢٢ ربيع الأول سنة ١٩٤ هـ .

(٨) ساقط من (ب) ، وقد سقط بعده من (ل ، أ ، ب) اسم ربيعة بن قيس (١٩٦ هـ من قبل الأمين)

(٩) ساقط من (ب) ، واسمه فى (ز : ٤٠) عباد بن محمد بن حيان البلخى . وفى (جـ) : مولى كنده (لوحة ٢٣) .

(ثم المطلب بن[1] عبد الله (ثانية) سنة تسع وتسعين) .

ثم السّرىّ[2] بن الحكم سنة مئتين .

ثم سليمان بن[3] غالب سنة إحدى ومئتين .

(ثم السرى بن الحكم الثانية فيها أيضا)

(ثم محمد[4] بن السرى) .

ثم عبيد الله بن السرى فى سنة ست .

(ثم عبد الله بن[5] طاهر ، مولى خزاعة ، سنة إحدى عشرة ومئتين .

ثم عيسى بن يزيد الجلودى سنة ثلاث عشرة ومئتين .

ثم عُمير بن الوليد التيمىّ سنة أربعَ عشرةَ .

ثم عيسى بن[6] يزيد ثانية فيها أيضا .

ثم عَبْدَوَيْه بن جبلة سنة خمس عشرة .

ثم عيسى بن[7] منصور ، وكان مولى بنى نصر .

---

(١) ولايته الثانيـة ساقطة من (ب) ، ولا خلاف بين (ز ، ل ، خ) فى بدء ولايته الأولى (١٥ ربيع الأول سنة ١٩٨ هـ)أو الثانية (١٤ المحرم سنة ١٩٩ هـ) ، إنما الخلاف بينها أن الخطط اعتبرت ولايته الأولى مستمرة ، وإن كانت تتفق مع (ز ، ل)فى أن إطلاق الجند له من السجن وإقامته بالإجماع واليا حدث فى ١٤ المحرم سنة ١٩٩ .

(٢) اسمه فى (ز : ٤١) السرى بن الحكم بن يوسف الزطى ، والزط ، قوم سـود نحاف من أهل السند كانوا يشتغلون بالبصرة . (٣) ساقط من (ب ، ز) ، واسمه فى (ل : ١٩٠ ، خ ١ : ٣١٠) سليمان بن غالب ابن جبريل البجلى . وقد سقطت بعده ولاية السرى بن الحكم الثانية (١٢ شعبان سنة ٢٠١ هـ ، كما فى (ل : ١٩١ ، خ١ : ٣١٠ ، جـ : لوحة ٢٣) من (أ ، ب ، ز) . (٤) ساقط من (أ) ، واسمه فى (ز : ٤١) أبونصر محمد السرى ، وفى (خ ١ : ٣١٠) محمد بن السرى أبونصر ، وفى (ل : ١٩٦) أبوالنصر بن السرى واسمه محمد ، وبدء ولايته فى (ز) : ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٢٠٥ هـ ، وفى (خ ١ ، ل) : أول جمادى الآخرة من نفس السنة . وفى (جـ) سنة ٢٠٥هـ ، (لوحة ٢٣) . وقد سقطت بعده ولاية عبيدالله بن السرى (٩ شعبان سنة ٢٠٦ هـ) ، كما فى (ل : ١٩٨ ، خ١ : ٣١١ ، جـ : لوحة ٢٣ ، ز : ٤١) من (أ ، ب) . (٥) ساقط من (أ) ، وبدء ولايته ، كما فى (ز : ٤١) ٥ المحرم سنة ٢١١ هـ . وفى (ل : ٢٠٦ وخ ١ : ٣١١) ٢ ربيع الأول سنة ٢١١ هـ . (وفى جـ) سنة ٢١١ هـ . وقد سقط بعده المعتصم (١١ ذى القعدة سنة ٢١٣ هـ) من (أ ، ب ، ل) ، وإن لم يكن إلا حاكما فخريا ، كما سقط اسم عيسى بن يزيد الجلودى بعد ذلك من (أ : ب) ، وبدء ولايته ، كما فى (ز : ٤١ ، ل : ٢٠٨ ، خ ١ : ٣١١) ١٧ ذى القعدة سنة ٢١٣ هـ ، وفى (جـ) سنة ٢١٣ هـ أيضا . (٦) هذه هى ولايته الثانية ، وفى (أ) عيسى بن منصور خطأ ، وتزيد (ل : ٢١١) إلى اسمه الجلودى . (٧) اسمه فى (ز : ٤١) عيسى بن المنصور بن موسى الرافعى ، وبدء ولايته ، كما فى (ز : ٤١ ، ل : ٢١٤ ، خ ١ : ٣١١) مستهل المحرم سنة ٢١٦ هـ .

قال الجزار : وكان عند ذلك قدوم المأمون لمصر والدنيا له تدين فى سنة سبع عشرة ومئتين بعد عام الهجرة ، ثم ولاها المأمون عند قدومه مصر :

كَيْدَر (١) بن عبد الله السعدى ، فأقام إلى سنة تسع عشرة .

ثم المظفر بن كيدر المذكور فى السنة المذكورة .

ثم [موسى (٢)] بن أبى العباس الشهير بالحنفى فى السنة المذكورة أيضا .

ثم مالك (٣) بن كيدر .

(ثم على بن (٤) يحيى الأرمنى) ، وكلاهما فى سنة أربع وعشرين .

ثم عيسى بن منصور ثانية سنة تسع وعشرين .

(ثم هرثمة بن (٥) النضر الجبلى سنة ثلاث وثلاثين .

(ثم حاتم بن (٦) هرثمة (بن النضر) فى السنة المذكورة ، وكانت ولايتـه شهرا كاملا) .

ثم على (٧) بن يحيى الثانية سنة أربع وثلاثين ومئتين .

ثم إسحاق (٨) بن يحيى الجبلى سنة خمس وثلاثين .

ثم عبد الواحد (٩) بن يحيى الفارض ، وهو مولى خزاعة ، سنة ست وثلاثين .

---

(١) فى (ز : ٤١) اسمـه عبد الملك نصر بن عبد الله الصفدى المعروف بكيدر ، وأبو مالك نصر الصـفدى . وبدء ولايته فى (ز : ٤١) صفر سنة ٢١٧ هـ .

(٢) " موسى " ساقطة من (أ ، ب) .

(٣) بدء ولايته فى (ل : ٢١٩ ، ز : ٤١) ٢٢ ربيع الأول سنة ٢٢٤ هـ .

(٤) بدء ولايتـه الأولى ، كما فى (ل : ٢٢٠) ٧ أو ٩ ربيـع الأول سـنة ٢٢٦هـ . وفى : (ز : ٤١) ٩ ربيع الثانى من نفس السنة ، وفى (جـ لوحة ٢٤) سنة ٢٢٤ هـ وولايته الأولى ساقطة من (أ) . وقد سقط بعده واليان من (أ ، ب) هما : عيسى بن المنصور الرافعى للمرة الثانية (٧ المحرم سـنة ٢٢٩ هـ) ، وإيتاخ الـتركى (٢٣٠ – ٢٣٥ هـ) ، وثانيهما ساقط أيضا من (ل : خ) ، وذكرا ولهما فى (جـ : لوحة ٢٤) .

(٥) ساقط من (أ) ، وبدء ولايتـه — كما فى (ز : ٤١ ، ل : ٢٢٢) ٦ من رجب سـنة ٢٣٣ هـ . وفى (جـ : لوحة ٢٤) سنة ٢٣٣ هـ . والجبلى أى من أهل الجبل (خ ١ : ٣١٢) .

(٦) ساقط من (أ) ، وبدء ولايته فى (ل : ٢٢٢) ٦ من شوّال سـنة ٢٣٤ هـ ، وفى (ز : ٤١) ٦ من رمضان من نفس السنة .

(٧) هذه هى ولايته الثانية ، وبدؤها فى (ل : ٢٢٣) ٦ من رمضان سنة : ٢٣٤ هـ ، وفى (ز : ٤١) ٦ من شوّال من نفس السنة .

(٨) اسمه فى (ز : ٤١) اسحاق بن يحيى الجبلى بن معاذ الخطلانى .

(٩) فى (ب) الفارضى ، وفى (ل : ٢٢٥ ، خ ١ : ٣١٢) خوط عبد الواحد بن يحيى . وخوط علم أطلق على صاحبه لخفته وحسن خلقه .

ثم عنبسة بن إسحاق الضبيّ سنة ثمان وثلاثين ومئتين .

ثم يزيد بن[1] عبد الله التركى ، وهو من الموالى ، سنة اثنتين وأربعين .

ثم مُزَاحِم بن خاقان سنة ثلاث وخمسين .

ثم أحمد بن مزاحم سنة أربع وخمسين .

ثم أرجوز[2] التركى فيها أيضا .

ثم أحمد بن طولون سنة أربع وخمسين .

ثم أبو الجيش[3] خمارويه سنة [سبعين] ومئتين .

ثم ابنه أبو العساكر جيش بن خمارويه سنة اثنتين وثمانين .

ثم أبو موسى[4] هارون (أقام ثمان سنين وثمانية أشهر وأياما) .

ثم شَيبان بن أحمد بن طولون سنة اثنتين وتسعين ومئتين .

([ثم أبو موسى عيسى[5] بن محمد] النُّوشرى) [سنة اثنتين وتسعين] .

(ثم تُكين[6] ، سنة اثنتين وتسعين ومئتين) .

---

(١) سقط قبله اسم الفتح بن خاقان بن أرتق التركى (٢٤٢ – ٢٤٧ هـ) من (أ ، ب ، ل ، جـ) وتزيد (ز : ٤٢) إلى الاسم قبل التركى ابن دينار .

(٢) فى (ل : ٢٣٧) أزجور التركى ، وفى (ز : ٤٢) يركوج (أو أرجور أراوغرز) بن أولغ بن طرخان التركى ، وفى (جـ : لوحة ٢٤) أزجوز .

(٣) بدء ولايته فى كل من (أ ، ب) ٢٨٩ هـ ، وفى (جـ) ٢٨٧ هـ ، والصواب أن ولايته بدأت سنة ٢٧٠ هـ كما فى (ز : ١٤٣ ، ل : ١٥٨ ، خ ١ : ٣٢٢) ، لا سنة ٢٨٩ هـ كما فى (أ ، ب) ولا سنة ٢٨٧ هـ كما فى (جـ) . وقد سقط بعده أبو العساكر جيش بن خمارويه (ذو القعدة سنة ٢٨٢ هـ) من (أ ، ب) .

(٤) بدء ولايته كما فى (ل : ٢٦٦) ١٠ جمادى الآخرة سنة ٢٨٣ هـ .

(٥) ساقط من (ب) ، واسمه الكامل : أبو موسى عيسى بن محمد النوشرى (١٤ جمادى الأولى سنة ٢٩٢ هـ) كما فى (ز : ٤٢) . وقد سقط قبله محمد بن سليمان الكاتب (مستهل ربيع الأول سنة ٢٩٢ هـ) ، كما سقط بعده من (ل ، أ ، ب) أبو عبد الله بن محمد بن على الخلنجى (ثائر ، ٢٦ ذى القعدة سنة ٢٩٢ هـ) ، وأبو العباس ابن بسطام (مستهل شعبان سنة ٢٩٧ هـ) واسم الخلنجى فى (خ ١ : ٣٢٧) محمد بن الخليج ، وقد دخل الفسطاط لأربع عشرة بقيت من ذى القعدة سنة ٢٩٢ هـ ، فلعل التاريخ الصحيح لبدء ولايته ١٦ ذى القعدة لا ٢٦ .

(٦) اسمه الكامل : أبو منصور تكين بن عبد الله الخزرى الخاصة ، والتاريخ الصحيح لبدء ولايته ١١ شوال سنة ٢٩٧ هـ كما فى (ل : ٢٨٦ ، ز : ٤٢) ، وذلك لأن عيسى النوشرى توفى يوم الأربعاء لأربع بقين من شعبان سنة ٢٩٧ هـ وهو وال على مصر . وولاية تكين هذه ساقطة من الأصل (ب) .

(ثم ذُكا أبو الحسن الأعور سنة ثلاث وثلاث مئة) (١) .

(ثم تكين (ثانية) (٢) ، وصرف عنها سنة تسع وثلاث مئة .

ثم هلال بن بدر فيها أيضا .

(أحمد بن كَيْغلغ (٣) سنة إحدى عشرة وثلاث مئة) .

(ثم تكين (ثالثة) فيها أيضا) .

ثم محمد بن طُغج (٤) الفرغانى سنة إحدى وعشرين .

(ثم أحمد بن كَيْغلغ (٥) ثانية سنة إحدى وعشرين) .

(ثم محمد بن طغج (٦) (ثانية) سنة ثلاث وعشرين) .

ثم أبو القاسم (٧) علىّ الإخشيد سنة خمس وثلاثين .

---

(١) ساقط من (ب) .

(٢) ساقط من (ب) ، وبدء ولايته ٨ ربيع الأول سنة ٣٠٧ هـ كما فى (ز : ٤٢) ، و ١١ شعبان من نفس السنة كما فى (ل : ٢٩٤) . وقد سقط بعده أبو قابوس محمود بن حمك (أو حمل أو أحمد ، ١٣ ربيع الأول سنة ٣٠٩ هـ) من (أ ، ب ، ل) ، وقضى فى ولايته هذه ثلاثة أيام فقط ، لذلك يرجح أن (أ : ل) اعتبرتا ولاية تكين الثانية مستمرة ، أما (ز) ، اعتمادا على ابن تغرى بردى فى (ن ٣ : ٢١٠) والمقريزى فى (خ ١ : ٣٢٨) ، فقد اعتبرت ولايته ولاية خاصة تفصل بين ولايتى تكين الثانية والثالثة ، وجعلت مبدأ الثالثة ١٦ ربيع الأول سنة ٣٠٩ هـ . وما سمته (أ : ل) الولاية الثالثة لتكين عدته (ز) ولاية رابعة له (٣ ذى القعدة سنة ٣١١ هـ) . ونتيجة لهذا قدمت (أ ، ل) ولاية هلال بن بدر (٦ ربيع الآخر سنة ٣٠٩ هـ) وأحمد بن كيغلغ (مستهل جمادى الأولى سنة ٣١١ هـ) على ولاية تكين الثالثة فى اعتبارها (١٦ ربيع الأول سنة ٣٠٩ هـ) ، بينما قدمت (ز) ولاية تكين الثالثة فى اعتبارها (١٦ ربيع الأول سنة ٣٠٩ هـ على ولايتى هلال بن بدر ، وأحمد ابن كيغلغ الأولى .

(٣) هذه هى ولايته الأولى وقد تقدم تاريخ بدئها ، وهى ساقطة من الأصل (ب) . وقد سقط بدء محمد ابن تكين (١٦ ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ) من الأصلين (أ ، ب) ، وذلك لأنهما لم تعتبرا ولاية محمد بن تكين ، نظرا لأن أحداثها جاءت مختلطة بأحداث هذه الفترة ، واعتبرتا ولاية أحمد بن كيغلغ مستمرة . أما (ل : ٣٠١) فقد عقدت لها فصلا خاصا ، وإن كانت لم تصف ولاية أحمد بن كيغلغ الأخيرة بأنها الثالثة .

(٤) وبدء ولايته ٧ من رمضان سنة ٣٢١ هـ .

(٥) هذه هى ولايته الثانية ، وتاريخها ٧ أو ٩ شوال سنة ٣٢١ هـ . وهى ساقطة من الأصل (ب) .

(٦) هذه هى ولايته الثانية ، وتاريخها ٢٣ رمضان سنة ٣٢٣ هـ ، وهى كذلك ساقطة من الأصل (ب) .

(٧) فى الأصل (ب) أبو على الأحسير ، وفى (أ) أبو القاسم على الأحسير ، وأغلب الظن أن الأحسير محرف عن الإخشيد ، كما يرجح أن يكون المقصود به : أبو القاسم أونوجور بن الإخشيد (٢١ ذى الحجة سنة ٣٣٤ هـ) . وفى (خ ١ : ٣٢٩) أونوجور . وقد سقط بعده : أبو الحسن على بن الإخشيد (١٣ أو ٢٠ ذى القعدة سنة ٣٤٩ هـ) .

ثم تولاها الإخشيد بنفسه ، ومازال فيها إلى سنة خمس وخمسين وثلاث مئة .

ثم من بعده الطواشى[(١)] كافور ، وما زال فيها إلى سنة سبع وخمسين .

ثم أحمد[(٢)] بن على الإخشيد .

ثم الطواشى[(٣)] جوهر أخو كافور ، وكلاهما فى سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة .

[دولة الفاطميين]

ثم دخلت دولة الفاطميين ، فوليها :

المعز[(٤)] [أبو تميم معد] ، وهو أول دولة الفاطميين ، فى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاث مئة .

ثم العزيز[(٥)] بالله ، واسمه نزار ، وكنيته أبو المنصور ، ولا زال بها إلى أن مات (فى سنة ست وأربع مئة) .

ثم ابنه[(٦)] الحاكم ، وكنيته أبو على المنصور ، ولا زال بها إلى أن قتل (سنة إحدى عشرة وأربع مئة) .

(ثم الظاهر أبو الحسن على فى سنة إحدى عشرة وأربع مئة) .

ثم المستنصر[(٧)] بن الظاهر ، وكنيته : أبو تميم معد (بويع له فى شعبان سنة سبع وعشرين ، وعمره سبع سنين ، وتوفى ثامن عشر ذى الحجة سنة سبع وثمانين) .

---

(١) وبدء ولايته ١١ المحرم سنة ٣٥٥ هـ .   (٢) بدؤها جمادى الأولى سنة ٣٥٧ هـ .

(٣) ساقط من (ل ، ز ، خ) .   (٤) فى (ب) و (جـ) ابن يونس ، وفى (ا) أبو يونس ، ولم نجد لهذه الكنية أصلا فى المراجع التى اطلعنا عليها ، وهو رابع الخلفاء الفاطميين ، وأولهم بمصر ، وقد دخل القاهرة فى نفس التاريخ المذكور فى النص .

(٥) فى (ح : ١١١) أبو النصر ، وبدء خلافته فى (ز : ١٤٤) ٥ ربيع الثانى سنة ٣٦٥ هـ ، ولا بد أنها بدأت بعد هذا التاريخ لأن المعز ، والده ، توفى فى ٧ ربيع الثانى من نفس السنة ، وتاريخ وفاته ٣٨٦ هـ كما فى (ح : ١١١) لا ٤٠٦ هـ كما ذكر فى (ا) . ولا سنة ٣٠٦ هـ كما جاء فى (جـ : لوحة ٢٥) .

(٦) بدء خلافته ٢٩ رمضان سنة ٣٨٦ هـ كما فى (ز : ١٤٤) . وقد سقط بعد الحاكم من (ا ، ب) اسم الظاهر أبو الحسن على (١٠ ذى الحجة سنة ٤١١ هـ ، كما فى ز : ١٤٤) ، وكانت وفاة الحاكم ، والده ، فى ٧ شوال سنة ٤١١ هـ . كما فى (ح : ١١٧) . وفى (جـ) بدأت خلافة الظاهر سنة ٤١١ هـ .

(٧) فى الأصل (ب) المنتصر خطأ .

(ثم المستعلى[(١)] أبو القاسم أحمد بن المستنصر ، ومكث تسعا وعشرين سنة) .

ثم الحافظ[(٢)] أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله ، (ثم بويع له بعد قتل أبيه الآمر ، واستبدّ بالخلافة حتى مات فى سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة) .

(ثم الظافر[(٣)] إسماعيل ، بويع له سنة أربع وأربعين وخمس مئة) ، ثم قتله وزيره عباس .

ثم الفائز عيسى (سنة تسع وأربعين) .

ثم العاضد[(٤)] أبو محمد عبدالله بن يوسف ، وهو آخر الفاطميين ، فى سنة خمس وخمسين وخمس مئة .

ثم شيركوه مدّة يسيرة تقارب الشهرين .

[دولة الأكراد]

ثم دخلت دولة الأكراد :

فوليها السلطان[(٥)] صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة أربع وستين وخمس مئة ، وتوفى فى سنة تسع وثمانين .

---

(١) ساقط من الأصل (ا) ، وقد بدأت خلافته فى ذى الحجة سنة ٤٨٧ هـ كما فى (ز : ١٤٥ ، ح : ١١٧) . وقد سقط بعده من (ا ، ب ، جـ) الآمر ، أبو على المنصور (١٤ صفر سنة ٤٩٥ هـ) كما فى (ز : ١٤٥) ، وقتل سنة ٥٢٤ كما فى (ح : ١١٨) .

ولكن المستعلى كان قد توفى لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة ٤٩٥ هـ كما فى (خ ١ : ٣٥٦) ، فكأن الآمر قد تولى الخلافة فى حياة المستعلى ، ولم نقف على ما يؤيد هذا .

(٢) بدء خلافته ١٥ المحرم سنة ٥٢٥ هـ . ويؤخذ من العبارة التى وردت فى الأصل (ا) ، وفى (جـ) بعد اسم الحافظ « ثم بويع ... إلخ » أنه ابن الآمر ، وأنه بويع بالخلافة ، وأنه مات سنة ٥٤٣ هـ .

والحقيقة أنه ليس ابناً للآمر ، وإنما هو ابن عم له ، وأنه تقلد الخلافة بوصفه كفيلا لمنتظر فى بطن أمه من أولاد الآمر ، ثم هم بعض الوزراء بخلعه لأنه لم يكن سوى كفيل لغيره ، وذلك الغير لم يخرج إلى حيز الوجود ، وسجن ، ثم أطلق من سجنه ، وأخذ له عهد على أنه ولى عهد كفيل لمن يذكر اسمه ، فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر (خ : ١ : ٣٥٧) .

وفى سنة ٥٤٤ هـ ثارت ثورة فى القاهرة بين طوائف العسكر ، فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة من نفس السنة لا من سنة ٥٤٣ كما جاء فى الأصل (ا) ، (انظر خ ١ : ٣٥٧ ، ز : ١٤٥ ، ح : ١١٨) .

(٣) ساقط من (ا) ، وكنيته أبو المنصور ، وتولى الخلافة فى ٦ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ كما فى (ز : ١٤٥) ، أى بعد وفاة عبد المجيد بليلة واحدة . وفى (جـ : لوحة ٢٥) سنة ٥٤٤ هـ أيضاً .

(٤) وبموت العاضد انتهت دولة الفاطميين بمصر ، ومدتها ٢٠٨ سنوات ، وأربعة أشهر ، و ٢٢ يوماً ، أولها يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، وآخرها يوم الأحد ١٠ المحرم سنة ٥٦٧ هـ . (خ ٢ : ٢٣٢) .

(٥) لما مات شيركوه ، عمه ، أقيم بعده فى وزارة العاضد يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ هـ ، ولقبه الملك الناصر ، واستبد بالسلطنة من أول سنة ٥٦٧ هـ (خ ٢ : ٢٣٣) .

ثم ولده العزيز[(١)] إلى أن توفى (سنة خمس وتسعين وخمس مئة) .

ثم الأفضل[(٢)] نور الدين على بن صلاح الدين ، (فمكث إلى سنة ست وتسعين) .

ثم العادل[(٣)] (فيها إلى أن مات سنة خمس عشرة وست مئة) .

ثم ابنه[(٤)] الكامل ، (فى السنة المذكورة إلى عشية الأربعاء الحادى والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين وست مئة) .

ثم بعده ابنه العادل الصغير[(٥)] (فى مستهلّ ذى القعدة من السنة المذكورة) .

ثم الصالح[(٦)] بن الكامل ، (وتوفى فى نصف شعبان سنة سبع وأربعين وست مئة) .

ثم ابنه المعظم تورنشاه (إلى ثامن وعشرى ذى القعدة من السنة المذكورة) .

ثم من بعده أم خليل[(٧)] ، وتلقب بشجرة الدُّر، فى صفر سنة ثمـان وأربعين وست مئة).

---

(١) فى (ا) عبد العزيز، وفى (ب، ز ، خ) العزيز ، وهو الصحيح . واسمه الكامل : السلطان الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ، وقد أقيم يوم وفاة والده فى ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ . وقد سقط بعده من (ا ، ب) الملك المنصور ناصر الدين محمد (مستهل صفر سنة ٥٩٥ هـ ، كما فى ز : ١٥٠ ، أو فى ليلة ٢٠ المحرم من نفس السنة كما فى خ ٢ : ٢٣٥) .

(٢) لم يعد بين الخلفاء الفاطميين إلا فى (ا ، ب) . والحقيقة أنه قدم من صرخد لما اختلف أمراء الدولة على الملك المنصور ، فاستولى على الأمور ، ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم ، ثم طارده وحصره العادل [الأول] ، فصالحه وعوضه ، ثم قنع بالعودة إلى صرخد (خ ٢ : ٢٣٥) .

(٣) اسمه الكامل : السلطان الملك العادل [الأول] سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب (خ ٢ : ٢٣٥)، أبو بكر أحمد فى (ز : ١٥٠) ، وهو عم والد السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد (خ ٢ : ٢٣٥) .

(٤) اسمه : السلطان الملك الكامل [الأول] ناصر الدين أبو المعالى محمد (خ ٢ — ٢٣٥ ، ز : ١٥٠)

(٥) هو السلطان الملك العادل [الثانى] سيف الدين أبوبكر بن الكامل [الأول] خلعه الأمراء يوم الجمعة ٨ ذى القعدة سنة ٦٣٧ هـ (خ ٢ : ٢٣٦) .

(٦) هو السلطان الملك الصالح نجم الدين أبوالفتوح أيوب، تولى السلطنة بقلعة الجبل فى ذى القعدة سنة ٦٣٧ هـ ، وهو أخو العادل [الثانى] ، وزوج شجرة الدر ، أم ولده خليل ، وتوفى فى ١٤ شعبان سنة ٦٤٧ هـ ، فكتمت شجرة الدر موته واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا ، وسلمت إليه مقاليد الأمور (خ ٢ : ٢٣٦) .

(٧) لما قتل توران شاه أقامتها المماليك البحرية فى السلطنة ،وحلفوا لها فى العاشر من صفر سنة ٦٤٨ هـ ، وجعلوا الأمير عز الدين أيبك التركمانى مقدم العسكر ، ثم تزوجها هذا الأمير ، ونزلت له عن السلطنة ، تركب بشعارها فى يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٨ هـ ، وكانت مدتها فى السلطنة ثمانين يوماً .

والمقريزى يعد سلطنتها وسلطنة المعز عز الدين أيبك فى دولة المماليك البحرية لا فى دولة الأكراد (خ ٢ : ٢٣٧) .

وبموت توران شاه انقضت دولة بنى أيوب من مصر بعدما أقامت إحدى وثمانين سنة وسبعة عشر يوماً ، وملك منهم ثمانية ملوك (خ ٢ : ٢٣٦) .

ثم الأشرف[١] بن [الناصر يوسف بن محمد]، وخلع فى جمادى الأولى من السنة المذكورة.

قال أبو الحسين[٢] الجزار :

وبعده أُمُّ خليلٍ مَلَكَتْ * وطابت الأفعالُ منها وزَكَتْ
والملكُ الأشرف كان طِفلًا * فلم يدبر عَقْدَها والحَلّا

ثم استبدّ بالملك المعز ثم ابنه .

والله تعالى أعلم .

[دولة الترك]

ثم دخلت دولة الترك :

فولى الملك المعز أيبك[٣] ثانية ، واستبدّ بالملك فى سنة اثنتين وخمسين وست مئة ، وهو أول ملوك الترك .

ثم ابنه الملك المنصور[٤] ، (ومكث بها إلى سنة خمس وخمسين وست مئة) .

ثم الملك المظفر قُطُز[٥] (فى ذى القعدة سنة سبع وخمسين) .

ثم الملك الظاهر بيبرس[٦] فى ثامن عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وست مئة .

---

(١) اسمه الكامل : مظفر الدين موسى بن الناصر . وقد اجتمع رأى الأمراء على إقامته شريكاً للمعز فى السلطنة ، وعمره نحو ست سنين ، فى خامس جمادى الأولى ، وصارت المراسيم تصدر باسم الملكين إلا أن الأمر والنهى للمعز ، وليس للأشرف سوى الاسم . ثم قطع المعز اسم الأشرف من الخطبة لما بلغه تحرك التتر على بغداد ، وقبض على الأشرف وسجنه ، وانفرد هو بالسلطنة ، فكان الأشرف موسى آخر ملوك بنى أيوب بمصر (خ ٢ : ٢٣٧) ، وفى (ز : ١٥١) الأشرف موسى بن يوسف بن محمد .

(٢) أبو الحسين الجزار : تقدمت ترجمته .

(٣) الواقع أن سلطنته كانت مستمرة منذ نزلت له عنها شجرة الدر آخر ربيع الأول سنة ٦٤٨ ﻫ إلى أن قتلته ليلة الأربعاء ٢٤ ربيع الأول سنة ٦٥٥ ﻫ . (خ ٢ : ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

(٤) اسمه الكامل : السلطان الملك المنصور نور الدين على بن المعز أيبك ، قام فى يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول سنة ٦٥٥ ﻫ ، وخلع فى يوم السبت ٢٤ ذى القعدة سنة ٦٥٧ ﻫ (خ ٢ : ٢٣٨) ، فما ذكر فى الأصل (أ) على أنه تاريخ نهاية سلطنته هو فى الحقيقة تاريخ بدء حكمه .

(٥) هو السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز ، تولى فى ٢٤ ذى القعدة من السنة المذكورة ، وهو الذى هزم جمع هولاكو على عين جالوت فى يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ ﻫ ، فكانت هذه أول هزيمة عرفت للتتر منذ قاموا (خ ٢ : ٢٣٨) .

(٦) اسمه الكامل : السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح البندقداري الصالحي .

ثم ابنه الملك السعيد(١) بعد وفاة أبيه (سنة خمس وسبعين)، ثم خلع فى سنة ثمان وسبعين.

وإلى هنا انتهى نظم الجزار، وعدّة ما فيه من الأمراء والملوك (مئة وواحد وثلاثون).

ثم أخوه الملك العادل سلامش(٢) بن الملك الظاهر (بعض سنة ثمان وسبعين) .

ثم الملك المنصور(٣) سيف الدين قلاوون الصالحىّ الألفىّ ، فى سنة ثمان وسبعين وست مئة إلى أن مات فى (ذى القعدة) سنة تسع وثمانين .

ثم ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل (فى بقية السنة المذكورة ، إلى أن قتل سنة ثلاث وتسعين وست مئة) .

ثم الملك الناصر(٤) ناصر الدين محمد بن المنصور قلاوون فى هذه السنة ، ثم خلع فى سنة أربع وتسعين) .

(ثم الملك العادل زين الدين كَتْبُغَا(٥) المنصورىّ فى بعض هذه السنة ، ثم خلع سنة ست وتسعين) .

ثم الملك المنصور(٦) حسام الدين لاجين المنصورىّ (بقية هذه السنة، وقيل فى ربيع الأول سنة ثمان وتسعين) .

ثم الملك الناصر(٧) محمد ثانية (فى بعض هذه السنة، ثم خلع نفسه فى سنة ثمان وسبع مئة).

---

(١) هو السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة قان ، جلس على العرش فى يوم الخميس ٢٦ صفر سنة ٦٧٦ هـ ، كما فى (خ ٢ — ٢٣٨) . وفى (ز : ١٦٢) بركة خان .

(٢) واسمه الكامل : السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش ، تولى السلطنة وعمره سبع سنين ، فقام بتدبير أموره الأمير قلاوون أتابك العساكر ، ثم خلعه بعد مئة يوم ، وسجنه مع أخيه بركة فى الكرك (خ ٢ : ٢٣٨) .

(٣) يضيف المقريزى إلى اسمه العلائى (خ ٢ : ٢٣٨) .

(٤) ساقط من الأصل (ا) ، تولى السلطنة سنة ٦٩٣ هـ ، وخلعه الأمير زين الدين كتبغا بعد سنة تنقص ثلاثة أيام (خ ٢ : ٢٣٩) .

(٥) ساقط من الأصل (ا) ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون ، وجلس على العرش بقلعة الجبل فى يوم الأربعاء ١١ المحرم سنة ٦٩٤ هـ كما فى (خ ٢ : ٢٣٩) .

(٦) أحد مماليك الملك المنصور قلاوون ، وجلس على العرش بقلعة الجبل فى يوم الاثنين ٢٨ المحرم سنة ٦٩٦ هـ ، وقتل ١١ ربيع الآخر سنة ٦٩٨ هـ (خ ٢ : ٢٣٩) فى الأصل (ا) وفى (ب) : « وقيل فى ربيع الأول » ولعلها محرفة عن « قتل » .

(٧) أعيد إلى السلطنة للمرة الثانية فى ٦ جمادى الأولى سنة ٦٩٨ هـ (خ ٢ : ٢٣٩) .

ثم المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير[١] (المنصورى فى السنة المذكورة، ثم خلع نفسه فى سنة تسع وسبع مئة) .

ثم الملك الناصر محمد[٢] (ثالثة) لما قدم من الكرك إلى مصر (فى سنة تسع وسبع مئة، واستقام له الملك مدة طويلة إلى أن توفى فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة) .

ثم ابنه الملك[٣] المنصور أبو بكر (مكث نحو شهرين، ثم خُلِع سنة اثنتين وأربعين) .

ثم الملك[٤] الأشرف علاء الدين كُجُك بن الناصر محمد بن قلاوون (فى هذه السنة، وفيها قدم الناصر شهاب الدين بن الناصر أحمد بن الناصر محمد من الكرك فى العشر الأخير من رمضان سنة اثنتين وأربعين، ثم رجع إلى الكرك فى مستهل ذى الحجة من السنه المذكورة، فأقام بها إلى أن تسلطن الصالح) .

ثم الملك الصالح عماد الدين إسماعيل (فى العشرين من المحرم سنة ثلاث وسبع مئة إلى أن توفى فى اليوم الرابع من ربيع الآخر سنة ست وأربعين) .

ثم أخوه الملك[٥] الكامل شعبان (فى الخامس من ربيع الآخر، ومكث إلى أن توفى فى الخامس عشر من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وسبع مئة) .

ثم أخوه الملك[٦] المظفر أمير حاج (فى الخامس من جمادى الآخرة من هذه السنة، وتوفى فى الثالث عشر من رمضان سنة ثمان وأربعين) .

---

(١) قام يوم السبت ٢٣ ذى الحجة من السنة المذكورة .

(٢) أعيد للمرة الثالثة فى يوم الخميس ٢ شوال من السنة المذكورة، ومات فى ٢١ ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ . (خ ٢:٢٣٩) . (٣) اسمه الكامل : السلطان الملك المنصور سيف الدين أبوبكر، أقيم بعهد من أبيه فى يوم الخميس ٢١ ذى الحجة سنة ٧٤١هـ، أى فى يوم وفاة أبيه الناصر محمد، وخلع فى ٢٠ صفر سنة ٧٤٢ هـ . (خ ٢ : ٢٣٩) . (٤) سقط بعده من الأصلين (ا، ب) اسم السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون (١٠ شوال سنة ٧٤٢ هـ . لا سنة ٧٤٣ كما فى ز : ١٦٣)، لأن الأمراء خلعوه يوم فى يوم الأربعاء ٢١ المحرم سنة ٧٤٣هـ (خ ٢:٢٣٩، ٢٤٠) .

(٦) هو السلطان الملك المظفر زين الدين حاجى، وفى (ا، ب) أمير حاج، وفى (ز : ١٦٣) سيف الدين لا زين الدين، تولى السلطنة فى مستهل جمادى الآخرة سنة ٧٤٧ هـ، وذبح فى يوم الأحد ١٢ رمضان سنة ٧٤٨ هـ (خ ٢ : ٢٤٠) .

ثم أخوه الملك[1] الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (فى اليوم المذكور ، ثم خلع فى رابع رجب سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، فمكث ثلاث سنين) .

ثم أخوه الملك[2] الصالح (محمد بن قلاوون فى اليوم المذكور ، ثم خلع فى ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة) .

(ثم الملك الناصر[3] حسن (الثانية) ، ثالث شهر شوال من هذه السنة إلى أن قتله يلبغا ، فمكث سبع سنين وخمسة أشهر) .

(ثم ابن أخيه الملك المنصور صلاح الدين) محمد بن الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد ، فى تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، (فمكث سنتين وشهرين) .

ثم الملك الأشرف[4] شعبان بن حسن الناصر (فى يوم الثلاثاء حادى عشر شعبان المكرم سنة أربع وستين وسبع مئة ، فمكث أربع عشر سنة إلى أن قتل بعد رجوعه من الحج فى العقبة) .

ثم ابنه المنصور[5] على فى أول ذى القعدة (سنة ثمان وسبعين وسبع مئة ، فأقام خمس سنين ، ثم مات فى الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين) .

ثم أخوه الملك[6] الصالح حاجى بن الملك الأشرف ، فمكث سنة وسبعة أشهر ، ثم خلع فى تاسع رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مئة .

---

(١) اسمه الكامل : السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى حسن بن محمد . تولى السلطنة فى ١٤ رمضان سنة ٧٤٨ هـ ، وخلع وسجن فى ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ هـ (خ ٢ : ٢٤٠) .

(٢) تولى فى يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ هـ (خ ٢ : ٢٤٠) .

(٣) ٢ شوال سنة ٧٥٥ هـ (خ ٢ : ٢٤٠) .

(٤) فى (ب) ابن حسن ، وفى (خ ، ا ، ج) ابن حسين ، تولى السلطنة فى يوم الثلاثاء ١٥ شعبان من السنة المذكورة (خ ٢ : ٢٤٠) .

(٥) اسمه الكامل : السلطان الملك المنصور علاء الدين على بن شعبان بن حسن ، وفى (خ ، ا) ابن حسين تولى ٣ ذى القعدة من السنة المذكورة (خ ٢ : ٢٤٠) .

(٦) تولى يوم الاثنين ٢٤ من صفر سنة ٧٨٣ هـ . وبه انقضت دولة الترك أو المماليك البحرية الأتراك ، ومدتهم ١٣٦ سنة ، وسبعة أشهر ، وتسعة أيام ، أولها يوم الخميس ١٠ صفر سنة ٦٤٨ هـ ، وآخرها يوم الثلاثاء ١٨ رمضان سنة ٧٨٤ هـ . (خ ٢ : ٢٤٠ و ٢٤١) .

[دولة الجراكسة]

ثم دخلت دولة الجراكسة :

فوليها الملك الظاهر برقوق (١) بن نصر الجركسى فى يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مئة ، واستمر إلى أن خلع يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين ، فمكث ست سنين وثمانية أشهر وستة عشر يوما .

ثم الملك الصالح (٢) ثانيـة ، ولقبوه بالمنصور إلى أن خلع ، (بعد قبض الظاهر عليه بشقحب) سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة ، فمكث فيها سبعة أشهر وأياما) .

ثم الملك الظاهر (٣) برقوق ثانيـة (فى شَقْحَب) ، ودخل إلى ديار مصر سلطانا ، فمكث فى هذه تسع سنين وتسعة أشهر ، (وكان مجموع مدته ، بما فيها من أيام الناصرى ومنطاش ، ست عشرة سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوما) .

ثم ابنـه الملك الناصر (٤) فرج ، (فمكث إلى أن بويع لأخيه عبد العزيز فى سادس عشر ربيع الأول سنة ثمان وثمان مئة).

(١-٣) الاسم الكامل : السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن آنص ، خلع الصالح حاجى ، وتسلطن فى يوم الأربعاء ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ ، فثار الأمير يلبغا الناصرى، فى (ا) الناصر ، واستولى على قلعة الجبل ، وأعاد الصالح حاجى ، ولقبه بالملك المنصور ، وقبض على برقوق وسجنه بالكرك ، فثار الأمير منطاش على الناصرى ، وقبض عليه وسجنه بالإسكندرية ، ثم حارب برقوقاً فى ظاهر دمشق ، فهزمه برقوق ، وأخذ الخليفة والسلطان حاجى والقضاة ، وسار إلى مصر ، فقدمها يوم الثلاثاء ١٤ صفر سنة ٧٩٢ هـ ، واستبد بالسلطنة حتى مات ليلة الجمعة النصف من شوال سنة ٨٠١ هـ ، فكانت مدته أتابك وسلطاناً إحدى وعشرين سنة ، وعشرة أشهر ، وستة عشر يوماً ، خلع فيها ثمانية أشهر ، وتسعة أيام (خ ٢ : ٢٤١) .

وشقحب : موضع قرب دمشق ، نسب إليه جماعة من المحدثين (ت : شقحب) .

(٤) هو السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج ، تولى يوم الجمعة النصف من شوال سنة ٨٠١ هـ . ، ثم فى يوم الأحد ٢٥ ربيع الأول سنة ٨٠٨ هـ ، واختفى ، فأقيم بعده أخوه عبد العزيز ، ولقب الملك المنصور ، ومكث ست سنين ، وخمسة أشهر وأحد عشر يوماً ، وظل الناصر مختفياً سبعين يوماً ، ثم ظهر فى يوم السبت ١٥ جمادى الآخرة سنة ٨٠٨ هـ ، واستولى على قلعة الجبل ، وتوجه لحرب الأميرين : نوروز الحافظى وشيخ المحمودى ، فهزماه ، وألزما الخليفة المستعين بالله بخلعه ، وقتلاه بدمشق فى ليلة السبت السادس عشر من صفر سنة ٨١٥ هـ (خ ٢ : ٢٤٢) . وفى الأصل (ا) تقديم وتأخير فى سلطنة فرج الأولى والثانية ، وسلطنة أخيه عبد العزيز ، وقد اعتمدنا فى الترتيب على رواية (جـ) .

(ثم أخوه الملك المنصور عبد العزيز، فى التاريخ المذكور لما اختفى الناصر، فمكث أحدا وثمانين يوما، ثم خلع وقبض عليه، وحبس بالأسكندرية إلى أن مات بها فى أثناء سنة تسع وثمانين وثمان مئة).

(ثم الملك الناصر فرج ثانية فى سابع جمادى الآخرة من سنة تسع وثمانين، فمكث سلطانا إلى أن قتل بدمشق ليلة السبت سادس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمان مئة، ودفن بمرج الرجراج بالقرب من الطريق).

ثم الخليفة المستعين بالله، أبو الفضل العباسى بن الخليفة المتوكل على الله (فى آخر شهر المحرم من السنة المذكورة، ثم خلع فى شعبان منها بالمؤيد شيخ، فكانت مدته خمسة أشهر وثمانية عشر يوما).

ثم الملك المؤيد[١] شيخ المحمودى (ثانى شعبان عام خمسة عشر وثمان مئة).

ثم ابنه الملك[٢] المظفر أحمد، وهو ابن سنة وسبعة أشهر، بعهد من أبيه (قبل وفاته بثلاثة أيام، ثم خلع فى اليوم الأخير من شعبان نهار الجمعة سنة أربع وعشرين بطَطَر، فكانت مدته سبعة أشهر وأحدا وعشرين يوما).

ثم الملك الظاهر[٣] طَطَر يوم الجمعة (فى التاريخ المذكور، بقلعة دمشق المحروسة، فصلى الجمعة بها سلطانا، وكان خطيبه فيها شيخ الإسلام جلال الدين البُلْقِينى[٤])

ثم الملك الصالح[٥] محمد بن الظاهر ططر (فى يوم الأحد رابع الحجة سنة أربع وعشرين، يوما بعد موت أبيه بقلعة الجبل، بعهد من أبيه)، ثم خلع بالأشرف بَرْسْباى يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر، وكانت مدة أبيه ثلاثة أشهر وعشرة أيام، ومدته هو أربعة أشهر ويومين.

(١) فى (خ ٢ : ٢٤٣) يوم الاثنين أول شعبان سنة ٨١٥ هـ، ومات ثامن المحرم سنة ٨٢٤ هـ.

(٢) كنيته : أبو السعادات، وفى (خ ٢ : ٢٤٣) مدته : ثمانية أشهر تنقص سبعة أيام.

(٣) كنيته : أبو الفتح، وتولى السلطنة فى يوم الجمعة ٢٩ شعبان سنة ٨٢٤ هـ، ومات ٢٤ ذى الحجة من نفس السنة (خ ٢ : ٢٤٣).

(٤) المقصود به هنا عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى أبو حفص (المتوفى سنة ٨٠٥ هـ)، لأنه هو الذى تولى قضاء الشام (ع ٥ : ٢٠٥).

(٥) لقبه : ناصر الدين، خلعه برسباى الدقماق بعد أربعة أشهر وأربعة أيام (خ ٢ : ٢٤٣). وفى (جـ : لوحة ٣٠) ثلاثة أشهر وخمسة أيام.

ثم الملك الأشرف بَرْسباى (١) الدقاق (فى يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمان مئة ، وهو أول يوم من نَيْسان ، لقب بالأشرف ، وكنى بأبى السعادات ، وتولاها مخطوبا إليها من أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم ، فمكث نحوا من خمس عشرة سنة) .

ثم ابنه الملك العزيز يوسف (٢) بعهد منه (فى يوم الثلاثاء رابع ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثمان مئة ، فمكث ثلاثة أشهر وأربعة أيام) .

(ثم الملك الظاهر ابو سعيد جَقْمَق (٣) العلا[ئى] فى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الآخر من سنة إحدى وأربعين إلى أن توفى ، فمكث نحوا من أربع عشرة سنة) .

ثم ابنه الملك المنصـور (٤) أبو السعادات عثمان (فى حادى وعشرى المحرم ، فمكث أربعين يوما) .

ثم الملك الأشرف (٥) أينال (يوم الاثنين السابع من شهر ربيع الأول سـنة سبع وخمسين وثمان مئة ، فمكث ثلاث سنين وثلاثة أشهر) .

ثم ابنه الملك المؤيد (٦) أحمد بعهد من أبيـه (فى يـوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى سنة خمس وستين وثمان مئة ، فمكث أربعة أشهر وعشرة أيام ، ثم خلع) .

ثم الملك الظاهر أبو سعيد خُوشْقَدم (٧) الرومى يوم السبت (التـاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة خمس وستين وثمـان مئة ،ومات فى عاشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ،فمكث ست سنين ونصفا) .

---

(١) فى (خ ٢ : ٣٤٤) كنيته : أبو النصر ، واسمه برسباى الدقماق (لا الدقاق كما فى ا ، ب) ، ووفاته ١٣ ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ . وفى (جـ : لوحة ٣٠) أنه مكث نحوا من سبع عشرة سنة ، والأرجح ماجاء فى الأصل (ا) .

(٢) لقبه فى (ز : ١٦٣)جمال الدين ، ولعل بدء سلطنته رابع عشر ذى الحجة (لا رابع ذى الحجة كما جاء فى الأصل (ا) ، لأن والده توفى ١٣ ذى الحجة ما لم يكن قد عهد إليه أبوه بالسلطنة قبل وفاته بتسعة أيام ، وهذا ما لم نقف عليه ، وفى (جـ : لوحة ٣٠):رابع ذى القعدة .

(٣) فى (خ ٢ : ٢٤٤) ١٩ ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ ، والعلا محرف عن العلائى

(٤) لقبه فى (ز : ١٦٤) : فخر الدين .

(٥) لقبه فى (ز : ١٦٤) سيف الدين العلائى الظاهرى ، وفى الأصل (ا) : فمكث ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، وفى (جـ : لوحة ٣٠) : فمكث ثمان سنين وثلاثة أشهر ، والصواب ما جاء فى (جـ).

(٦) لقبه فى (ز : ١٦٤) شهاب الدين ، وقد خلع فى ١٨ رمضان سنة ٨٦٥ هـ. (خ ٢ : ٢٤٤).

(٧) لقبه فى (ز : ١٦٤) سيف الدين ، ومعنى خوشقدم بالفارسية : قدم السعد .

ثم السلطان الملك الظاهر بَلْباى (١)، (فمكث خمسة وخمسين يوما).

ثم الملك الظاهر تَمَرْبُغا (٢)، (فمكث شهرين، ثم خلع فيها).

ثم السلطان الملك الأشرف قايتباى المحمودى (٣) (فى يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة، فمكث تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر واثنين وعشرين يوما).

ثم ابنه الملك الناصر محمد أبو السعادات (٤) (فى يوم السبت سادس وعِشْرى القعدة سنة إحدى وتسع مئة الموافق لثالث عشر مَسْرَى، فمكث سنتين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوما).

ثم خاله الملك الظاهر (٥) أبو النصر قانصوه (يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الأول سنة أربع وتسع مئة، ثم فرَّ واختفى، فلما ظهر وقبض عليه وجه به إلى ثغر الإسكندرية المحروسة، فكانت مدته سنتين وسبعة أشهر وتسعة عشر يوما).

ثم السلطان الملك الأشرف جان بلاط (٦) (فى يوم الإثنين ثانى ذى الحجة الحرام سنة خمس وتسع مئة، وقبض عليه يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسع مئة)، وكانت مدته ستة شهور وسبعة عشر يوما.

ثم السلطان الملك العادل (٧) (أبو النصر) طومان باى (فى يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسع مئة، بعد أذان الظهر)، وقتل بالسيف قهرا (٨).

(١) تولى فى ١١ ربيع الأول سنة ٨٧٢ هـ. (خ ٢ : ٢٤٤).

(٢) تولى فى ٨ جمادى الأولى سنة ٨٧٢ (خ ٢ : ٢٤٤).

(٣) تولى فى ١٢ رجب سنة ٨٧٢ هـ، وتوفى فى ٢٢ ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ. (خ ٢ : ٢٤٤). ولقبه فى (ز : ١٦٤) سيف الدين.

(٤) توليته فى ٢٢ ذى القعدة سنة ٩٠١، ووفاته فى يوم الأربعاء ١٥ ربيع الأول سنة ٩٠٤ هـ (خ ٢ : ٢٤٤)، ولقبه فى (ز : ١٦٤) ناصر الدين. وفى (جـ : لوحة ٣١) : فمكث سنتين وثلاثة أشهر وتسعة وعشرين يوماً.

(٥) اسمه الكامل : الملك الظاهر قانصوه الأشرفى قايتباى، خلع فى ٧ ذى الحجة سنة ٩٠٥ هـ (خ ٢ : ٢٤٤).

(٦) توليته فى ٢٦ ذى الحجة سنة ٩٠٥، وهو الصواب، لأن قانصوه خلع فى ٧ ذى الحجة من نفس السنة، ثم خلع فى يوم السبت ١٨ جمادى الآخرة سنة ٩٠٦ هـ، ونسبته الأشرفى قايتباى (خ ٢ : ٢٤٤)

(٧) لقبه فى (ز : ١٦٤) سيف الدين. وفى (خ ٢ : ٢٤٤) الأشرفى قايتباى، ثم خلع فى سلخ رمضان سنة ٩٠٦ هـ.

(٨) بدون مقاومة.

ثم تولى بعده السلطان الملك[(١)] الأشرف قانصوه الغوري رحمه الله تعالى .

وإلى هنا تمت دولة الجراكسة رحمهم الله تعالى آمين .

[دولة العثامنة]

ثم دخلت دولة العثامنة :

فتولى السلطان " سليم[(٢)] شاه " بعد دخوله مصر (سنة ثلاث وعشرين وتسع مئة ، ووقعت الوقعة بينه وبين الجراكسة) وقتل بها خلق كثير ، فمكث أربعين سنة ، وتوفى بالقسطنطينية العظمى .

ثم تولى ابنه السلطان[(٣)] " سليمان شاه " ، فكانت مدة ولايته ثمانيا وأربعين سنة ، ثم توفى .

ثم تولى بعده السلطان[(٤)] " سليم شاه " ، فمكث سبع سنوات وسبعة أشهر ، وتوفى سنة ٩٨٣ هـ .

ثم تولى بعده (السلطان[(٥)] " مراد ") . من أزال الله به الفساد ، وبقيت به العباد في أمان ، مولانا السلطان " مراد " عز نصره ، أدام الله دولتهم إلى آخر الدوران . آمين .

---

(١) توليته في مستهل شوال سنة ٩٠٦ هـ ، واسمه الكامل : الملك الأشرف قانصوه الغوري الأشرفي قايتباي . وقد سقط بعده اسم الأشرف طومان باي من (ا ، ب ، خ) ، وذكر في (ز : ١٦٤) و (ح : ١٤٣) . وجاء بهامش (ج : لوحة ٣١) أمام السلطان الغوري : قتل في رجب سنة اثنتين وعشرين وتسع مئة في مرج دابق .

(٢) تولى سنة ٩١٨ ، وفتح مصر سنة ٩٢٢ هـ ، واستمر يشرف على شئونها حتى ٢٣ رجب سنة ٩٢٣ هـ (ح : ١٤١ ، ١٤٢) .

(٣) تولى سنة ٩٢٦ هـ . (ح : ١٤٤) ، وبهامش (ج : لوحة ٣١) أمام السلطان سليمان خان : جلس على الملك سنة ٩٢٦ هـ ، وتوفى في شوال سنة ٩٧٤ هـ .

(٤) تولى في التاسع من ربيع الآخر سنة ٩٧٤ هـ (ح : ١٤٥) ، وهو السلطان سليم الثاني ، وابن السلطان سليمان .

(٥) تولى في ١٠ رمضان سنة ٩٨٢ هـ (ح : ١٤٦) ، « وعبارة السلطان مراد » ساقطة من الأصل (ا) وإلى هنا انتهى ما جاء في هذا الكتاب عن الدولة العثمانية ، وإن كانت صلة مصر بها لم تنته بعد . وبهامش (ج : لوحة ٣٢) نبذة عن السلطان محمد خان الغازي ، وابنه السلطان أحمد ، وكيف كان يحب الرشوة وقتل العباد بلا سبب .

[فصل فى ذكر كُوَر[1] مصر المشهورة]

بمعنى أسواقها، وفى ذكر كل كورة منها، وما فيها من أصناف البَزّ[2] والأوانى، والفواكه، والمتاجر، مما ينتفع به، وتدخره الملوك .

قال ابن زولاق[3] : وكانت كل كورة منها مسماة باسم ملك، لا تشاركها فيه الأخرى، وجعلت له أو لولده، كما سميت مصر باسم ملكها « مصر بن بيصر » .

فمنها : " تِنِّيس[4] " ، وبها ثياب الكتّان الدّبيقىّ[5] والمقصور، والشفاف، والأردية، وأصناف المناديل، والمناشف الفاخرة، للأبدان والأرجل والمخادّ، والفرش القلمونى المعلم[6] والمطرز، ويبلغ الثوب المقصور منها خمس مئة دينار، وأقل وأكثر، ولا يعلم فى بلد ثوب يبلغ مئتى دينار فما فوقها، وليس فيه ذهب، إلا بمصر .

وقد أخبرنى بعض وجوه التجار (وثقاتهم) : أنه أُبيع[7] (فى سنة ثمان وسبعين وثمان مئة) حلتان دمياطيتان بثلاثة آلاف دينار . وهذا لم يسمع بمثله فى بلد قط، وليس فى الدنيا ملك جاهلى ولا إسلامى يلبس خواصه وحرمه غير ثياب مصر .

---

(١) الكور : جمع كورة ، وهى الصقع والبقعة التى تقع فيها القرى والمحال ، وتقابل فى النظام الإدارى المصرى الحاضر : المركز . وعنوان الفصل فى المقريزى : « ذكر أعمال الديار المصرية وكورها » (خ ١ : ٧٢) وفى (جـ : لوحة ٣٢) : « فصل فى ذكر مصر المشهورة » .

(٢) البز : الثياب . (٣) تقدمت ترجمته .

(٤) بلدة من بلاد مصر فى وسط الماء ، وهى كورة الخليج (خ ١ : ١٧٦) ، وفى (ب ١ : ٨٨٢ - ٨٨٤) : جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر بين الفرما ودمياط ، والفرما فى شرقيها . وقد تبين أن الجزيرة التى كانت بها مدينة تنيس لا تزال موجودة إلى اليوم ببحيرة المنزلة ، فى الجنوب الغربى لمدينة بورسعيد وعلى بعد تسعة كيلومترات منها (ق ١ - ١٩٨) .

(٥) نسبة إلى دبيق ، قرية من قرى مصر ، وفى (ب ٢ : ٥٤٨) : بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر ، وفى (ق ١ : ٢٤٣) أنها قد اندثرت ، ومكانها اليوم يعرف بتل دبقو أو دبجو بالقرب من شاطىء بحيرة المنزلة . والأردية : جمع رداء ، وهو ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة .

(٦) المعلم : المخطط . (٧) أباع الحلة : عرضها للبيع . وما بين القوسين مذكور فى (جـ : لوحة ٢٣) .

ومنها : دِمياط ، وبها يعمل القصب البلخى من كل فنّ ، لا تشارك تنيس فى شىء من عملها ، وبينهما مسافة نصف نهار . ويبلغ الثوب الأبيض ، وليس فيه ذهب ، ثلاث مئة دينار ، ولا يعمل بدمياط مصبوغ ولا بتنيس أبيض ، وهما حاضرتا البحر . وبها من صيد البر والبحر من الحيتان والطير ما ليس فى بلد فى هذا الزمان .

قلت : ويزرع بها من قصب السكر والموز شىء كثير .

ولقــد أخبرنى من أثق به من أهلها أن الفدان منها من القصب يخــرج منه من السكر أربعون قنطارا بالفُوِىّ ، وهو مئة قنطار بالمصرىّ ، وربما يزيد .

(ومنها : الفرما (١) ، وبها البُسر الفرماوىّ والرطب والتمر ، إذا فرغت أرطاب الدنيا ، وبسرها (٢) ، وُجِد هو ، ولا يزال أكثر الشتاء حتى يجتمع عليه الرطب الجديد . وليس هــذا بالحجــاز ولا اليمن ولا البصرة ، وربما وُزنت البسرة منه فكانت عشرين درهما ، ولا يعرف بُسر فى خلقته .

قلت : وهو موجود إلى الآن بقطيا (٣) ، ويعرف بالحيّانى .

ولمــا سار يعقوب عليــه السلام إلى يوسف عليــه السلام ، وهو بمصر ، كان عِدّتهم ثلاثة وسبعين نفسا ما بين رجل وامرأة ، فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس إلى الفرما ، وهى تربة وسيعة يزرع فيها الأرز والأترنج الأحمــر الجافى (٤) . وبها الحصر السّامانى والعَبْدانى ومنابته ، والكتّان) .

(١) قرية أم اسماعيل بن ابراهيم ... وكانت على شط بحيرة تنيس ... وبها قبر جالينوس الحكيم ... ويذكر أهل مصر أنه كان منها طريق إلى جزيرة قبرس فى البر ، فغلب عليها البحر (خ ١ : ٢١١) ، كما كانت مدينة من أقدم الرباطات المصرية ، وحصن مصر من جهة الشرق فى زمن الفراعنة . وقد اندثرت ، وتعرف آثارها اليوم بتل الفرما ، على بعد ثلاثة كيلومترات من ساحل البحر الأبيض المتوسط (ق ١ : ٩١) .

(٢) البسر : ثمر النخل قبل أن يرطب ، والرطب : نضيج البسر قبل أن يتمر ، والتمر : اليابس ثمر النخل .

(٣) قطيا أو قطية ، كما تقول العامة ، بطريق مصر ، قرب الفرما ، من آخر أعمال شرقيّها (ت : ق . ط . ى) .

(٤) الأترنج ، أو الأترج : شجر يعلو ، ناعم الأغصان والورق والثمر ، وثمره كالليمون الكبار ، وهو ذهبى اللون ، طيب الرائحة ، حامض الماء . والسامانى : نسبة إلى سامان ، من محال اصبهان ، وهى أيضاً قرية بسمرقند (ب ٣ : ١٣) . وعبدان : قرية من قرى مرو (ب ٣ : ٦٠٣) .

ومنها : العـريش والجفار[1] كله ، وما فيه من الطير والجـوارح ، (والمـأكول والصيد والنمورة) ، والثياب التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف بالعبسية . وبها الرمان العريشى ، لا يعرف قدره فى بلد .

ولما أراد أحمـد بن المدبر[2] ، عامل خراج مصر ، هدم أبواب من حجارة شرقىّ حصن الفرما لبناء داره بمصر ، خرج إليه أهل الفرما بالسلاح ، وقالوا له : هذه الأبواب التى قال يعقوب عليه السلام لبنيه : « لا تدخلوا من بابٍ[3] واحدٍ ، وادخلوا من أبواب متفرقة » ، فأمسك ابن المدبر عن الهدم .

وإنمـا سمى العريش ، لأن إخوة يوسف عليه السلام لمـا أقحط الشام ساروا إلى مصر يمتارون[4] منها ، وكان ليوسف عليه السلام خزائن الأرض ، على أطراف البـلاد بمصر ، من جميع نواحيها ، فسكنوا بالعريش ، وكتب صاحب الحرس[5] إلى يوسف عليه السلام يخبره أن أولاد يعقوب الكنعانى قد وردوا يريدون البلد ، لقحط نزل بهـم ، فإلى أن آذن لهم عملوا لهم عريشا يستظلون تحتـه من حر الشمس . فكتب إليه يوسف عليه السلام يأذن لهم فى الدخول إلى مصر ، وكان من أمرهم ما قصه الله تعالى فى كتابه العزيز .

---

(١) الجفار : اسم لخمس مدن هى : الفرما ، والبقارة ، والورّادة ، والعريش ، ورفح ، والجفار كله رمل ، وسمى الجفار لشدة المشى فيه على الناس والدواب (خ ١ : ١٨٩) ، وهى جمع جِفْر ، وهو البئر القريبة القعر الواسعة ، ولا شرب لسكانها إلا منها ، وهى أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر ، أولها رفح من جهة الشام ، وآخرها الخشبى من جهة مصر ، وكانت متصلة العمارة فى أيام الفراعنة إلى المئة الرابعة من الهجرة (ب ٢ : ٨٩ ، ٩٠) . ومكانها اليوم المنطقة التى تمر بها السكة الحديدية بين القنطرة والعريش ورفح (ق ١ : ٤٢) . وفى (جـ : لوحة ٣٣) تعرف بالعريشة ، وتعمل بالقش لا بالعبسية .

(٢) هو أحمد بن محمد بن مدبر (أو المدبر) ، والى خراج مصر بعد سنة ٢٥٠ هـ ، وهو أول من أحدث « الأموال الهلالية » ، أى غير الخراجية كالأموال التى فرضت على الكلأ الذى ترعاه البهائم ، وسميت « المراعى » . وكانت هذه الأموال تعرف فى زمنه وبعده بالمرافق والمعاون (خ ١ : ١٠٣) ، وقد تسلم منه أحمد بن طولون أرض مصر وقد خربت (خ ١ : ٩٩) ، ولما كانت ولاية ابن طولون قد بدأت ٢٣ رمضان سنة ٢٥٤ هـ ، فيرجح أن ابن المدبر كان واليًا على خراج مصر بين سنتى ٢٥٠ و ٢٥٤ هـ .

(٣) سورة يوسف : ٦٧ .

(٤) يمتارون : يجمعون الميرة ، وهى الطعام يجمع للسفر أو نحوه .

(٥) فى (ب) صاحب العريش ، وتتفق (جـ : لوحة ٣٣) مع (ا) .

ومنها : مدينة المحلة[١] وبنا وبوصير وسمنود . وهذه المدن الثلاث هى المراد بقوله تعالى : « وابعث فى المـــدائن حاشرين[٢] » . وحكى المهدوى[٣] (فى تفسيره) أن المـــدائن التى أرسل فرعون لجمع فيها من يحشر السحرة ، كانت سبع مدائن بالصعيد وغيره (إذ كانت بها آية السحرة) ، وهى : شطا[٤] ، وأبو صير ، وبنها ، وطنان[٥] ، وأرمنت ، وأنصنا[٦] ، وأسيوط. وفيها من الكتان الذى يحمـــل إلى بلاد الإسلام والكفر وأقاصى الدنيا ، ما لا يحصر . وبها الأترج الجـــافى ، والإوز الذى لا يرى فى خلقته ولا وزنه [مثيل له] . وربمـــا كان وزن الطير الواحد أربعين رطلا .

(ومنها : دقهلة[٧] كورتها . يعمل فيهـــا القرطاس الطومار[٨] ، الذى يحمـــل منه إلى أقاصى

(١) بنا وبوصير : تكتب عادة بنا بوصير ، فالواو بينهما زائدة بدليل أن المؤلف عدهما مدينة واحدة لشدة تقاربهما إذ بين بنا وبوصير ميلان فقط ، وبنا : مدينة مصرية قديمة ... وتضاف إليها كورة ، فيقال كورة بنا ، وكانت بنا أبوصير أو بنا بوصير تابعة لمركز المحلة الكبرى ، فلما أنشىء مركز سمنود سنة ١٩٣٥ ألحقت به لقربها منه (ب ١ : ٧٣٨) ، (ق ٢ جـ ٢ : ٦٩) .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الشعراء . ومعنى حاشرين : جامعين السحرة .

(٣) المهدوى : هو محمد بن ابراهيم المهدوى ، أبو عبد الله (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ) ، فقيه من أهل المهدية بالمغرب ، صاحب « جذوة الاقتباس » . (ع ٦ : ١٨٦) .

(٤) شطا : مدينة عند تنيس ودمياط ، وإليها تنسب الثياب الشطوية ، وكانت تعمل بها كسوة الكعبة (خ ١ : ٢٢٦) ، وهى الآن بليدة على بعد ثلاثة أميال من دمياط على بحيرة المنزلة (ب ٣ : ٢٨٨) وكانت من توابع غيط النصارى ، ثم أصبحت قائمة بذاتها (ق ٢ جـ ١ : ٢٤٣ وفى (جـ : لوحـ ٣٤) « بنا » بدلا من بنها .

(٥) طنان : من أعيان قرى مصر ، قريبة من الفسطاط ذات بساتين (ب ٣ : ٥٤٩) ، واسمها الحالى طنان أيضاً تابعة لمركز قليوب (ق ٢ جـ ١ : ٥٧) .

(٦) أنصنا : إحدى مدائن مصر القديمة ، وهى كورة من كورها ، بها قرية حفن التى منها مارية القبطية أم إبراهيم بن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، (خ ١ : ٢٠٤) . وفى أوائل القرن الثالث عشر للهجرة قيد زمامها باسم الشيخ عبادة ، ومكانها اليوم الأطلال الواقعة فى حوض مدينة النصلة (محرف عن انصنا) ... شرق النيل بمركز ملوى ، بمحافظة المنيا (ب ١ : ٣٨٠) ، (ق ١ : ١٣٢ ، ١٣٣) .

(٧) دقهلة : بلدة بمصر على شعبة من النيـــل ، بينها وبين دمياط أربعة فراسخ (والفرسخ ثلاثة أميال أو ١٨ ألف قدم) ، ويضاف إليها كورة ، فيقال : كورة الدقهلية (ب ٢ : ٥٨١) ، وقد نسب إليها إقليم الدقهلية ، من وقت فتح العرب لمصر ، وكانت مساكنها قديماً شرق ترعة الشرقاوية ، ومكانها اليوم يعرف باسم عزبة الكاشف ، وبسبب ما أصابها من تلف انتقل سكانها إلى قرية جديدة سموها باسم دقهلة وهى الحالية الواقعة على النيل فى الشمال الغربى لدقهلة القديمة ، وعلى بعد كيلومتر واحد منها (ق ٢ : جـ: ٢٤٢١

(٨) القرطاس : الورق المصنوع من نبات البردى ، والطومار : الصحيفة الكبيرة .

بلاد الإسلام والكفر، وما فى أعمال أسفل الأرض[١] كورة إلا تختص بنوع دون الأخرى)،

ومنها: إسكندرية وعجائبها. قال المقريزى[٢]: هى ثانى مدينة بإقليم مصر، صارت دار المملكة فيها. وذلك أن اليونان لما غلبت على مصر، وكان الإسكندر بن فليبس المقدونى بنى الإسكندرية، كان يرى فى المرآة التى فيها من بالقسطنطينية، وكانت المغارة بوسط المدينة، وإنما البحر أخرب ما حولها.

وفيها يقول الوزير محمد بن الحسن[٣] (بن عبد ربه) هذه الأبيات شعر:

لله دَرّ منار اسكندرية[٤] كم * يسمو إليه على بعد من الحدق

من شامخ الأنف فى عرنينه شمم * كأنه باهت فى دارة الأُفق[٥]

للمنشئات الجوارى عند رؤيته * كموقع النوم فى أجفان ذى أرق[٦]

وبها الملعب، وكانوا يجتمعون فيه: لا يرى أحد منهم شيئا دون الآخر، من نظر أو سماع، البعيد والقريب فيه سواء.

وكان بها عيد يعمل كل سنة يترامون فيه بالأكرة[٧]، فمن وقعت فى كمه ترشح للملك، وكتب اسمه. وحضر فى هذا العيد عمرو بن العاص كان فى جملة النظارة، فوقعت الأكرة فى كمه، فعجبت الروم والقبط من ذلك، وقالوا: وأين لهذا الأعرابىّ بملك مصر؟ فلم يزل ذلك فى نفسه إلى أن كان من أمره ما كان.

وكان لهم عيد يعمل فى رأس كل مئة سنة مرة، وحضره كعب بن عبد الغفارى[٨] اتفاقا، وكانوا يجتمعون فيه ويلعبون، قال كعب: فبينما هم على ذلك، إذ قام منهم مناد على منبر،

(١) المقصود بأسفل الأرض: الوجه البحرى.

(٢) فى الأصلين (ا، ب): قال القزوينى، والصواب المقريزى كما فى (جـ: لوحة ٣٤).

(٣) الوزير محمد بن الحسن: هو الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد ربه (خ ١: ١٥٨).

(٤) كذا فى (خ ١: ١٥٨)، وفى الأصل (ا): لله در اسكندرية كم كذا.

(٥) الشامخ: العالى، والعرنين ما صلب من عظم الأنف، والشمم: ارتفاع قصبة الأنف استواء. وباهت: لعلها صفة لموصوف محذوف تقديره نجم باهت، والدارة: الهالة.

(٦) المنشئات الجوارى: السفن، ولم نعثر على ترجمة لقائل هذه الأبيات. (٧) الأكرة: الكرة.

(٨) لم نجد له ذكرا فى المراجع التى بين أيدينا، وفى «الاستيعاب» لابن عبد البر: كعب بن عمير الغفارى الذى قتل سنة ٨ هـ، غير أن ابن عبد البر لم يذكر أنه ذهب الى مصر.

فناداهم : أيها الناس ، أيكم أدرك عيدنا الماضى، فليخبرنا : أيهما أفضل، فلم يجبه أحد، ثم يردد القول فيهم ، ثم يقول : أعلموا أيها الناس أنه ليس أحد يدرك عيدنا المقبل ، كما أنه لم يدرك هذا العيد من شهد الماضى ، فيكون ذلك موعظة ، فتبكى الناس، ويكثر فيهم الاعتبار والأسف . (وفيها السوارى[1] والمسلتان) .

وعجائبها أكثر من أن تحصى ، وخليجها مبلط بالرخام من أوله إلى آخره ، وفيه حلق الحديد لوضع المدارى[2]. [و] (مريوط من كور الإسكندرية) . ولما بنى الإسكندر ذو القرنين[3] إسكندرية رخمها بالرخام الأبيض ، جدارها وأرضها .

وكان لباس أهلها فيها السواد ، والحمرة ، (ذكر بعضهم أنه كشف طوال الأعمار ، فلم يجد عمرا أطول من سكان مريوط ، وكانت لشدة بياضها لا يكاد يبين دخول الليل فيها إلا بعد وقت ، [و] كان الناس يمشون بها وبأيديهم الخرق السود خوفا على أبصارهم من شدة بياضها . وكذلك أحبت الرهبان لبس السواد، وكان الخياط يخيط فى ضوء القمر ، من بياض الرخام يدخل الخيط فى الإبرة بها فى الليل بلا سراج، وأقامت سبعين سنة لا يسرج فيها، ولا يعرف فى الدنيا مدينة على عرضها ولا طولها، شطرنجية[4]، ثمانية شوارع فى ثمانية شوارع ، ورخامها ينقل منه إلى الآن ، (وما فنى) .

وبها مناسج الكتان والغلائل[5] (والمعتب الذى يحمل منه إلى الآفاق ، ومناسج الحصر

(١) هو عمود السوارى المكون من حجر أحمر منقط من الصوان الماتع ، يقال : إنه كان من جملة أعمدة كانت تحمل رواق ارسطاطاليس (خ ١ : ١٥٩) .

(٢) المدارى : جمع مدرى ، وهى العود من حديد أو خشب ، يستعين به صاحب المركب فى دفعها المسير .

(٣) كذا فى الأصول (ا ، ب ، جـ) والحقيقة أن الاسكندر ذا القرنين – الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز – عربى ، واسمه : الصعب بن ذى مراثد بن الحارث ... بن وائل بن حمير بن سبأ ... ابن قحطان ، وهو ملك من ملوك حمير . وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فليبس ، مجدد بناء الاسكندرية ، هو ذو القرنين ، فإن لفظ (ذو) عربية ، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن ، وذاك رومى يونانى (خ ١ : ١٥٣) .

(٤) شطرنجية : مربعة تربيع قطعة الشطرنج .

(٥) الغلائل : جمع غلالة ، وهى القميص الرقيق ، والمعتب : ضرب من الثياب .

السامانى والعبـدانى) . وكان عليها ستة أسوار ، وسـبعة حصون ، وسبعة خنادق ، وبها من الحمامات اثنا عشر ألف حمـام ، أصغر حمـام فيها يسع ألف مجلس ، كل مجلس يسع جماعة ، ووجد مكتوبا على أحد أبوابها : أنا شدّاد بن عاد[(١)] . بنيت هذه المدينة والحجر (يومئذ) كالطين يتعجن ، والرخام كالشمع يلين .

وأخذ عمرو الجزية من ثلاث مئة ألف رأس ، كل رأس دينارين ، فبلغت ست مئة ألف دينار .

(ولما دخلها عمر بن عبد العزيز فى إمارته على مصر سأل عن عدد أهلها ، فقيل ؟ له : لا يمكن ضبطه ، فقال له شيخ : أيها الأمير ، أنا أخبرك[(٢)]) .

وكتب هرقل ، ملك الروم ، إلى المقـوقس ، صاحب الإسـكندرية : عرفنى كم قبلك من اليهود ؟ فأحصاهم ، فكانوا ست مئة ألف ، فأنكر هرقل ذلك ، وقال : خربت الإسكندرية .

وكتب إليه ثانية يسأله عن السبب ، فقال له : إن جمـاعة من حكمائها ذكروا أن ذا القرنين أقام فى بنائها ثلاث مئـة سنة ، وعمرت ثلاث مئـة سنة ، وهى فى خراب منذ ثلاث مئة سنة .

(قال الحسن بن إبراهيم المعروف بابن زولاق : ولهـذا الكلام منـذ قيل ؟ أربع مئة سـنة) . وكان فى بنائها سبعون ألف بنـاء ، وسبعون ألفـا يحتدفون[(٣)] قناطرها . ووجد فى تخومها تابوت من نحاس ، فيه تابوت من فضة ، فيه تابوت من ذهب ، ففتح ، فوجد فيـه مكحلة من ياقوت أخضر ومرود من عرق زمرد ، فدعا القائم على العمـل ، فكحل إحدى عينيه ، فأشرقت له الكنوز والكيمياء .

---

(١) هو شداد بن عاد بن ملطاط بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن حمير من قحطان ، وهو ملك يمانى جاهلى قديم من ملوك الدولة الحميرية (ع ٣ : ٢٣٢) .

(٢) لم تذكر الأصول ، ولا المصادر التى اعتمدت عليها ، ما أخبر به الشيخ عمر بن عبد العزيز .

(٣) كذا فى الأصلين (ا ، ب) ، وفى (جـ : لوحة ٣٦) يحتدقون ، ولعلها محـرفة عن يخندقون أى يحفرون الخنادق .

وكنوز هذه المدينة فى ساحل طبقة من نحاس ، وقفله من ذهب ، وهذا الساحل داخل فى البحر خمس عشرة ذراعا . ويستخرج منه مالا يقدر قدره من ذهب وفضة وجواهر كريمة .

وهى « إرم ذات العماد[1] (التى لم يخلق مثلها فى البلاد ») .

وكان بها صنم من نحاس يجتمع إليه الحيتان ، فيكثر الصيد على أهلها ، فكتب « الوليد » إلى « أسامة بن زيد » عامل خراج مصر :

أنه قد غلقت[2] علينا الفلوس ، وبالإسكندرية صنم من نحاس ، يجتمع إليه الحيتان ، أفتأذن[3] لى فى كسره ، فأذن له ، فأمر بإنزاله إلى البر ، وكان على جحفة[4] فى وسط البحر ، فأنزل ، وكسر ، وضرب فلوسا ، وتمدد أسامة ونام ، فكان طوله بطول قدم الصنم ، ووجدوا عينيه ياقوتتين لا قيمة لهما ، وتفرقت الحيتان ، فلم ترجع لذلك الموضع .

ومن أعمال مصر : مدينة « الفيوم » من بناء السيد يوسف النبى عليه السلام ، بالوحى دبرها ، وجعلها ثلاث مئة وستين قرية ، يجبى منها كل يوم ألف دينار . وبها أنهار عدة أنهار البصرة ، سكنها يوسف عليه السلام ، لما أيس من إيمان الريان ، فرعون مصر ، فقال له : أنا أرد عليك ملكك وأتحول عنك ، فإنى لا أستطيع مجاورة الكفار ، ثم رحل إلى الفيوم ، موضع ودع أباه فيه ، وعمرها هو ومن آمن معه ، وخرق لهم جبريل قطعة من النيل تأتيهم ، وصار هناك مدينتان تسميان الحرمين . وأراد الريان أن يبصرهما ،

(١) ينسب شداد بن عاد بناء إرم ذات العماد إلى نفسه ، وأراد أن يبنى الاسكندرية على مثالها طبقاً لما كتب بالقلم المسند على أحد أعمدتها (خ ١ : ١٤٨ ، ١٤٩) ، وكانت الاسكندرية تسمى إرم ذات العماد (خ ١ : ١١٧) .

(٢) فى (ب) و (ج : لوحة ٣٦) : غلت أى زادت وجاوزت الحد ، وفى (ا) غلقت أى شحت وانسد بابها

(٣) من الغريب أن يكتب الخليفة إلى عامله على الخراج يستأذنه فى كسر الصنم ، ولعل الذى كتب أسامة بن زيد لا الوليد .

(٤) الجحفة : الترس من جلود بلا خشب ولا رباط من عصب .

فاستأذن يوسف عليه السلام ، فقال له : لا يدخلهما إلا مؤمن ، ولم يؤمن الريان وما دخلهما .

(قال ابن زولاق : وحدثنى أحمد بن محمد بن طرخان الكاتب قال : عملت على الفيوم لكافور الإخشيدى فى سنة خمس وخمسين وثلاث مئة ، فعقدها ست مئة ألف دينار ، وعشرين ألف دينار . وبها من المباح الذى يعيش الناس فيه من أهل التعفف مالا ينضبط ولا يحاط بعلمه .

ومنها : « بوصير قوريدس »[1] التى قتل بها مروان الحمار ، وبه زال ملك بنى أمية . يزرع بها الكتان الذى يخلو منه بلد من بلاد الإسلام والكفر) .

ومنها : مدينة « أهناس »[2] وأبنيتها وعجائبها .

وهى مولد « المسيح » عليه السلام ، وأول ما صنعت النيدة[3] بها للمسيح عليه السلام ، أمرت أمه ، بوحى من الله تعالى ، عندما احتاج إلى الأكل ، وأقامت بها أمه مريم إلى أن نشأ ، وسارت به إلى الشام ، وبها الثمار والزيتون .

(ومنها : مدينة « البهنسة »[4] ، وبها طراز الستور ، الذى يحمل إلى الآفاق من سائر البلاد ، ولا (يخلو) منه مجلس ملك ولا رئيس) .

---

(١) بوصير : اسم لأربع قرى بمصر : بوصير قوريدس ، وبوصير السدر (النبق) وهما من كورة الجيزة ، وبوصير دفدنو من كورة الفيوم ، وبوصير بنا من كورة السمنودية (ب ١ : ٧٦٠) و (ق ٢ جـ ٣ : ٣) . وفى الأصلين (ا ، ب) قويردس .

(٢) مدينة أهناس أو إهناس المدينة : قرية كبيرة بكورة البهنسى بمصر ، وعرفت بالمدينة لتمييزها من إهناس الصغرى ، التى تعرف الآن بإهناسية الخضرة . ولا تزال أطلال مدينة إهناس القديمة ظاهرة بالقرب من مساكن القرية الحالية بمركز بنى سويف (ب ١ : ٤٠٩ ، ٤١٠) و (ق ٢ جـ ٣ : ١٥٣) .

ويقال : إن عيسى بن مريم عليه السلام ولد بها ... والذى عليه الإجماع أنه ولد ببيت لحم من مدينة بيت المقدس (خ ١ : ٢٣٧) .

(٣) النيدة أو النيدا : نوع من الفطائر كان يصنع بمفلوط وغيرها من القمح بعد تركه أياماً فى الماء ، ثم تجفيفه وطحنه ، ثم وضعه تدريجياً فى إناء به ماء ساخن لينضج (قاموس دوزى ١ : ٧٤١) .

(٤) البهنسا : فى جهة الغرب من النيل (خ ١ : ٢٣٧) ، وهى بالصعيد الأدنى (والصعيد الأدنى من أسيوط إلى الفسطاط) ، ويضاف إليها كورة ، وليست على ضفة النيل . وفى سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠) ضم إليها بلاد مركزى المنيا وأبو قرقاص تحت اسم « مأمورية الأقاليم الوسطى » ، فأصبحت البهنسا قرية من قرى مصر تابعة لمركز بنى مزار بمحافظة المنيا (ب ١ : ٧٧١) و (ق ٢ جـ ٣ : ٢١١) . وفى (جـ : لوحة ٣٧) : بها طراز الستور ، وفى (ا) الصنوبر .

ومنها : بلد الأشمونين[(١)] وما يعمل فيها من الأرز والكتان ، ويحمل إلى سائر الآفاق .

ومنها : " أسيوط " وجبل أبى فيدة[(٢)] .

وبها مناسج الأرمنى ، والدبيقى ، والمثلث ، وسائر أنواع الملبوس ، لا يخلو منه ملك إسلامى ولا جاهلى .

وبها الخس والسفرجل الذى يزيد على كل بلد فى كثرته وبهائه ، والليمون الذى يحمل إلى سائر الديار .

قال الكندى[(٣)] : وعلى النيل كورة أسيوط . ذكر أنه لما صورت الدنيا كلها للرشيد لم يستحسن منها إلا كورة أسيوط ، لأن مساحتها ثلاثون ألف فدان فى استواء الأرض ، لو وقعت فيها قطرة ماء واحدة ، انتشرت فى جميعها ، لا يظمأ منها زرع ، فيها يزرع الكتان والقمح (والقرطم) وسائر أنواع الغلات ، فلا يكون على وجه الأرض بساط أعجب منه ، ويسايره من جانبه الغربى جبل أبيض على صورة الطيلسان[(٤)] ، كأنه قرنان ، ويحف به من جانبه الشرقى النيل ، كأنه جدول فضة ، لا يسمع فيه الكلام ، لكثرة دوى أنواع الطير . وهى إحدى الميرات[(٥)] لجيش خمارويه بن أحمد بن طولون .

---

(١) كانت من أعظم مدن الصعيد (خ ١ : ٢٣٨) ، كما كانت المركز العام لعبادة الإله « توت » ، واسمها القديم « شمون » ، وكانت واقعة على النيل تجاه مدينة أنصنا ، وقد دثرت ، ولايزال مكانها ظاهراً فى التل الواقع بجوار بلدة الأشمونين الحالية ، وهى قرية من قرى مركز ملوى ، بمحافظة المنيا (ق ٢ ج ٤ : ٥٩) .

(٢) جبل بصعيد مصر على النيل (ت : ف ى د) ، وفى (ج : لوحة ٣٧) : جبل أبى فايده .

(٣) الكندى : أبو عمرو الكندى ، محمد بن يوسف بن يعقوب (المتوفى سنة ٣٥٠ هـ) مؤرخ ، كان من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وأعمالها وثغورها ، وله علم بالحديث والأنساب . ولد وتوفى بمصر ، من كتبه « الولاة والقضاة » مطبوع فى مجلد واحد ، اشتمل على كتابيه : « تسمية ولاة مصر » و « أخبار قضاة مصر » ، وله « فضائل مصر » مخطوط (ع ٨ : ٢١) .

(٤) الطيلسان : ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف ، أو يحيط بالبدن ، خال من التفصيل والخياطة (الشمال) .

(٥) الميرات : جمع ميرة ، وهى الطعام يجمع للسفر ونحوه ، ولعل المقصود بها هنا مخزن الأطعمة .

ومنها : إخميم ، بلد عظيم ، وفيه من العجائب والآثار والبرابى والطلسمات[١] ،الا يعرف، وبه الإهليلج[٢] الكابلى والأصفر ، وشجر المسيح الذى ليس هو فى بلد[٣] ، وكان بها فى الدهر الأول أثنا عشر ألف عريف[٤] على السحرة . وبها يعمل الطراز الصوف الشفاف ، والمطارف[٥] والمطرز والمعلم الأبيض والملون ، تحمل منه إلى أقصى البلاد ، يبلغ الثوب منه عشرين دينارا ، وكذلك المطرف[٦] .

ومنها : " قوص واسوان " .

وقد استوفى محاسن إقليم الصعيد كله ، وخصوصا هذين الإقليمين ، الإمام العلامة « كمال الدين جعفر الادفوى[٧] » ، فى كتابه «الطالع السعيد» ، فقال : إن مسافة إقليم الصعيد فى الطول اثنا عشر يوما بسير الجمال ، وعرضه ثلاث ساعات ، وأكثر وأقل ، بحسب الأماكن ، يعنى العامرة منه . وهو كورتان : غربية وشرقية ، والنيل فاصل بينها . ويتصل عرضه فى الكورة الشرقية بالبحر المالح ، وبأراضى البجاة[٨] . وفى الغربية بألواح[٩] .

(١) البرابى : جمع بربا ، ومعنى (بر) بيت ، و (با) روح ، فمعناها بيت الروح ، وهو القبر . و (البربا) كلمة يقولها أهل الصعيد لكل مكان فيه أثر فرعونى . وهى أيضاً اسم لقرية قديمة ولد بها الملك مينا ، وهى تابعة لمركز جرجا . ويرى مؤلف القاموس الجغرافى أن (بربا) معناها بيت الحكمة ، وهى الدار التى كان المصريون القدامى يتعلمون فيها العلوم ، وخاصة اللاهوتية . (ق ٢ ج ٤ : ١٠٨) . والطلسمات جمع أوطِلَّسم طِلَّسم : خطوط وأعداد سحرية ، وكل ما هو غامض أو مبهم كالألغاز والأحاجى .

(٢) الإهليلج : شجر ينبت فى الهند وكابل والصين ، ثمره على شكل حب الصنوبر الكبار .

(٣) فى الأصل (ا) الذى هو فى بلد ، والمتبادر من السياق أن يقال : الذى ليس له نظير فى بلد . فى (ح) : شجر آلح لا شجر المسيح .

(٤) العريف : القيم بأمر القوم وسيدهم .

(٥) المطارف : جمع مطرف ، وهو رداء أو ثوب من خز مربع ذو أعلام ،

(٦) والمطرف : من الخيل ونحوها الأبيض الرأس أو الذنب ، وسائره مخالف لذلك ، أو أسودهما ، وسائره مخالف لذلك .

(٧) هو جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوى ، أبو الفضل كمال الدين (٦٨٥-٧٤٨هـ) ، مؤرخ ، عالم بالأدب والفقه والفرائض والموسيقى ، وكتابه « الطالع السعيد ، الجامع لأسماء نجباء الصعيد » ترجمة لرجال عصره من أهل الصعيد ، وهو مطبوع (ع ٢ : ١١٦) .

(٨) البجاة : أو البجة ، كأنه جمع باج : ويقال : إنهم من البربر ، وكانت أول بلادهم قرية تعرف بالخربة ، معدن الزمرد فى صحراء قوص ، وآخر بلادهم أول بلاد الحبشة (غ ١ : ١٩٤) . وقيل البجة قبيلة من الحبش أصحاب أخبية من شعر ... يتزيون بزى العرب ... أسلموا فى إمارة عبد الله بن سعد ابن أبى سرح (غ ١ : ١٩٥) .

(٩) ألواح : الواحات .

ومن مدنها «سُمهود»(١) ، وهى كثيرة المعاصر لقصب السكر . ويقال: إن الفأر لا يأكل قصبها ، وذلك مشهور بين أهلها .

وأما قوص فسميت «بقوص بن قفط بن إخميم بن شفاق بن أشمن بن منف» . وفيها سائر أصناف التمر والخل والحطب البكارى(٢) الذى لارماد له ، والفحم الجافى ، وسائر أنواع الأرطاب والكروم ومعادن الذهب والجوهر والنفط الذى ظهر فى سنة أربع وثلاثين وثمان مئة . (وقال : أما محاسن هذا الإقليم فإن ماءه أحسن المياه وأحلاها وأشدها بياضا . قال ابن حوقل(٣) فى كتابه المسمى « المسالك والممالك » : إن ماء مصر أشد عذوبة وحلاوة من سائر أنهار الإسلام ، [فإذا كان كما قال فما إقليم قوص(٤)] أجمع لهذه الصفات ، سألت الحكيم الفاضل السديد(٥) الدمياطى عن ماء قوص: كم ما بينه(٦) وبين ماء مصر فى التفاوت؟ فقال: انتهيت فى السفر فى الوجه القبلى إلى (هُو(٧)) ، وبين مائها وماء مصر كماء بسكر وماء صرف ، فإذا قابلت(٨) ماء أسوان كان بينه وبين ماء (هُو) فرق ظاهر ، وفيه من الحسن شدة (برده(٩)) فى الصيف ، بحيث يصير كأن فيه ثلجا) .

(١) فى الأصلين (ا ، ب) سمنود والصواب : سمهود ، وقدكانت مدينة بالجانب الغربى من النيل ، قال الأدفوى : كان بسمهود سبعة عشر حجرا لاعتصار قصب السكر ، ويقال : إن الفأر لا يدخل قصبها (خ ١ : ٢٠٣) و (ف : ٩) . وهذا الوصف ينطبق على سمهود لا سمنود ، وخاصة أن الأصلين (ا ، ب) كانا بصدد الكلام على كور الصعيد ، وسمنود فى الوجه البحرى .

(٢) الكارى ، وفى (ب) الكارمى ، وكذلك فى (جـ ، لوحه : ٣٨) .

(٣) هو محمد بن حوقل البغدادى الموصلى ، أبو القاسم (المتوفى سنة ٣٨٠ هـ) ، رحالة من علماء البلدان ، والاسم الصحيح لكتابه : «المسالك والممالك» (ف : ١٠) و (ع ٧ : ٣٤٤) وفى (جـ : لوحة ٣٩) والأصل (ا) « الممالك والمسالك » .

(٤) كذا فى (ف : ١٠) ، أما فى الأصل : « وما قضى » فى مكان « فإذا كان كما قال فما إقليم قوص » ، « فما » : هى ماء ، و « قضى » : محرف عن قوص .

(٥) ذكر صاحب « الطالع السعيد » بنى السديد على أنهم من بيوت الرياسة والاشتغال بالعلم وتولى المناصب الدينية فى إسنا (ف : ١٧) . وفى (جـ) : (لوحة ٣٩) : الشديد .

(٦) «كم ما بينه» : « ما » ساقطة فى (ف : ١٠) . (٧) هو : هى الحمراء ، بليدة أزلية على تل بالصعيد بالجانب الغربى ، دون قوص ، يضاف إليها كورة (ب ٤ : ٩٥٣) .

هو : هى من المدن القديمة ، كانت قاعدة لكورة من كور مصر بالصعيد الأعلى بمركز نجع حمادى ، ولا زالت تعرف باسمها الحالى (ق ٢ جـ ٤ : ١٩٩) .

(٨) « فإذا تأملت » فى (ف : ١٠) بدلا من «قابلت» . (٩) فى (ف : ١٠) : شدة برده أى برودته .

و يوجد فى مائه السقنقور الحيوانى ، ولا يوجد بغير النيل ، ويختص بالصعيد .

ومن محاسنه كثرة نخله وأشجاره على شاطئ النيل من الجانبين : الشرقى والغربى، يشق بينهما مسافة سبعة أيام ، لا يخلو منه [(١)] إلا القليل ، والذى أظنه أن مساحة الأرض التى فيها النخيل والبساتين، تقارب عشرين ألف فدّان .

وقد ذكروا (أن إسنا) [(٢)] فى سنة حُصّل منها أربعون الف إردب من التمر ، واثنا عشر ألف إردب من الزبيب . وأسوان أكثر نخيلا من جميع الأقاليم ، وأدركناها وقد تحصل منها فى سنة ثلاثون ألف إردب منّ التمر (فيما بلغنا) .

قلت : وقد حكى المسعودىّ أن بلد « أسوان » كثير النخل ، خصيب ، كثير الخير ، تودع النواة فى الأرض فتنبت نخلة ، و يؤكل من ثمرها بعد سنتين .

ثم قال صاحب « الطالع السعيد » : وأخبرت أن نخلة « بالقوصة » [(٣)] من عمل المرج ، وأخرى بقمولا [(٤)] ، حصل من كل منهما اثنا عشر إردبا من تمر .

وفاكهة هذا الإقليم شديدة الحلاوة ، حسنة المنظر .

رأيت قطف عنب زنته ثمانية أرطال بالليثىّ ، و وزنت حبة ، بجاء وزنها أحد عشر درهما ، وحبته عطره الرائحة [(٥)] .

---

(١) فى (ف : ١٠) لا يخلو « منها » بدلا من « منه » .

(٢) كذا فى (ف : ١١) ، « فان إسنا » ساقطة من الاصلين (أ ، ب) .

(٣) كذا فى (ف : ١١) ، وفى الأصلين (ا ، ب) وكذلك فى (جـ : لوحة ٣٩) بالقويسنة ، والقوصة : قرية بالكورة الشرقية من الصعيد الأعلى (ف : ١١) .

(٤) قمولا أو قمولة : بليدة بأعلى الصعيد بمصر غربى النيل (ب ٤ : ١٧٧) وفى سنة ١٢٥٩ هـ قسمت إلى ثلاث نواح : البحرى قمولا ، والأوسط قمولا (وهذه هى الأصلية) ، والقبلى قمولا ، والأوليان تابعتان لمركز قوص ، والأخيرة تابعة لمركز الأقصر (ق ٢ جـ ٤ : ١٨٣) ، وفى (جـ : لوحة ٣٩) : حصل من كل منهما اثنا عشر ألف إردب . وهذا غير معقول .

(٥) ورياحينه عطرة الرائحة فى (ف : ١١ وجـ : لوحة : ٤٠) .

(حكى لى الشيخ العالم فتح الدين محمد[١] بن سيد الناس قال : قال لى الشيخ تقىّ الدين القشيرىّ[٢] : تروح إلى قوص تدرس بدار الحديث ، فذكرت له بُعدها وحرارتها ، فقال : أين أنت من طِيب فاكهتها ، وعطرية رياحينها ، ورطبها من أحسن الرطب ، صادق الحلاوة ، كثير السقر[٣] ، وفيه شىء تسل النواة منه ، وهو على عُرْجونه[٤] قبل أن يقطف ، وفيه رطب لا يمكن تأخيره بعد أن يجنى غير لحظة لنعومته وكثرة سقره . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥] : « رطب طيب ، وماء بارد ، إن هذا من النعيم » .

وذكر ابن زولاق أن بعض العلماء كشف عن أرطاب أسوان ، فما وجد بالعراق شيئا من أنواع التمر ، إلا وفى صعيد قوص مثله ، وفيه ما ليس بالعراق . قال : وأخبرنى أبو رجب[٦] الأسوانى الفقيه ، صاحب القصيدة البكرية ، أنه يعرف بأسوان رطبا أخضر كخضرة السلق ، عجيب المنظر ، حسن المخبر ، وبالعشاشية منها سبع نخلات ، تحمل رطبا إلى أمير المؤمنين ، العزيز بالله ، وهى ضيعة بالجيزة) .

وأمر الرشيد أن يجمع له أنواع الثمار بأسوان ، من كل صِنف ثمرة واحدة ، فجمعت ، فكانت وَيْبة ، وليس هذا بالعراق ولا بالحجاز ، ولا يعرف فى الدنيا بُسْر يتمر قبل أن يصير رطبا إلا بأسوان ، ولا يتمر بلح قبل أن يصير بسرا إلا بها . قال : وبأدفو[٧] تمر لا يقدر على

---

(١) هو فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الربعى ، أبو الفتح (المتوفى سنة ٧٣٤ هـ) ، مؤرخ عالم بالأدب ، من حفاظ الحديث (ع ٧ : ٢٦٣) .

(٢) هو أبو الفتح محمد بن على بن وهب بن مطيع القشيرى المنفلوطى ثم القوصى تقى الدين بن دقيق العيد (٦٢٥ – ٧٠٢ هـ) ، جمع فى المعرفة بين مذهبى مالك والشافعى ، وألف فى أحاديث الأحكام والفروع الغريبة (ف : ٣٢٢ – ٣٣٨) .

(٣) الدبس : عسل التمر ، ما يسيل من الرطب .

(٤) العرجون : ما يحمل الثمر ، والعذق ، وهو من النخل كالعنقود من العنب ، وفى (ف : ١١ ، وجـ : لوحة ٤٠) : عرجونه ، وفى (ا) : عرجون .

(٥) لم يرد فى صحيح مسلم ولا فى الجامع الصغير للسيوطى .

(٦) كذا فى الأصل (ا) ، وفى (جـ : لوحة ٤٠) : أبو رجاء الأسوانى ، وهو محمد بن أحمد بن الربيع الأسوانى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ) ، كان فقيها شاعرا أديبا ، سمع وحدث (سح ا : ١٨٧) .

(٧) فى الأصلين (ا ، ب) : وبوادى فوة ، وفى (جـ : لوحة ٤٠) : وبادفو .

أكله حتى يدق فى الهاون، مثـل السكر، ويكون، عند أكثر النـاس، عوضا عن السكر، ينثر منـه على العصائد، وكذلك البطيخ كثير الحلاوة، والأخضر منـه عظيم الحبة، بحيث لا يكاد يستقل بحمل الواحدة منه إلا الرجل الشديد القوة.

ومن محاسنه: طيب لحم الحيـوان به، ولذته، فإن الغـالب على غنمه السواد، وهى عند الأطباء أشد حرارة، وألذ مطعما، وأطيب مرعى.

ومنها: حسن غلاله وكثرتها.

قيل: إن المتحصل من بلاد المرج ما يزيد على مئـة ألف إردب، و (من هو)[1] ما يقارب ذلك.

ومنها: طيب أرضه، حتى إن الفدان الواحد يحمل منه ثلاثون إردبا من البر، وأربعون من الشعير، ومن الذرة أربعة وعشرون، (وما يقارب ذلك، والشاء طيب مخصب، كثير الألبان، كثير الدفء، طيب الإقامة، جيد). وذكر أبو إسحاق[2] (البيهقى): أن المستولى على إقليمه «المشترى». قال: والغالب على إقليمه العلم، والفهم، والديانة، والرياسة، وحب العمارة، وجمع المـال، والسماح، والبهاء، والزينة.

ثم قال صاحب «الطالع السعيد»:

وقد خرج من أسوان خلائق كثيرة لا يحصون، من أهل العـلم والرواية والأدب، ثم أورد منهم[3] جمعا كثيرا، قيل لى: إنه حضر مرة قاضى قوص، فخرج من أسوان[4] أربع مئة راكب بغلة للقائه. وكان لهـا ثمانون رسولا من رسل الشرع[5]، وأخبرنا من وقف على مكتوب فيه أربعون شريفا خاصة، وآخر فيه سبعون، ووقفت أنا على مكتوب فيه قريب من أربعين، فيه جمع كثير من بيت واحد مؤرخ بما بعد العشرين والست مئة).

---

(١) ساقطة من الأصلين (ا، ب)، ومذكورة فى (ف: ١٢ وجـ: لوحة ٤١).
(٢) لم نعثر له على ترجمة.
(٣) فى (ف: ١٢): وسنورد منهم.
(٤) أربع مئة راكب بغلة فى (ف: ١٢ وجـ: لوحة ٤١)، وفى الأصل (ا) أربع مئة ألف.
(٥) هو ما نسميه الآن بالمحضر، وفى (ف: ١٢): وأخبرنى من وقف.

وبقوص ست[(١)] مدارس ، وبإسنا مدرستان ، وبالأقصر مدرسة ، وبأرمنت مدرسة ، وبقنا مدرستان ، وبهو مدرسة ، وبقمولا مدرسة .

وكان [بها] بنو الكنز أمراء اصلاء من ربيعة ، أهل فتوة ومكارم ، ممدوحين ، مقصودين من سائر البلاد الشاسعة . جمع لهم الفضائل السنية أبوالحسن على بن عرام[(٢)] فى سيرة ذكر فيها حالهم ومناقبهم ، وأسماء من مدحهم من أهل الشعر ، ومن ورد عليهم .

(وكان بها أيضا القضاة ، المفضل وبنوه ، أهل علم وكرم ورياسة وحشمة ، ولهم فى المناصب الدينية رسوخ قدم — إلى أن قال : ونخيلها تشق المركب[(٣)] [فيه] مسيرة يومين . وبها سمك كثير . والجنادل التى بها نزهة من نزه الدنيا ، بهجة المنظر ، كأنها مقطعات[(٤)] نيل . وهى معتدلة الهواء ، قليلة الوباء ، وبها نخيل ورياحين ، تهب رائحتها على البلد) .

وبها حجر يسمى البُهلول ، إذا عمه الماء[(٥)] يكون علامة على وفاء النيل بمصر ، وهى كثيرة المزارات[(٦)] ، والنزه دائرة على البحر ، والغالب على أهلها السّمرة .

ومن أعمال مصر : جانبها القبلي ، وأوله بركة الحبش[(٧)] ، وهى البركة المعروفة ، وفيها من أنواع الأرطاب والثمار والأعناب ، أنواع لم تكن بالعراق ولا بالحجاز . (فيها البرنى والبَونى والبردى ، والصيحانى السكرى ، والحلبانا وغيرها) .

---

(١) فى (ج : لوحة ٤١) : ستة عشر مكاناً للتدريس .

(٢) هو أبو الحسن على بن عرام الربعى الأسوانى (المتوفى سنة ٥٨٠ هـ) ، أديب من أهل أسوان ، له مصنفات ، اطلع العماد الأصفهانى على ديوان شعره ، ونقل عنه مختارات (ف : ١٩٨ — ٢٠٤ وع ٥ : ٦١) .

(٣) تشق المركب فيه فى (ف : ١٤) ، وفى (ا ، ب) يشق الراكب .

(٤) النيل هنا : جنس نباتات محولة أو معمرة من الفصيلة القرنية ، تزرع لاستخراج مادة زرقاء للصباغ من ورقها . والمقطعات : برود عليها وشى مقطع أى منمق .

(٥) فى (ف : ١٤) : إذا عمه النيل انحدر المفرد الذى هو علامة على وفاء النيل .

(٦) فى (ف : ١٤) كثيرة المزارات ، وفى (ب) : البرازات ، وفى (ا) البزارات .

(٧) كانت تعرف ببركة المعافر ، وبركة حمير ... ، واشتهرت باسم بركة الحبش لأنه كان يوجد بجوارها من الجهة الجنوبية جنان تعرف بالحبش تملكها طائفة من الرهبان الحبش (خ ٢ : ١٥٢) .

ولم تكن بركة بالمعنى المعروف ، إنما كانت تطلق على حوض من الأراضى الزراعية التى يغمرها ماء النيل سنوياً عند فيضانه بوساطة خليج بنى وائل الذى كان يستمد ماءه من النيل جنوبى مصر القديمة . ويظهر أنها كانت تشغل منطقة يحدها اليوم من الشمال صحراء جبانة مصر ، وبجبل الرصد (الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر) ، وأرض قرية أثر النبى ، فى الحد الفاصل بينها وبين دير الطين . ومن الغرب بجسر النيل بين قرية دير الطين ومعادى الخبيرى . ومن الجنوب والشرق بأراضى ناحية البساتين التابعة لمركز الجيزة (ق ١ : ١٥٠) .

ومنها : الجانب الغربى ، وهو " الجيزة " ، وفى إقليمها من النخل والكروم وسائر أنواع الفواكه والأزهار ، ما يزيد على البصرة وفواكه الشام ، من نخلها ومراعيها وعذوبة مائها . وفى جانبها " الأهرام " ، وبها الأترج المكعب ، والزهر فى غير وقته ، والورد والبنفسج فى تشرين الأول ، ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم ، وفضل سكنها ، وبارك فى غرسها ، كذا قال ابن زولاق .

قلت : ولعلها كانت قديما بما وصف ، وأما الآن فليست كذلك .

ومنها : " منف [1] " وأبنيتها وعجائبها وأصنامها ودفائنها وكنوزها لا تحصى . وهى من عجائب مصر . ذكر بعض علماء مصر أنها كانت ثلاثين ميلا بيوتا متصلة . وفيها بيت فرعون ، قطعة واحدة من الحجر ، سقفه وفرشه وحيطانه حجر أخضر .

وقال شيخنا المقريزى [2] : (إنه كان لها سبعون بابا ، وكان سورها مبنيا بالحديد والصفر ، وطوله اثنى عشر ميلا) . قال : وهى مدينة الإقليم بعد الطوفان ، وكانت منزل الملوك من القبط الأوائل ومن العماليق ، ومسكن الفراعنة وما زال الملك بها إلى أن ملك الروم اليونان ديار مصر ، فانتقل كرسى الملك منها إلى الإسكندرية . وكان بُخت نَصر [3] قد أخربها فى زمن قومس [4] ، ثم لم تزل عامرة إلى أن جاء الإسلام ، وخرّبها عمرو بن العاص وفيها كانت الأنهار تجرى من سرير الملك ، وكانت أربعة أنهار .

ولما دخل المأمون إلى مصر سنة سبع عشر ومئتين أنشد ، وقد رأى مدينة منف يقول : (شعر) :

سألت أطلال مصر * عن عين شمس ومنف
فما أحارت جوابا * ولا أجابت بحرف
وفى السكوت جواب * لذى الفطانة يكفى

(١) منف : تقدم الكلام عليها .
(٢) المقريزى : تقدم التعريف به .
(٣) بختنصر : تقدمت ترجمته .
(٤) قومس : ملك منف حينما دمرها بختنصر .

قال بعضهم : دخلت مصر ، فرأيت عثمان[1] بن صالح ، عالم مصر ، جالسا على باب الكنيسة بمنف ، فقال : أتدرى ما على بابها مكتوب ؟ قلت : لا . قال مكتوب لاتلومونى على صغرها ، فإنى اشتريت كل ذراع أرض بمئتى دينار ، لكثرة عمارة المدينة . قال : وعلى هذه الكنيسة وكزموسى[2] عليه السلام الرجل القبطى ، فقضى عليه .

وبها كنيسة الأسقف ، لا يعرف طولها من عرضها ، مسقفة بحجر واحد ، حتى لو أن ملوك الدنيا قبل الإسلام جعلوا همتهم أن يصنعوا مثلها ، لما أمكنهم ذلك . (وبها آثار الأنبياء والحكماء . وهى منزل يوسف عليه الصلاة والسلام ، ومن كان قبله) . وكانت منزل فرعون موسى ، وكانت له أيضا عين شمس ، وكذلك بنى المرقب على قرنة[3] الجبل ، وجعله أحمد ابن طولون مسجدا . وكان فرعون إذا أراد الركوب من "منف" إلى "عين شمس" أوقد صاحب المرقب نارا بمنف ، فإذا رآها صاحب عين شمس تأهب لمجيئه . وكذلك يصنع صاحب عين الشمس إذا أراد الركوب (من عين شمس) إلى منف .

وكان بمنف قبة بها صور ملوك الأرض ، فمتى تحرك منهم ملك يريد مصر بعج[4] الموكلون بالقبة بطنه بحربة ، فيهلك فى موضعه . فلما عزم بخت نصر على المسير إلى مصر ، أرسل رجلا يثق به ، وأعطاه مالا جزيلا ، وأوصاه أن يحتال فى إبطال تلك الحركة ، فاحتال بأن صاهر بعض الموكلين بالقبة لحفظها ، فدخل بها فى بعض الأيام ، وسأل عن الصور ، ورأى صور فيها صورة بخت نصر ، فدل عليها ، فقال للمرأة التى تزوجها : ما هذه ؟ فعرفته ، فقال لها فى خلوة : كيف ينجو صاحب هذه الصورة من هذه الحركة ؟ فقالت : تضمخ[5] صورته بدم خنزير ، فلطخها وهرب إلى بخت نصر ، وأخبره فسار إلى مصر ، وكان من أمره ما كان .

تم [الكلام على] مدينة الفيوم وبركة الحبش . والله أعلم .

---

(١) عثمان بن صالح ؛ هو عثمان بن صالح بن صفوان السهمى مولاهم ، أبو يحيى المصرى (المتوفى سنة ٢١٧ هـ) ، روى عن مالك والليث وابن وهب (خز : ٢٦٠) .

(٢) وكزه : دفعه وضربه .

(٣) قرنة الجبل : رأسه وأعلاه .

(٤) بعج البطن : شقه ، فبرزت حشاياه .

(٥) ضمخ جسده وغيره بالطيب : لطخه كثيرة .

[فصل فى ذكر ما ورد فى فضل مصر]

قال العلامة الحسن بن إبراهيم الشهير بابن زولاق ، فيما لخصته من كتابه الكبير فى تاريخ مصر : هذا كتاب جمعت فيه جملا من عيون أخبار مصر وفضائلها وضيعها[1] ، كنيته بالموازنة بين مصر وبغداد ، فأقول :

أول ما أبدأ به أن أقول : إن الله تعالى جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، ذكر مصر فى كتابه العزيز فى ثمانية وعشرين موضعا من القرآن . قلت : منها ما هو صريح اللفظ ، ومنها ما دل عليه القرآن وكتب التفسير .

قال الله تعالى فى كتابه [العزيز] مخبرا عن فرعون : ﴿ أليس[2] لى ملك مصر... الآية ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وآويناهما[3] إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ . قال ابن عباس[4] ، وسعيد[5] ابن المسيب ، ووهب بن منبه[6] ، وعبدالرحمن[7] بن زيد بن أسلم : هى مصر ، والربوة لا تكون إلا بمصر .

---

(١) الضيع : جمع ضيعة ، وهى الأرض المغلة .

(٢) الزخرف : ٥١ .

(٣) المؤمنون — ٥٠ . والربوة : ما ارتفع من الأرض .

(٤) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى (٣ ق – ٦٨ هـ) ، لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه الأحاديث ، وشهد مع على الجمل وصفين ، وغزا إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبى سرح سنة ٢٧ هـ ، وكان عالماً فى الفقه والتفسير والشعر وأيام العرب وأنسابها (إص ٤ : ٩٠) و (ع ٤ : ٢٢٨) .

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب ... المخزومى (١٥ – ٩٣ أو ٩٤ هـ) رأس علماء التابعين ، وفاضلهم ، وفقيههم . قال قتادة : ما رأيت أعلم بالحرام والحلال منه (خز ١٤٣) .

(٦) وهب بن منبه بن كامل الأبناوى الصنعانى أبو عبد الله الأخبارى (المتوفى سنة ١١٠ هـ) ، روى عن ابن عباس وغيره ، وروى عنه سماك بن الفضل وغيره وثقة النسائى (خز : ٤١٩) .

(٧) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى مولاهم المدنى (المتوفى سنة ١٨٢ هـ) روى عن أبيه وغيره ، وروى عنه ابن وهب وغيره ، وضعفه أحمد بن حنبل ، وقال أبو داود : أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف ، وقال النسائى : ضعيف .

(تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٢٦ هـ ، ج ٦ ص ١٧٧) ، وفى الأصل (ا) : عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم .

وقال تعالى : ﴿ كم[1] تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ﴾ إلى أن قال : ﴿ كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴾ . يعنى بنى إسرائيل ، ورثوا مصر بعد قوم فرعون . كذا قال تعالى : ﴿ وأورثنا القوم[2] الذين كانوا يستضعفون مشرق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ﴾ . فهذه الأرض هى أرض مصر جزما ، وقال بعض المفسرين : إن المقام الكريم الفيوم . وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس الحسنة .

وقال تعالى: ﴿ اهبطوا[3] مصرا ، فإن لكم ما سألتم ﴾، فسرها سليمان[4] بن مهران الأعمش، وقال : هى مصر التى عليها صالح بن على[5] .

وقال تعالى : ﴿ ونمكن لهم[6] فى الأرض ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ادخلوا مصر إن[7] شاء الله آمنين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ادخلوا الأرض[8] المقدسه ... الآية ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لكم الملك اليوم[9] ظاهرين فى الأرض ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وتمت كلمة[10] ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ... الآية ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك[11] ﴾ ، فسمى صاحب مصر الملك .

وقال تعالى : ﴿ وأوحينا إلى[12] موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ﴾ .

---

(١) الدخان : ٢٥ - ٢٨ . (٢) الأعراف : ١٣٧ .
(٣) البقرة : ٦١ .
(٤) هو سليمان بن مهران الكاهلى الملقب بالأعمش (المتوفى سنة ١٤٨ ﻫ) ، أحد الأعلام والحفاظ والقراء . (خنز : ١٥٥) .
(٥) صالح بن على بن عبد الله بن العباس (بدأت ولايته الأولى سنة ١٣٣ ﻫ) .
(٦) القصص : ٦ .
(٧) يوسف : ٩٩ . (٨) المائدة : ٢١ .
(٩) غافر : ٢٩ . (١٠) الأعراف : ١٣٧ .
(١١) يوسف : ٧٦ . (١٢) يونس : ٨٧ . ومعنى تبوءا : اسكنا أو انزلا .

وقال تعالى : ﴿ اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ؟ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ اجعلنى على خزائن الأرض ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ﴾ (٣) .

وقال تعالى ، مخبرا عن موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ (٥) . قال عكرمة : منها القراطيس بمصر .

وقال تعالى : ﴿ إرم ذات العماد ﴾ ، قال محمد بن كعب القرظى : هى الإسكندرية .

وقال تعالى : ﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم فى الأرض ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ (٧) ، (يعنى أرض منف) :

وقال تعالى ، فى موضع آخر : (﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ (٨)) .

وقال تعالى : ﴿ إن فرعون علا فى الأرض ﴾ (٩) .

وقال تعالى : ﴿ فلن أبرح الأرض ﴾ (١٠) .

---

(١) الأعراف : ١٢٧ .
(٢) يوسف : ٥٥
(٣) يوسف : ٥٦ .
(٤) يونس : ٨٨ .
(٥) سورة فصلت : ١٠ .
وعكرمة : هو عكرمة البربرى، مولى ابن عباس ، أبو عبد الله (المتوفى سنة ١٠٥ هـ) ، أحد الأئمة الأعلام ، روى عن ابن عباس وعائشة وأبى هريرة وغيرهم ، وروى عنه خلق كثير . قال الشعبى : « ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة » (خز : ٢٧٠) .
ومحمد بن كعب القرظى المدنى ثم الكوفى (المتوفى سنة ١١٩ أو سنة ١٢٠ هـ) ، روى عن أبى الدرداء وعائشة وأبى هريرة ، وعنه الحكم بن عتيبة وغيره . قال ابن عون : « ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظى » . (خز : ٣٥٧) . والعبارة من « قال عكرمة » إلى « هى الاسكندرية » مضطربة ، لأن كلام كل من عكرمة ومحمد بن كعب القرظى لا علاقة له بموضوع الآية ، ولعل بهما سقطا .
(٦) الأعراف : ١٢٩ .
(٧) القصص : ٢٠ . والعبارة : « يعنى أرض منف » ساقطة من الأصل (١) .
(٨) سورة يس : ٢٠ . وما بين القوسين ساقط من الأصل (١) .
(٩) القصص : ٤ .
(١٠) يوسف : ٨٠ .

وقال تعالى : ﴿ إن تريد[(١)] إلا أن تكون جبارا فى الأرض ﴾ .

قال ابن عباس ، رضى الله تعالى عنه : سميت مصر بالأرض كلها فى عشرة مواضع ، ذكرها الله تعالى فى كتابه ، وقد تقدم ذكرها .

ومن السنة أيضا عشرة أحاديث فى حق مصر :

منها ما صح من حديث مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنكم ستفتحون أرضا[(٢)] يصح فيها القيراط " ، وفى رواية : " ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما " ، أو قال " ذمة وصهرا " .

قال العلماء : الرحم التى لهم كون " هاجر " أم اسماعيل ، عليه السلام ، منهم . والصهر كون " مارية " أم إبراهيم ، عليه السلام ، منهم .

وعن عمرو بن العاص ، رضى الله تعالى عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر فتنة يقول : " أسلم[(٣)] الناس أو خير الناس فيها الجند الغربى " ، يعنى جند مصر .

---

(١) القصص : ١٩ .

وقد لاحظ بعض قراء النص بهامش الورقة ٢٧ من الأصل (ب) أن المؤلف لم يذكر من هذه الآيات سوى ثلاث وعشرين فقط ، مع أنه نص على أن الآيات التى ذكرت فيها مصر ثمان وعشرون آية . وفى (جـ : لوحة ٤٥) شبهت بدلا من سميت .

(٢) فى (خ ا : ٢٤) و (م ٤ : ١٩٧٠ ، جـ : لوحة ٤٥) : « يذكر فيهـا القيراط » . وفى رواية « يسمى فيها القيراط » . « فاستوصوا بأهلها خيراً » وفى رواية : « فأحسنوا إلى أهلها » بدلا من : « فاستوصوا بها خيراً » التى وردت فى الأصل . وزاد مالك والليث : « فاستوصوا بالقبط خيراً » (خ ١ : ٢٤) و (ك : ٢ - ٤) .

والقيراط : جزء من أجزاء الدينـار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به . والذمة : الحرمة والحق ، وهى هنا بمعنى الذمام .

(٣) ذكره المقريزى فى (خ ا : ٢٤) ، ونصه فيـه : « تكون فتنة أسلم الناس فيها أو خير الناس فيها الجند الغربى » .

وعن أبى سالم الجيشانى[1] عن بعض الصحابة ، رضى الله عنهم : أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إنكم ستكونون أجنادا ، وإن خير أجنادكم أهل الغرب » ، يعنى جند أهل مصر .

وعن أشجع[2] قال : أقبلت من الصائفة[3] ، فلقيت أبا موسى الأشعرى[4] ، فقال : من أين أقبلت ؟ قلت من مصر . قال : من الجند الغربى ؟ قلت : نعم . قال : الجند الضعيف ؟ قال : قلت : أهو الجند الضعيف ؟ قال نعم . قال : أما إنه ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته . اذهب إلى معاذ[5] بن جبل يحدثك ، فذهبت إليه ، فقال لى : ما قال لك الشيخ ؟ فأخبرته ، فقال لى : وأى شىء تذهب به إلى بلادك أحسن من هذا ؟ اكتبه فى أسفل الرحل ، فلما رجعت إلى معاذ أخبرنى بأن بذلك أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن العاص أنه قال : حدثنى عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(١) ويزيد كل من (خ ا : ٢٥) و (ك : ٢ - ٤) على نص هذا الحديث العبارة الآتية : « منكم ، فاتقوا الله فى القبط ، لا تأكلوهم أكل الخضر » والخضر : الزرع الغض الأخضر ، وأخذه خضرا مضرا : غضاً طرياً ، أو بلا ثمن .

وأبو سالم الجيشانى المصرى هو سفيان بن هانئ ، مخضرم ، روى عن أبى ذر وغيره ، وروى عنه يزيد بن أبى حبيب وغيره ، ومات فى إمرة عبد العزيز بن مروان على مصر (وبدؤها مستهل رجب سنة ٦٥ هـ) (خـز : ١٤٦) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى (خ ا : ٢٤) : « وعن تبيع بن عامر الكلاعى » ، وكنيته : أبو غطيف ، توفى بالإسكندرية سنة ١٠١ هـ . (خز : ٥٥) .

(٣) الصائفة : غزوة الروم ، لأنهم كانوا يغزون صيفاً اتقاء البرد والثلج .

(٤) أبو موسى الأشعرى : هو عبد الله بن قيس بن سليمان بن حضار (المتوفى سنة ٤٢ هـ) ولى الكوفة لعمر والبصرة ، وفتح على يديه « تستر » وعدة أمصار ، له ٣٦٠ حديثاً ، اتفق البخارى ومسلم على خمسين ، وانفرد الأول بأربعة ، والثانى بخمسة وعشرين « خز : ٢١٠) .

(٥) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ... الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن المدنى (المتوفى سنة ١٨ هـ) ، أسلم وهو ابن ١٨ سنة ، وشهد بدراً والمشاهد ، له ١٥٧ حديثاً ، وروى عنه ابن عباس وابن عمر وغيرهما ، وكان ممن جمع القرآن (أى حفظه كله) . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يأتى معاذ يوم القيامة أمام العلماء » (خز : ٣٧٩) . والرحل : ما يوضع على ظهر البعير للركوب ، وكل شىء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره . وفى (خ ١ : ٢٤) : « أكتبت فى أسفل ألواحك » بدلا من « اكتبه فى أسفل الرحل » .

« ستفتح عليكم مصر بعدى ، فاتخذوا[1] بها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » فقال له أبو بكر : لم يا رسول الله ؟ فقال : « لأنهم هم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة » .

وفى حديث : « ستفتح لكم بعدى مدينة يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما » .

وقوله عليه الصلاة والسلام[2] ، (وقد أوصى بقبط مصر ، : « إنكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عُدّة ») .

(وقوله : « مصر أطيب الأرضين ترابا ، وعجمها أكرم العجم ») .

(وقوله : « (أهل) مصر فى رباط[3] إلى يوم القيامة ، ومن أعيته المكاسب فعليه بمصر ، وعليه بالجانب الغربى » .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « قُسِمت البركة عشرة أجزاء : تسعة فى مصر ، وجزء فى الأمصار كلها ، ولا يزال فى مصر بركة أضعاف ما فى الأرضين كلها » .

(قلت : وفى تفسير ابن النقيب نقلا فى قوله تعالى[4] ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴾ الآية) أن المراد أرض مصر ، وأن الله تعالى خلق البركة مئة جزء ، وجعل فى مصر تسعة وتسعين جزءا ، وجعل فى سائر الأرض جزءا واحد .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فى القبط ، لا تأكلوهم أكل الخَضِر » .

---

(١) قبل هذا الحديث سقط اعتمدنا فى ملء مكانه على ما ذكر فى (خ ١ : ٢٤) ، وفى رواية المقريزى : « إذا فتح الله عليكم بعدى مصر » بدلا من : « ستفتح عليكم مصر بعدى » .

(٢) رواية مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « استوصوا بالقبط خيراً ، فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال العدو » (خ ١ : ٢٥) . و (ك : ٢ — ٤) .

ورواية يزيد بن أبى حبيب أن أبا سلمة بن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب ، وقال : « الله الله فى قبط مصر ، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً فى سبيل الله » . (خ ١ : ٢٥) و (ك : ٢ — ٤) .

(٣) أعيته : أعجزته .

(٤) بياض فى الأصل (ا) وقد شغلناه بما جاء فى (ج : لوحة ٤٧) .

وقوله عليه الصلاة والسلام[١] : « إسكندرية إحدى العروسين » .

ويقال إن « هاجر » ، أم إسماعيل ، من قرية يقال لها « أم دينار[٢] » ، وإن « مارية » أم إبراهيم ، من قرية يقال لها « حَفْن[٣] » بصعيد مصر .

(وقال عبد الله بن عمر : قبط مصر أخوال قريش مرتين) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « مصر خزائن الأرض ، والجيزة غَيْضة[٤] من غياض الجنة » .

وقال عبد الله بن عمر[٥] : أهل مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يدا ، وأفضلهم عنصرا ، وأقربهم رحما بالعرب عامة ، وبقريش خاصة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) فى الأصل (ا) : « إحدى العروتين » ، وفى « فضائل مصر » لابن زولاق : « إحدى العروسين » وكذلك فى : (جـ : لوحة ٤٧) .

(٢) أم دينار : من الغربية ، ومحلها الآن : عزبة الأوقاف بأراضى ناحية كفر المنشى البحرى بمركز كفر الشيخ ، ويدل عليها حوض أم دينار الواقع على جانبى ترعة الشاكرية (ق ١ : ١٢٩) .

(٣) حفن : قرية من كورة أنصنا بصعيد مصر ، منها مارية زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، (ب ٢ : ٢٩٥) ، ولا يزال توجد آثارها بحوض الكوم الأحمر رقم ١٩ ، بأراضى ناحية المطاهرة البحرية بمركز المنيا (ق ١ : ٢٢٩) .

(٤) الغيضة : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف .

(٥) فى (جـ : لوحة ٤٧) : عبد الله بن عمرو .

[فصل فى دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لمصر (وأهلها)]

قال عبد الله بن عمر[(1)] : لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مثّل له الدنيا : شرقيها وغربيها ، وسهلها وجبلها ، وأنهارها وبحارها ، وبناءها وخرابها ، ومن يسكنها من الأمم ، ومن يملكها من الملوك . فلما رأى مصر (رآها) أرضا سهلة ، ذات نهر جار ، مادته من الجنة تنحدر فيه البركة ، وتمزجه الرحمة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا ، لا يخلو من نظر الحق إليه بالرحمة ، فى سفحه أشجار مثمرة ، فروعها فى الجنة ، تسقى بماء الرحمة ، فدعا (آدم) عليه السلام فى النيل بالبركة ، ودعا فى أرض مصر بالرحمة والبرّ والتقوى ، وبارك على سهلها وجبلها سبع مرات ، وقال : أيها الجبل المرحوم ، سفحك جنة[(2)] ، وتربتك مسكة ، يدفن فيها أغراس الجنة ، لا خلتك يا مصر بركة ، ولا زال بك حفظ ، ولا زال فيك ملك وعز .

يا أرض مصر فيك الخبايا والكنوز ، ولك البُرّ والثروة ، وسال نهرك عسلا ، كثّر الله زرعك ، وأدرّ ضَرْعك[(3)] ، وزكّى نباتك[(4)] ، وعظّم بركتك .

وقال عبد الله بن عباس ، (رضى الله تعالى عنهما) : دعا نوح ، عليه السلام ، لولده وولد ولده : مصر بن بيصر بن حام بن نوح ، وبه سميت مصر (مِصْرَ) . فقال : اللهم إنه قد أجاب دعوتى ، فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض (الطيبة المباركة) التى هى أم البلاد .

وقال عبد الله بن عمرو : لما قَسَم نوح عليه السلام الأرَضين بين أولاده ، جعل لحام مصر وسواحلها ، والغرب وشاطئ النيل . فلما دخلها بيصر بن حام ، وبلغ العريش ،

---

(١) عبد الله بن عمرو فى (جـ : لوحة ٤٧) .

(٢) فى (ب) حبة ، وهى بزور العشب والبقول البرية ، والحبوب المختلفة من كل نوع

(٣) أدر : زاد وأكثر ، والضرع : مدر اللبن .

(٤) زكى نباتك : نماه .

قال : اللهم إن كانت هذه الأرض التى وعدتنا بها على لسان نبيك نوح ، وجعلتها لنا منزلا ، فاصرف عنا وباءها ، وطيب لنا ثراها ، واجر لنا ماءها ، وأنبت لنا كلأها ، وبارك لنا فيها ، وتمم لنا وعدك ، إنك على كل شىء قدير ، وإنك لا تخلف الميعاد . وجعلها « بيصر » لابنه « مصر » ، وسماها باسمه .

والقِبط : ولد مِصْر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام . وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وبمصر ، كسائر وصاياه ، وقال : « قِبط مصر قريش العجم » .

[فصل فى وصف العلماء لمصر، ودعائهم لهـا]
واختيارها[1] للصحابة والملوك من بعدهم ، وإلى وقتنا هذا

وقال سعيد بن[2] أبى هلال : اسم مصر فى الكتب السالفة « أم البلاد » . وقال عبد الله ابن عمرو : أهل مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يدا ، وأفضلهم عنصرا ، وأقربهم رحما بالعرب عامة ، وبقريش خاصة .

(وقال أبو قَبِيل : إن الله تعالى أعطى أهل مصر قوة البراذين[3]، يعنى على عمل الأرض)،

وقال« كعب[4] الأحبار » : لولا رغبتى فى بيت المقدس ، ما سكنت إلا مصر ، فقيل له : ولم ؟ قال لأنها معافاة من الفِتن ، ومن أرادها بسوء كَبَّـه[5] الله على وجهه . وهـو بلد مبارك لأهله .

(وقال أبو رُهْم[6] السّماعىّ : لا تزال مصر معافاة من الفتن ، مدفوعا عن أهلها الأذى ، مالم يغلب عليها غيرهم ، فإذا كان ذلك ، لعبت بهم الفتن يمينا وشمالا) .

---

(١) « اختيارها » أفضل من « اختيارهم » الموجودة بالأصلين (ا ، ب) .

(٢) هو سعيد بن أبى هلال الليثى مولاهم أبو العلاء المصرى (المتوفى سنة ١٣٠ هـ أو سنة ١٣٥ هـ) ، أحد المكثرين عن جابر مرسلا (أى من غير سند) ، وعن نافع وغيرهما (خز : ١٤٣) .

(٣) هو حيى بن ناضر (أو حى بن هانىء) أبو قبيل المعافرى المصرى (المتوفى سنة ١١٨ هـ) ، روى عن عقبة بن عمرو وعبد الله بن عمرو ، وروى عنه يزيد بن أبى حبيب وغيره ، ووثقه ابن معين وغيره (خز : ٩٧) ، وقيل مات سنة ١٢٧ هـ فى خلافة مروان بن محمد (ط ٧ : ٥١٨) . والبراذين : جمع برذون ، وهو ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء .

(٤) كعب الأحبار : هو كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى أبو اسحاق (المتوفى سنة ٣٢ هـ) ، تابعى كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، أسلم فى زمن أبى بكر ، وقدم المدينة فى أيام عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وله كتاب « سيرة الاسكندر » ، مخطوط فى مجلدين (ع ٦ : ٨٥) .

(٥) كبه لوجهه أو على وجهه : قلبه وألقاه .

(٦) أبو رهم السماعى ، ويقال السمعى ، هو أحزاب بن أسيد الظهرى . ولا يعد فى الصحابة لأنه لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه من كبار التابعين ، روى عنه خالد بن معدان (خز : ٤٦٦ ، د ٤ : ١٦٥٩) .

(وقال أبو بصرة الغفارى[(١)] : مصر خزائن الأرض كلها ، وسلطان مصر سلطان الأرض كلها ، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام لملك مصر : ﴿ اجعلنى على خزائن الأرض ﴾ ، ففعـــل ؟) .

وفى " التوراة " مكتوب : « مصر خزائن الأرض كلها ، فمن ارادها بسوء قصمه الله » .

(وكان ابن عباس ، رضى الله عنهما ، يثنى على مصر ، ويقول : من استطاع أن يسكنها فليفعـل) .

وقال عبد الله بن عمر : مثلت الدنيا على صورة طائر ، فرأسه : " مكة والمدينة واليمن " ، والصدر : " مصر والشام " ، والجناح الأيمن : " العراق " ، وخلف العراق أمة يقال لها " أراق " ، وخلف أراق أمة[(٢)] يقال لها واق ، وخلف واق من الأمم ما لا يعلمــه إلا الله . والجناح الأيسر الغرب ، وبلاد الرومانية .

وقال (بعض العلماء : سقيا لأهل مصر ! قيــل : ولِمَ ؟ قال : لا يريدهم أحد بسوء إلا أهلكه الله ، ولا يريد أحد إهلاكهم إلا كبه الله على وجهه) .

(وقال عمرو بن العاص : ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة . قال : قلت لبعض ولاة مصر : متى عهــدت مصر تسعين ألف ألف دينار ؟ قال : فى الوقت الذى أرسل فرعون مصر بويبــة قمح إلى أسفل الأرض والصعيد ، فلم يجد لها موضعا تبذر فيــه ، لشغل سائر البلاد بالعمارة . وما نقل الزمخشرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضى الله عنهما ، أنه كان يقول : إذا دخلتم مصر ، فأصيبوا من خيرها ، واخرجوا منها إلى غيرها ، ولا تغتسلوا بطينها ، فإنه يميت القلب ، ويذكر[(٣)] بالغــيرة — يبعد صحته عنه لمخالفته لحـال أبيه ، وقوله المتقدم فى مصر ، وهو أيضا مكث بهـا بعد أبيه إلى أن مات بها ودفن . وهــذا تصديق

(١) أبو بصرة الغفارى : صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، ونزل مصر ، ومات بها ، ودفن بالمقطم : مقبرة أهل مصر (ط ٧ : ٥٠٠) .

(٢) فى (خ ١ : ٢٥) : وخلف العراق أمة يقال لها واق ، وخلف واق أمة يقال لها واق واق .

(٣) فى (ج : لوحة ٤٩) : ويذهب بالغيرة .

لقول) ابن المدبر: مصر اختيار نوح لولده، واختيار الحكماء لأنفسهم، واختيار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، لأنفس الصحابة، وهم: قيس بن سعد، والأشتر، ومحمد بن أبي بكر. واختيار عمرو بن العاص لنفسه، واختيار مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز، واختيار السفاح لعمه صالح بن عليّ، ولأكثر أهله، ووليها من بني هاشم أربعة عشر ملكا، واختيار المأمون لأخيه المعتصم، واختيارها لعبد الله طاهر، وهو من أنفس أصحابه، واختيار الخلفاء لمن يقوم منهم[1]، وكذلك الملوك والسلاطين إلى وقتنا هذا. وقد صارت دار الملك وبيضة الإسلام. انتهى.

(١) أي أن الخليفة يرشح لولاية مصر من سيقوم بالخلافة بعده، كما فعل المأمون مع المعتصم.

[فصل فى ذكر من ولد بمصر ومن كان بها]
من الأنبياء والحكماء، والملوك والعلماء

كان بمصر إبراهيم الخليل، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، واثنا عشر سبطا[1] من أولاد يعقوب، عليهم السلام.

وولد بها موسى وهارون، ويوشع بن نون، ودانيال، وأرميا، ولقمان، وعيسى ابن مريم، ولدته أمه بأهناس، المدينة المعروفة، وبها النخلة المذكورة فى كتاب الله تعالى، ونشأ بها، ولما سار عيسى، عليه الصلاة والسلام، أخذ على سفح الجبل المقطم ماشيا بجبة صوف، مربوطا وسطه بشريط، وأمه تمشى خلفه، فالتفت إليها، وقال: يا أماه، هذه مقبرة أمة محمد، وفى رواية أمة الفارقليط[2].

وممن كان من الصديقين: مؤمن آل فرعون. قال على بن أبى طالب: كان اسمه "حزقيل" والخضر، عليه السلام، وقيل: إنه ابن فرعون لصلبه، آمن بموسى، عليه السلام، ولحق به، وجعله الله نبيا.

وكان بها وزراء فرعون، الذين وصفهم الله تعالى بالعقل، وفضلهم على قوم نمرود حين قالوا: ﴿ أرجه وأخاه ﴾. وقال وزراء النمرود: ﴿ اقتلوه أوحرقوه ﴾.

وأخرجت مصر من الأفاضل السحرة الذين أحضرهم فرعون موسى، وكانت عدتهم اثنى عشر ألف نقيب[3]، تحت يد كل نقيب من السحرة (عشرون عفريتا، تحت يد كل عفريت ألف من السحرة)، وكان جميع السحرة مئتى ألف واثنين وثلاثين ألفا، آمنوا كلهم فى ساعة واحدة، ولم تعلم واقعة نظير هذه فى الدنيا.

---

(١) السبط: الولد.

(٢) الفارقليط: الرسول المبشر به، وفى (جـ: لوحة ٥٠): القلقطين.

(٣) النقيب: كبير القوم المعنى بشؤونهم، ومرتبته بعد مرتبة الساحر الكبير، وفى (جـ: لوحة ٥٠) اثنى عشر ألف نقيب، لكل نقيب من السحرة عشرون عريفاً، تحت كل عريف ألف من السحرة.

ومن فضائل مصر (وفضل أهلها) : أنه لم يفتن بعبادة العجل أحد من أهلها .

وكان بها من الصديقات : آسية ، امرأة فرعون ، وأم إسحاق ومريم بنة عمران ، وماشطة بنت امرأة فرعون ، التى مشطتها بأمشاط الكتان ، لما آمنت بموسى عليه السلام . (وقال النبي صلى الله عليه وسلم[(١)] : " شممت ليلة الإسراء فى الجنة رائحة ماشممت أطيب منها . فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت امرأة فرعون ") .

وممن صاهر أهل مصر من الأنبياء عليهم السلام : إبراهيم الخليل عليه السلام ، تزوج بهاجر ، أم إسماعيل عليه السلام ، وتزوج يوسف عليه السلام بنت صاحب عين شمس ، وتزوج زليخا : بعد أن عميت وعجزت ، فدعا الله تعالى ، فرد عليها جمالها الأول ، ورزق منها الولد . وتسرى[(٢)] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مارية القبطية ، التى أهداها له المقوقس من مصر ، وولدت منه إبراهيم .

(ولما اجتمع الحسين بن علىّ مع معاوية ، قال له الحسين : إن أهل حفن بصعيد مصر ، وهى قرية مارية أم إبراهيم ، فاسقط عن أهلها الخراج إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسقط عنهم) .

ومصر بلد العلم والحكمة من قديم الدهر ، ومنها خرج العلماء الذين عمروا الدنيا (بكلامهم وتدبيرهم وحكمتهم) .

فمنهم ذو القرنين ، صاحب سد يأجوج ومأجوج ، وهو الإسكندر[(٣)] ، من قرية يقال لها لوبية ، ملك الأرض كلها ، وذكره الله فى كتابه العزيز ، وبه سميت الإسكندرية ، وبنى (اسكندرية أخرى ببلد الحول[(٤)] ، وإسكندرية أخرى ببلاد الروم ، وبنى) سمرقند والأبراج ، (والمناظر ببلد التكسير[(٥)] على بحيرة طاس فى آخر العمارة) ، وفعل بالعراق أفاعيل عجيبة . وقتل

(١) لم يرد فى صحيح مسلم ولا فى الجامع الصغير للسيوطى .
(٢) تسرى : اختار ، وفى الأصل (ا) : تسرى بمارية ، والصواب : تسرى مارية .
(٣) قدمنا أن الاسكندر ذا القرنين غير اسكندر المقدونى .
(٤) لم نعثر على تحديد موقعها فيما بين أيدينا من مراجع ، وفى (جـ : لوحة ٥١) : الحول .
(٥) لم نوفق كذلك إلى العثور على موقعهما ، وفى (جـ : لوحة ٥١) : بلد التسكين .

" دارا ابن دارا " ، وآخر بالعراق ، وكتب إلى معلمه " أرسطو " يستشيره فى قتل من بقى من الفرس .

فكتب إليه : لا تفعل ، ولكن ولِّ كل رئيس منهم ناحية من بلده ، وقدمه على أصحابه ، (وسمه باسم الملِك) ، فإنهـم يتنافسون فى الرياسة ، فيفتتنـون ، ولا يجمعهم بلد أبدا . ففعل ، فلبثوا على ذلك دهرا طويلا . فلما قدم واجتمعوا عليه[(١)] بعد تعب عظيم ، وحروب كثيرة — قالوا : إن حِكمة فرقتنا أربع مئة سنة حكمة مشئومة . (قال على) : ولم يكن بذى قرنين ، ولكن (ضرب على قرنية ، و) كان عبدا صالحا ، بلغ مطلع الشمس ومغربها .

وقيـل إنما سمى بذلك لأنه (بلغ قرنى[(٢)] الشمس . وقيـل) : كان له قرنان مجوفان من ذهب . وروى أن طول أنفه ثلاث أذرع .

ومنهم جماعة الحكماء كهرمس ، وهو المثلث بالنعمة : نبىّ ، وحكيم ، وملِك ، وهو الذى صب الرصاص ذهبا ، و بنى الهرمين[(٣)] الكبيرين غربىّ مصر ، وقيل : هو إدريس النبىّ عليه السلام . ومنهم تلميذاه : أغاطيمون[(٤)] وفيثاغورس[(٥)] ، ولهما العلوم الموروثة ، وصناعة الكيمياء ، والنجوم ، والسحر ، وعلم النيرنجات[(٦)] ، والطلسمات ، والبرانى (وأسرار الطبيعة) ، وقبورهم

(١) فى (ج : لوحة ٥١) : فلما قام اردشير ، وأجمعوا عليه .

(٢) القرن من الشمس : أول ما يبزغ عند طلوعها .

(٣) هرمس المصرى : هو هرمس الثالث ، وهو الذى يسمى المثلث بالحكمة ، لأنه جاء ثالث الهرامسة الحكماء (قف : ٣٤٧) . وفى (خ ١ : ١١٨) هرمس الأول هو المثلث بالنبوة والملك والحكمة ، ويقال : إنه إدريس عليه السلام . وقد اختلف فى مولد هرمس ومنشئه وعمن أخذ قبل النبوة (قف : ١ — ٧) ، كما اختلف فيمن بنى الأهرام ، ولتفصيل ذلك انظر المقريزى (خ ١ : ١١١ — ١٢٢) وتاريخ مصر القديم لسليم حسن .

(٤) أغاطيمون : لعله محرف عن أغاثيمون المصرى ، وهو معلم إدريس قبل النبوة ، ومعنى هذا الاسم : السعيد الجد (قف : ٢) . وفى (ج : لوحة ٥٢) : أغا يتمون .

(٥) فى (ب) فيثاغوس ، والصحيح فيثاغورس ، وقد أخذ الهندسة عن المصريين ، ومن تلاميذه : نيقوماخس ، أبو ارسطوطاليس (قف : ٢٥٨ — ٢٥٩) .

(٦) النيرنجات : أخذ كالسحر ، وليس به ، جمع أخذه ، وهى ما يحتال به فى السحر . وفى (ا ، ب ، ج) : النارنجيات .

فى الهرمين . ومنهم أبقراط[١] ، صاحب الحكمة والكلام على البارى عز وجل ، وهو صاحب البلاغة — ومنهم أفلاطون[٢] ، صاحب السياسة والنواميس ، والكلام على المدن والملوك . ومنهم بطليموس[٣] ، صاحب الرصد والمساحة والكتاب ، وهو صاحب كتاب " المجسطى " ، وتركيب الأفلاك وحركة الشمس والقمر ، والكواكب المتحركة والثابتة ، وصورة فلك البروج ، وله كتاب " وصف الأمم الذين يعمرون الأرض " وكتاب « الثمر فى علم النجوم وتسطيح الإكوة » . ومنهم " أرسطاطاليس[٤] " صاحب المنطق ، والآثار العلوية ، والحس والمحسوس ، والكون والفساد ، والسماء والعالم ، (وسمع الكيان[٥]) ، والسمع الطبيعى ، ورسالة بيت الذهب . ويقال : إن ليعقوب بن[٦] إسحاق الكندى ألف كتاب ، كلها مستخرجة من كتب أرسطو هذا . (ومنهم أراطيس[٧] ، صاحب البيضة ذات الثمانى والأربعين الصورة فى تشكيل صورة الفلك ، واثنين وعشرين كوكبا من الكواكب الثابتة والمريخ) .

ومنهم أفليطموس[٨] ، صاحب الفلاحة . (ومنهم أبو حس[٩] صاحب الرصد ، والآلة المعروفة بذات الحلق . ومنهم تاور[١٠] صاحب الزيج المنسوب إليه . ومنهم اسطقير[١١] ،

---

(١) لم يذكر القفطى أنه جاء إلى مصر (قف : ٩٠) .

(٢) شارك سقراط فى الأخذ عن فيثاغورس ، ومن هنا جاءت صلته بمصر بطريق غير مباشر (قف : ١٧) .

(٣) فى (قف : ٩٥) بطليموس القلوذى ، والبعض يعتقد خطأ أنه أحد البطالسة . والمجسطى بالطاء فى (قف : ٩٧) و (جـ : لوحة ٥٢) .

(٤) ارسطاليس : تتلمذ أبوه على فيثاغورس ، ومن هنا جاءت صلته بمصر (قف : ٢٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩) .

(٥) آلة موسيقية .

(٦) يعقوب بن اسحاق الكندى ، أبو يوسف (المتوفى سنة ٢٦٠ هـ) ، فيلسوف العرب والإسلام فى عصره ، اشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك ، وألف وترجم وشرح كتبا كثيرة ، منها : « إلهيات أرسطو » و « القول فى النفس » وغيرها (ع ٩ : ٢٥٥) .

(٧) أراطيس : فى (زو : ٩) أرطيس .

(٨) أفليطموس : فى (ذو : ٩) أفلطيموس .

(٩) أبوحس : أبرجس فى (ذو : ٩ و جـ : لوحة ٥٢) .

(١٠) تاور : باوُر فى (زو : ٩) .

(١١) اسطقير : اسطقر فى (زو : ٩٠) .

ودرابيريس[١]، وكاليس[٢] أصحاب كتب النجوم . ومنهم إيرت[٣]. ومنهم أندريه[٤] صاحب الهندسة والمقادير، وجر الثقيل، والحيل الروحانية، وعمل المتكابات والآلات لقياس الساعات). ومنهم فيلون[٥] البروطى، وله عمل الدواليب (والأرضية، والحركات والحيل اللطيفة . ومنهم أرشميدس[٦] صاحب الحيل، والهندسة، والمرايا المحرقة، وعمل المجانيق ورمى الحصون والحيل على الجيوش والعساكر برا وبحرا . ومنهم مارية[٧] ومليطرة[٨] أصحاب الطلسمات والخواص للطبائع) . ومنهم أبلوسوس[٩]، وله كتاب المخروطات، وقطع الخطوط . (ومنهم يابوسيس، وهو صاحب كتاب الأكر)، (ومنهم دوقنطاس[١٠]، وله كتاب الحساب . ومنهم أوطوقيس[١١]، وله الكتاب الكبير، والأسطوانة . ومنهم المثنان أصحاب[١٢] الرواق، والله أعلم) .

وبمصر من العلوم التى عمِرت بها : علم الطب اليونانى، وعلم النجوم، وعلم المساحة، وعلم الهندسة، وعلم الكون (وعلم الكيمياء، والشعر الرومى، واللغة) .

---

(١) درابيريس : دوابيرس فى (زو : ٩٠ و جـ : لوحة ٥٣) .

(٢) كاليس : فى (زو : ٩) قاليس، ولعله محرف عن ثاليس الملطى الذى صحب فيثاغورس، وأخذ عنه، ورحل إلى مصر، وأخذ عن علمائها علم الطبيعة والفلسفة (قف : ١٠٧) .

(٣) ايرت : لعله محرف عن ايرن المصرى الرومى الاسكندرى، ومن تصانيفه : كتاب فى حل شكوك كتاب اقليدس فى الحيل الروحانية (قف : ٧٣) .

(٤) اندريه : لم يذكره القفطى، وفى (جـ : لوحة ٥٣) : المبنكايات بدلا من المتكابات .

(٥) فيلون : لعله فنون الأسكندرى، أحد علماء مصر، والإمام فى علم الرياضة (قف : ٢٦٠). وفى (جـ : لوحة ٥٣) : الأرحية بدلا من الأرضية .

(٦) أرشميدس : وهو الذى أسس الجسور التى يتوصل بها فى مصر من قرية إلى قرية فى زمن النيل، وله مصنفات عدة منها : «كتاب مساحة الدائرة»، و «كتاب الخطوط المتوازية» (قف : ٦٦) .

(٧) مارية : فى (زو : ١٠) مارية أيضاً .

(٨) مليطرة : فى (زو : ١٠) مريطرة .

(٩) اباوسوس : لم يذكر فى (قف)، ولا فى (زو) .

(١٠) دوقنطس : ذو فطنس فى (زو : ١٠) .

(١١) أوطوقيس : لعله أوطوقيوس، المهندس اليونانى الإسكندرى (قف : ٧٣) . وفى (ذو : ١٠) أرطوقيس .

(١٢) المثنان، أصحاب الرواق : هى مدرسة زينون الذى أسند إليه تنمية الأراضى حول بركة قارون (سليم حسن جـ ١٤ : ٢٣٩) . وفى (ذو : ١٠) : المساتير أصحاب الرواق .

وبها من الطلسمات العشرة (ووادى الإسكندرانى[(١)] صاحب الزيج الذى نشر الطب وشرحه، وجالينوس[(٢)] صاحب الطب، بمصر تعلم، وعن كتبها أخذ. ومنهم ديرمليس[(٣)]، صاحب الحشائش، وذوجابس[(٤)]، وأركاغا[(٥)]، وأريناسوس[(٦)]، وقريقريسوس[(٧)]، ودرفس[(٨)]، وهم أصحاب الطب اليونانى، وهم حكماء الأرض وعلماؤها الذين ورثوا الحكمة من مصر، وخرجوا بها، وبها ولدوا فى الأرض ونشروا علومهم، لا ببغداد، ولا بالكوفة، ولا البصرة).

وكانت مصر يسير إليها فى الزمان الأول طلبة العلم. وأصحاب العلم الدقيق، لتكون أذهانهم على الزيادة فى قوة الذكاء ودقة الفطنة، فما اكتسب أحد منهم بلادة، ولا انقطع له خاطر. (وإنما أدرك جالينوس يسيرا من كثير).

حكى عنه: أنه كان بالإسكندرية، يجمع الكتب، حتى مر بوقاد فى أتون حمام وهو يزخر[(٩)] أتونه بدفاتر، فنظر إليها فإذا هى من طلبته، فأعطاه من الثمن فوق ما أراد، فقال له: أين كنت عنى وأنا أزخر هذا الأتون بهذه الدفاتر منذ كذا وكذا سنة؟ وذكر مدة طويلة).

وكانت الفراعنة والعمالقة بمصر، فلم يزل ملكهم فيها إلى أيام هرقل الرومى. (وقال

---

(١) وادى الاسكندرانى: كذا فى (ج: لوحة ٥٣)، وفى (زو: ١٠): نادى الاسكندرانى ولعله الاسكندر الطبيب، وكان قبل جالينوس، ومن تصانيفه: «كتاب علل العين وعلاجاتها»، و«كتاب الحيات والديدان التى تتولد فى البطن» إلى غير ذلك (قف: ٥٥).

(٢) جالينوس: كان بعد المسيح بسبع وخمسين سنة فى قول، وبمئتى سنة فى قول آخر، وفى القرن الثالث الميلادى فى قول ثالث. وقد دخل مصر، وسلكها إلى آخرها حتى النوبة (قف: ١٢٢-١٣٢)

(٣) ديرمليس: لم يذكره القفطى ولا ابن زولاق.

(٤) ذوجابس: لعله محرف عن ذيوجانس الكلابى (قف: ١٨٢)، غير أن القفطى لم يذكر أنه جاء إلى مصر. وفى (ذو: ١٠): داوحايس.

(٥) اركاغا: فى (ذو: ١٠) اركاغايش.

(٦) اريناسوس: فى (زو: ١٠) اريناسوس أيضاً.

(٧) قريقريسوس: فى (زو: ١٠) قريقويوس.

(٨) درفس: فى (زو: ١٠) ردقس.

ويلاحظ أن ابن زولاق والقفطى وابن ظهيرة تختلف أسماء العلماء فى كتبهم، وبعضهم يزيد على بعض.

(٩) يسجرها.

صاعد[1] فى "طبقات الأمم": أهل مصر كانوا أهل ملك عظيم فى الدهور الخالية، والأزمان السالفة، وكانوا أخلاطا من الأمم، مابين قبطى، ويونانى، وعملاقى، إلا أن أكثرهم قبط). وأكثر من ملك مصر الغرباء، (وصار بعد طوفان نوح بمصر علماء بضروب العلوم، ولاسيما بعلم الطلسمات والنيرنجات[2]. والكيمياء إلى الآن باقية لم تتغير؛ وحكمتهم باهرة؛ وعجائبهم ظاهرة. وملكها من الكهنة سبعة، ولهم الأعمال العجيبة، وسيأتى ذكر ما عملوه فى «عجائب مصر».

وكان من تفرعن بها أربعة وثلاثون فرعونا منهم من طغى وتكبر، وادعى الإلهية، ومنهم من عمر أربع مئة سنة، ومئتى سنة، وأكثر من ذلك وأقل، ولم يكن فيهم اعتى ولا أشر من فرعون موسى. قيل: إنه ملك مصر خمس مئة سنة، وكان قصيرا، وطول لحيته سبعة أشبار وقيل: قدر ذراع. قالت عائشة رضى الله عنها: أقام فرعون بمصر أربع مئة سنة ماصدع له رأس يوما. وكذا قال سعيد بن جبير[3]: كانت مدة ملكه أربع مئة سنة [و] عاش ست مئة وعشرين سنة لم ير فيها مكروها، ولم يزل مخولا[4] فى نعم الله تعالى حتى أخذه الله نكال[5] الآخرة والأولى، ولم يكن من أولاد الملوك، وإنما أخذ ملك مصر بالحيلة. قال عبد الله بن عمرو: والسبب فى ذلك اختلاف أولاد الملوك فيمن يكون الملك، فرضوا أن يحكم بينهم أول رجل يطلع من الفج[6]، فطلع فرعون راكبا على أتان بين عدلى[7] نطرون، يريد بهما السوق، فاعترضوه، وسألوه الحكم بينهم، وأخبروه باختلافهم، وأن يختار للملك واحدا منهم، فقال: أكره أن تخالفونى

---

(١) هو صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسى التغلبى، أبو القاسم (٤٢٠ — ٤٦٢ هـ)، مؤرخ، بحاث، من كتبه: «تاريخ الإسلام» و «طبقات الأمم» وغيرهما (ع ٣ : ٢٧١).

(٢) النيرنجات: جمع نيرنج، وهى أخذ كالسحر وليس به، والأخذة: ما يحتال به فى السحر، والجمع أخذ.

(٣) هو سعيد بن جبير الوالبى، مولاهم الكوفى (قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ)، الفقيه، الثقة، الإمام، الحجة، روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما، وروى عنه سليمان الأعمش وغيره (خز : ١٣٦).

(٤) مخولا فى نعم الله: ممتعا بها.

(٥) النكال: العقاب. (٦) الفج: الطريق الواسع.

(٧) العدل: نصف الحمل يكون على أحد جنبى البعير.

فأعطوه المواثيق ألا يخالفوه ، فقال لهم : قد اخترت نفسى أن أجلس وأوطئ[(١)] لكم الأمر . فلما تمكن أخذ يقتلهم واحدا بعد واحد .

وكان من خبره ما قصة الله تعالى فى كتابه العزيز .

وقال ابن المبارك[(٢)] : كان فرعون عطارا بإصبهان ، فركبه الدين وأفلس ، فخرج منها هاربا ، فأتى الشام ، فلم يستقم حاله ، فأتى إلى مصر ، فرأى ملكها مشتغلا بلهو ، فتوصل إليه بحيلة ، وهى أنه خرج الى المقابر ، وجعل نفسه عامل الأموات (فى حكاية طويلة) ، (فجمع أموالا كثيرة ، فبلغ خبره للملك ، فأرسل إليه) . فلما اجتمع بفرعون كلمه ، فأعجب الملك عقله (ومعرفته بالأمور) ، فاستوزره وقتل الوزير ، ثم سار فى الناس سيرة حسنة ، وكان عادلا سخيا ، يقضى بالحق ولو على نفسه ، فأحبه الناس ، فتوفى الملك ، فولوه عليهم ، فعاش زمانا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق ، فبطر[(٣)] وطغى وتجبر ، وقال : أنا ربكم الأعلى . وقال موسى : يارب ، إن فرعون جحدك[(٤)] مئتى سنة ، فكيف أمهلته ؟ فأوحى الله إليه : أمهلته لخصال فيه . إنى حببت إليه العدل والسخاء ، وحفظت له تربيتك . وفى رواية أخرى : إنه عمّر بلادى ، وأحسن إلى عبادى . وكان فرعون إذا جلس على سريره وضع بين يديه ثلاث مئة كرسى من ذهب ، يجلس عليها أشراف قومه ، وعليهم أقبية الديباج[(٥)] مُخَوَّصة[(٦)] بالذهب ، قال : وكانت عساكره كثيرة عظيمة .

(ولما أراد الله إهلاكه ، وخرج فى طلب موسى وأصحابه ، وكان على المقدمة هامان[(٧)] فى ألف ألف فارس [على] لون واحد من دُهْم[(٨)] الخيل ، وقيل كان معه مئة ألف حصان

(١) وطأ الشىء : هيأه .

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى مولاهم ، أبو عبد الرحمن المروزى (١١٨ — ١٨١ هـ). قال ابن عيينة : ابن المبارك عالم المشرق والمغرب وما بينهما . وقال ابن معين : ثقة ، صحيح الحديث . (خز : ٢١١ ، ٢١٢) .

(٣) بطر النعمة : استخفها فكفرها .

(٤) جحدك : أنكرك .

(٥) أقبية الديباج : جمع قباء ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق به ، والديباج : نسيج لحمته وسداه من الحرير .

(٦) مخوصة : مزينة بصفائح الذهب على عرض الخوص .

(٧) هامان : تقدم الكلام عليه .

(٨) دهم الخيل : جمع أدهم وهو الأسود .

أدهم وفيره، وكان فرعون فى الدُّهْم). واختبر يوما عسكره، فأمر بذبح شاة، وقال: لا يفرغ منها حتى يحضر إلىّ خمس مئة ألف فارس، فلم يُفْرَغْ منها حتى حضروا.

واختُلف فيه، فقيل: من العماليق، وقيل: كان من القبط، واسمه الوليد بن مصعب، ويكنى بأبى مُرّة، وهو أول من خضّب بالسواد لما شاب، دله عليه إبليس، ولعظم شأنه وعتوّه[1] ذكره الله عز وجل فى خمس وعشرين سورة من القرآن، ثم أغرقه الله تعالى فى اليمّ[2] بقضية قضاها على نفسه، شرحتها فى التاريخ.

ومن الفراعنة (أيضا الذين خربوا الدنيا، وغلبوا على مصر) «بخت نصر»[3]، وهو من قرية من قرى بابل يقال لها «هو»، دخل إلى مصر فى ست مئة ألف فارس وراجل، وهو راكب على فرس يشبه الأسد، متقلدا سيفا طوله عشرة أشبار، وعرضه شبر، أخضر النّصْل[4] يتحدر منه شىء يشبه ماء السِّدْر[5]، وغِمْده من ذهب مرصع بالجوهر والياقوت الأحمر، مكتوب عليه هذه الأبيات بالعجمى، وفسروها بالعربى، وهى هذه الأبيات، شعر:

الشر مصراعٌ[6] له سطوة * يستنزل الجبار عن عرشهِ
وأنت إن لم ترجُ أو تتّقِ * كالميت محمولا على نعشهِ
لا تنبش الشر فتُبلى بهِ * فقلّ من يسلم من نبشهِ
إذا طغى الكبش بشحم الكلى * أُدرج رأس الكبش فى كِرْشهِ
(كم مَنْ[7] نجا من يد أعدائه * وميت مات على فرشهِ)
من يفتح القُفْل بمفتاحه * نجا من التهمه فى فَشّهِ[8]
ونابش الموتى له ساعة * تأخذه أنبش من نبشهِ
لله فى قدرته خاتَم[9] * تجرى المقادير على نقشه

(١) العتو: الاستكبار ومجاوزة الحد.
(٢) اليم: البحر.
(٣) بختنصر: تقدمت ترجمته.
(٤) النصل: الحد.
(٥) النبق.
(٦) مصراع: صيغة مبالغة على وزن اسم الآلة.
(٧) هذا البيت ساقط من الأصل (ا).
(٨) فشه: فش القفل: فتحه من غير مفتاح.
(٩) فى (ب) عالميه.

واختلف فيه فقيل : إنه آمن قبل موته ، وقيل : آمن فلم يقبل إيمانه ، لما قتل من الأنبياء .

وكان ابنه « بلطاشم » أعتى منه ، فأوصته أمه بتقريب « دانيال[1] » عليه السلام ، والاستماع منه ، فقال لها : إنه ساحر ، وينطق بالكذب ، فقالت له : قد كان أبوك يكرمه ، ويرجع إلى قوله ، فأُحضِر دانيال : وقال له مستهزئا به : ما كان من أمرنا ؟ نأخبره ، ثم قال له فما يكون فى يومنا هذا وليلتنا هذه ؟ فقال : الغيب لله تعالى ؛ ولكننى أرى مما علمنى ربى أنك تُقتَل فى هذه الليلة ، فأمر بحبسه ، وتحرّز فى ليلته تلك ، وأمر الحراس ، وقال لهم : من رأيتموه فى قصرى بعد مضجعى فاقتلوه ولو ذكر لكم أنى أنا هو ، ثم دخل مرقده ، وأغلق أبوابه ، وأضمر فى نفسه أنه يصبح على قتل دانيال عليه السلام ، قيل : فحركه البول فى جوف الليل[2] ، فخرج إلى الخلاء ، فبادر إليه الحراس ، فقال لهم : أنا الملك . فقالوا : ماندرى ما تقول ، وبادروا إليه فقتلوه ، وأصبح مقتولا فى قصره ، وعظم شأن دانيال عليه السلام ، ثم انصرف إلى بيت المقدس ، إلى منزله بها ، والله أعلم .

---

(١) دانيال : نبى غير مرسل ، كان فى زمن بختنصر ، مات ودفن بالسوس (عرائس المجالس للثعلبى المفسر ص ٣٤١) .

(٢) جوف الليل : ثلثه الأخير .

فصل فى ذكر فتوح مصر

قال ابن زولاق وغيره: كانت مصر دار كفر، وهى: الإسكندرية، ومنف، والصعيد، وأسفل الأرض، إلى الموضع المعروف بالشجرتين وبئر إسحاق (1)، وهو العريش، إلى الحصن المعروف بقصر الشمع (2)، وكان جميع ذلك فى يد هرقل ملك الروم، فتولى المقوقس القبطى أكثرها، واسمه «مينا ابن قرقب (3) اليونانى». وتخلفه (4) على قصر الشمع المندقور (5) المعروف بالأعرج (6).

ثم بعث الله رسوله محمدا، صلى الله عليه وسلم، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر إلى المدينة، فأقام بها عشرا. وكاتب صلى الله عليه وسلم المقوقس، ودعاه إلى الإسلام، وكان الرسول إليه عُبادة بن الصامت (7)، فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كتابه، وأهدى إليه من قَباطِىّ (8) مصر وطرائفها، وعسلا وفرسا وبغلة وحمارا، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العسل، فقيل له من قرية يقال لها «بِنها»، فقال: «اللهم بارك فى بنها وعسلها». وبلغ المقوقس أنه لا يجمع بين الأختين، فأهدى إليه «مارية وسيرين»،

---

(1) فى (جـ: لوحة ٥٧) بئر ابن اسحاق.

(2) قصر الشمع: أحدث بعد خراب مصر على يد بختنصر. وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع فى أول كل شهر ليعلم الناس أن الشمس انتقلت من برج إلى آخر. وبقى خرابا خمس مئة سنة، ثم جدد بعد ذلك. وقيل إنه بنى للفرس بمثابة بيت نار هيكله القبة المعروفة بقبة الدخان (خ أ: ٢٨٧)، وهو داخل الفسطاط (خ ١: ٢٨٨).

(٣) كذا فى (أ)، و(جـ: لوحة ٥٧) وفى (ب) بن ترقية، وفى (خ أ: ٢٨٩) بن قرقت.

(٤) كذا فى كل من الأصلين (أ، ب)، والصواب: خلفه.

(٥) المندقور: لم نقف على معنى هذا الاسم أو اللقب.

(٦) الأعيرج فى (خ أ: ٢٨٩).

(٧) عبادة بن الصامت: هو عبادة بن الصامت بن قيس ... الأنصارى الخزرجى، أبو الوليد (٣٨ ق هـ - ٣٤ هـ): شهد بدراً والمشاهد كلها بعد بدر، كما شهد فتح مصر وكان من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، وهو أول من ولى القضاء بفلسطين، وكان من سادات الصحابة (إص ٤: ٢٧).

(٨) قباطى مصر: جمع قبطية، وهى ثياب من كتان بيض رقاق، كانت تنسج بمصر.

وكانتا أختين شقيقتين كاملتين فى الحسن ، فلما دخلتا عليه صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم اختر لنبيك » ، فبادرت مارية بالإسلام ، فاصطفاها لنفسه ، واختلف فى أختها ، فروى شيخنا أبو عمرو محمد بن يوسف الكندى [(١)] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها لجهم العبدى [(٢)] ، فولدت له زكريا بن وهب الجهم ، وهو صاحب الدار التى فى زقاق [(٣)] القناديل إلى الآن ، وروى أنه) وهبها لحسان بن ثابت [(٤)] ، فولدت له عبد الرحمن ، وهو الأشهر .

ولم تزل مصر وأعمالها دار كفر مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأيام أبى بكر ، وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنهما .

ولما سافر عمر بن الخطاب إلى الشام فى سنة تسع عشرة من الهجرة وفتحه ، حسن له عمرو بن العاص المسير إلى مصر ، وقال له : قد دخلتها فى أيام الجاهلية ، وعرفت طرقها ، وما بها مانع عن أخذها .

(قال القضاعى : أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن ، [أنبأنا] أبو عمر التجيبى ، [أنبأنا] أبو أحمد ابن سلمة بن الضحاك ، أنبأنا أبو عبد الله بن محمد بن سعيد بن الحكم بن أبى مريم [أنبأنا] عثمان بن صالح قال : حدثنا الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، وعبيد الله بن أبى جعفر ، وعياش بن عباس القِتْبانى ، وبعضهم يزيد على بعض فى الحديث ، أن عمر بن الخطاب لما قدم الجابية [(٥)] خلا به عمرو بن العاص وذلك سنة ثمان عشرة من الهجرة ، فقال : يا أمير المؤمنين إيذن لى فى المسير إلى مصر) ، فإنك إن فتحتها ، كانت قوة

---

(١) محمد بن يوسف الكندى : تقدمت ترجمته .

(٢) كذا فى الأصل (١) وفى (خ ١ : ٢٩)ـ لجهم بن قيس العبدرى ، فهى أم زكريا بن جهم الذى استخلفه عمرو بن العاص على مصر حينما قدم لمقابلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٣) زقاق القناديل : كان موضعه أمام الركن الشرقى لجامع عمرو ، وإنما وسم بزقاق القناديل ، لأن منازل الأشراف ، وكان على أبوابهم القناديل ، أو لأنه كان يرسمه قنديل يوقد على باب عمرو ، وقد دخل أغلبه فى الجامع العتيق (الفسطاط ليوسف أحمد ص ٦٢ ط ١٣٣٥ هـ) .

(٤) كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام ، وتوفى حسان ، رحمه الله ، قبل الأربعين فى خلافة على ، رضى الله عنه ، وقيل سنة ٥٠ هـ (د ٣٤٢ : ٣٤٢ – ٣٥١) .

(٥) الجابية : قرية من أعمال دمشق .. فى شمالى حوران ، وفيها خطب عمر خطبته المشهورة (ب٢ : ٣).

للسلمين ، وعونا لهم ، وهى أكثر الأرضين أموالا ، وأعجزها (١) عن الحرب والقتال . فتخوّف عمر على المسلمين ، وكره ذلك ، ولم يزل عمرو بن العاص يعظم أمرها عنده ، ويخبره بحالها ، ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر ، فعقد له [على] أربعة آلاف رجل كلهم من عك (٢) .

قال الكندى : وساروا معه (ثلاثة آلاف وخمس مئة) ، وقال له : سر وأنا مستخير الله فى مسيرك ، وسيأتيك كتابى سريعا إن شاء الله تعالى ، فإذا لحقك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها (أو شيئا من أرضها) فانصرف ، وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابى ، فامض لوجهك ، واستعن بالله واستنصره .

فسار عمرو ، واستخار الله عمر ، فكأنه تخوف على المسلمين ، فكتب إليه يأمره بالانصراف والرجوع ، فوصل إليه الكتاب وهو برفح (٣) ، فلم يأخذه من الرسول ، ودافعه (وسار) حتى نزل " العريش " ، وقيل له : إنها من مصر ، فدعا بالكتاب وقرأه على المسلمين ، وقال : تعلمون أن هذه القرية من مصر ، قالوا : نعم . قال : إن أمير المؤمنين عهد إلى إن لحقنى كتابه ولم أدخل مصر ، (أن أرجع ، وقد (٤) دخلت أرض مصر) ، فسيروا وامضوا على بركة الله وعونه . فكان أول موضع لقيه الروم [فيه] بالفرما ، فقاتلهم قتالا شديدا نحوا من شهر ، فهزمهم ، ثم عادوا فهزمهم ، وفتح الله تعالى له .

ثم تقدم عمرو لا يُدَافَع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بُلْبَيْس ، فقاتلوه فيها نحوا من شهر ، ثم فتح الله عليه .

ثم تقدم لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى "أم دُنَيْن" (٥) ، وهى المَقْس ، فقاتلوه قتالا

(١) أعجزهم فى (ا ، ب) ، وأعجز فى (خ) .

(٢) كلهم من عك فى (خ ١ : ٢٨٨) ، ومن عيك فى (ا) . ويقال : عقد له على ثلاثة آلاف وخمس مئة (خ ١ : ٢٨٨) . وعك بن عدثان أو عدنان : هو جد جاهلى يمانى من نسله بطون « غافق » و « الشاهد » ، و « علقمة » ، وأفخاذها (ع ٥ : ٤٢) .

(٣) رفح بالجيم المعجمة فى (خ١ : ٢٨٨) ، وفى (ا) . (٤) مابين القوسين ساقط من الأصل (ا) .

(٥) أم دنين : كانت فى الجاهلية قرية من قرى مصر كما فى (خ ٢ : ١٢١) .

وكانت أم دنين واقعة على شاطىء النيل وقت أن كان يجرى لعهد الدولة الفاطمية ، فى المكان الحالى لشارع عماد الدين ، ثم شارع رمسيس من النهاية الشمالية لشارع عماد الدين ، ثم ميدان محطة مصر ، ثم شارع غمرة إلى فم الترعة الإسماعيلية (ق ١ : ١٢٨) .

شديدا . ثم كتب إلى عمر يستمده ، فأمده باثنى عشر ألفا ، فوصلوا إليه أرسالا[(١)] تتبع بعضهم بعضا ، وكان فيهم أربعة آلاف ، عليهم أربعة قُوِّموا بأربعة آلاف ، وهم : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود[(٢)] ، وعبادة بن الصامت ، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد[(٣)] ، (وقيل إن الرابع خارجة ابن حذافة[(٤)] السهمى دون مسلمة) .

فأحاط المسلمون بالحصن ، وأميره يومئذ المندقور[(٥)] ، الذى يقال له الأعيرج من قبل المقوقس ، وكان نازلا بالإسكندرية وهى يومئذ فى سلطنة هرقل ، غير أنه كان حاضر الحصن حين حاصره المسلمون . ونصب عمرو فُسْطاطا[(٦)] ، وأقام المسلمون على باب الحصن محاصرين الروم سبعة أشهر ، فرأى الزبير بن العوام خللا فى الحصن ، فنصب سلما وأسنده إلى الحصن ، وقال : إنى أهب نفسى لله عز وجل ، فمن شاء فليتبعنى ، فتبعه جماعة من المسلمين حتى أوفى[(٧)] على الحصن هو ومن معه ، فكبّر وكبروا . ثم نصب شُرَحْبِيل (بن حُجَيَّة)[(٨)] المرادى سلما آخر .

---

(١) وقيل أمده بأربعة آلاف ، تمام ثمانية آلاف ، على كل ألف رجل مقام الألف . وأرسالا : جماعات ، بعضهم فى إثر بعض . (خ ١ : ٢٨٩) .

(٢) المقداد بن الأسود الكندى : هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة ... النهرانى . وقيل الحضرمى (المتوفى سنة ٣٣ هـ) ، ويكنى أبا الأسود أو أبا عمرو أو أبا سعيد . أسلم قديماً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد بعدها ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه على وأنس وغيرهما . (إ ص ٦ : ١٣٣) .

(٣) مسلمة بن مخلد (١ – ٦٢ هـ) : هو مسلمة بن مخلد بن الصامت ... الأنصارى الخزرجى ، يكنى أبا سعيد . شهد معارك صفين مع معاوية ، وولى إمرة مصر ، وهو أول من جمعت له إمارة مصر والمغرب وذلك فى خلافة معاوية وصدر من خلافة يزيد بن معاوية (إ ص ٦ : ٩٧) .

(٤) هو خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله ... بن كعب بن لؤى (المتوفى سنة ٤٠ هـ) صحابى ، قيل كان يعد بألف فارس ، أمد به عمر عمرو بن العاص ، وشهد فتح مصر واختط بها ، واستخلفه عمرو على الصلاة ليلة قتل على بن أبى طالب ، فقتله الخارجى (إ ص ٢ : ٨٤) .

(٥) المنقوز فى (ا) ، المنقور فى (ب) وفى (خ) المندقور .

(٦) فسطاطه فى (ب) . وأصل معنى الفسطاط : البيت من الشعر ، ثم أطلق على عاصمة مصر ، لأنها بنت فى مكانه .

(٧) أوفى على الحصن : أشرف عليه . وفى (ب) وافى خطأ .

(٨) شرحبيل بن حجية المرادى : أحد أبطال الصحابة (ت : باب اللام فصل الشين) .

ويقال : إن السلم الذى صعد عليه الزبير بقى موجودا بداره التى بسوق وردان[(١)] إلى أن وقع حريق فى هذه الدار ، فاحترق بعضه، ثم أُحرق ما بقى منه فى ولاية عبد العزيز بن محمد ابن النعمان[(٢)] القاضى ، وذلك بعد سنة تسعين وثلاث مئة .

فلما بلغ المقوقس أن العرب قد ظفروا بالحصن جلس فى سفينة هو وأهل القوة، وكانت ملصقة بباب الحصن الغربى . فلحقوا "بالجزيرة" ، وهى الروضة ، وقطعوا الجسر ، وتحصنوا هناك ، والنيل يومئذ فى مدّه .

(وقيل : إن الأعيرج خرج معهم ، وقيل : أقام فى الحصن) . وسأل المقوقس عمرا فى الصلح، فبعث إليه عمرو عبادة بن الصامت، وكان رجلا أسود اللون، طوله عشرة أشبار، فصالحه المقوقس عن القبط والروم ، على أن الروم بالخيار فى الصلح إلى أن يوافى كتاب ملكهم: فإن رضى تم ذلك، وإن سخط انتقض ما بينه وبين الروم، وأما القبط فبغير خيار .

وكان الذى انعقد عليه الصلح أن فرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين[(٣)] عن كل نفس فى كل سنة من البالغين : شريفهم ووضيعهم، دون الشيوخ والأطفال والنساء .

وعلى أن عليهم للمسلمين النُّزُل حيث نزلوا ، وضيافة ثلاثة أيام لكل من نزل بهم .

وأن لهم أرضهم وديارهم وأموالهم لا يُعترضون فى شىء منها . وكان عدد القبط يومئذ أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، وأسكنهم بالقصر ، وأسكن العرب الخِطَط ، وأسكن الروم الحمراوات[(٤)] ؛ بهم سميت الحمراء ، وأسكن الفرس بنى وائل[(٥)] ، ولهم هناك مسجد يعرف بمسجد الفارسيين .

(١) سوق وردان : كانت بفسطاط مصر ، وتنسب إلى وردان الرومى ، مولى عمرو بن العاص الذى قتل بالاسكندرية سنة ٥٣ هـ (ب ٣ : ١٩٤) ، و (ط ٧ : ٥١١) .

(٢) عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن حيون القاضى ، أبو القاسم (٣٥٤ – ٤٠١ هـ) قاضى القضاة بمصر والشام والحرمين والمغرب ، من علماء الإمامية الباطنية ، أصله من القيروان ، ونشأ بمصر . (ع ٤ : ١٥٠) . (٣) دينارين فى (غ ١ : ٢٩٣) ، وفى (ا) ديناراً .

(٤) الحمراوات (الحمراء) : والحمراء موضع بفسطاط مصر . وهناك حمراوات أخرى ثلاث ؛ إحداها حمراء السبلاوين من كورة الشرقية ، والحمراء الشرقية وحمراء شروين بكورة الغربية (ب٢ : ٣٣٣).

(٥) بنى وائل : رهط عمرو بن العاص ، ومكانهم كفور العلاقمة من أعمال الشرقية (ق ١ : ١٧٤)، والعلاقمة : بليدة فى الحوف الشرقى دون بلبيس (ب ٣ : ٧١) .

فمن قال إن مصر فتحت صلحا تعلق بهذا الصلح، وقال : إن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عبادة بن الصامت وبين المقوقس، وبأنه لم يقسمها . وعلى ذلك أكثر علماء أهل مصر : عقبة بن عامر، ويزيد بن أبي حبيب[١]، والليث بن سعد، وغيرهم .

(ومن قال[٢] إنها فتحت عنوة : عبـد الله بن المغيرة السبئى[٣]، وعبد الله بن وهب[٤]، ومالك ابن أنس[٥]، وغيرهم) .

وذهب قـوم إلى أن بعضها فتح صلحا . وبعضها فتح عنـوة (منهم : ابن شهاب[٦]، وابن لهيعة)، وكان فتحها يوم الجمعة مستهل المحرم[٧] سنة عشرين من الهجرة .

(وذكر يزيد بن أبي حبيب أن عدد الجيش الذى كان مع عمرو خمسة عشر ألفا وخمس مئة، وذكر عبد الرحمن بن سعيد[٨] بن مقلاص أن الذين جرت سهمانهم[٩] فى الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفا وثلاث[١٠] مئة بعد أن أصيب منهم فى الحصار من[١١] القتل والموت) .

---

(١) يزيد بن أبي حبيب : هو يزيد بن سويد الأزدى بالولاء، المصرى، أبو رجاء (٥٣–١٢٨هـ) أول من أظهر علوم الدين والفقه بمصر، وكان حجة، حافظاً للحديث (ع ٩ : ٢٣٦) .

(٢) فى الأصل (ا) : « وذهب من قال إنها فتحت عنوة : عبد الله بن المغيرة السبئى ... إلخ » ولا يستقيم الكلام إلا بحذف (ذهب) أو بأن نستبدل بها الحرف من . (٣) عبيد الله بن المغيرة السبئى أبو المغيرة المصرى (المتوفى سنة ١٣١هـ)، روى عبد الله بن الحارث بن جزء، وروى عنه ابن لهيعة وطائفة . قال أبوحاتم : صدوق (سح ١ : ١١٢) . فى الأصل (ا) عبد الله بن المغيرة .

(٤) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى بالولاء، أبو محمد (١٢٤ أو ١٢٥ – ١٩٧ هـ) الفقيه المالكى المصرى، صحب الإمام مالك عشرين سنة، وقال مالك فى حقه : عبد الله بن وهب إمام، وله مصنفات فى الفقه والحديث (و٢ : ٢٤٠) . (٥) مالك بن أنس : الأصبحى الحميرى، أبوعبد الله (٩٣ – ١٧٩ هـ)، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة (ع ٦ : ١٢٨) .

(٦) ابن شهاب : هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى (٥٨ – ١٢٤ هـ) أول من دون الحديث . قال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه . روى عنه جماعة من الأئمة، منهم : مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثورى (و ٣ : ٥٣٥) و (ع ٧ : ٣١٧) . (٧) هذا ما ذكره القضاعى، غير أن قدامى المؤرخين يختلفون فى سنة الفتح بين سنتى ١٦، ٢٥ هـ، على ما قدمنا (خ ١ : ٢٩٤) .

(٨) عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص : لعله عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى (المتوفى سنة ٦٦ هـ)، شجاع من أشراف اليمانيين من شبام، قاتل المختار الثقفى على مقربة من الكوفة، وقتل فى إحدى وقائعه معه . (ع ٤: ٧٩) . (٩) سهمانهم: جمع سهم . وفى (جـ: لوحة ٦١): سهامهم .

(١٠) بعد من أصيب فى (خ ١ : ٢٩٤) . (١١) بالقتل والموت فى (ع ١ : ٢٩٤) .

ويقال: إن الذين قتلوا فى الحصار دفنوا فى أصل الحصين. ثم سار عمرو إلى الاسكندرية فى شهر ربيع الأول سنة عشرين، (وقيـل فى جمادى الآخرة منها)، وأمر بفسطاطه أن يُقَوَّض، فإذا يمامة قد باضت فى أعلاه، فقال: لقـد تَحَرَّمَتْ بجوارنا[1]، أقروا الفسطاط حتى تطير فراخها، فأقروه فى موضعه، فسميت مصر الفسطاط. (وعن ابن قتيبة[2] والثعالبى[3] أن العرب تقول لكل مدينـة جامعة فسطاط، ولذلك قيل لمصر فسطاط).

قال الليث: أقام عمرو فى حصار اسكندرية وفتحها ستة أشهر، ثم انتقل إلى الفسطاط، فاتخذها دارا فى ذى القِعدة سنة عشرين.

قال ابن عبد الحكم:

ولما فتحها عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول:

اما بعد فإنى قد فتحت مدينة لا أصف ما فيها، غير أنى أصبت بها أربعة آلاف مُنيـة[4] بأربعة آلاف حسام، وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية، (وأربع مئة ملهى للملوك).

وقيـل إنه وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل. وكان بها من الروم يومئـذ مئتا ألف من أهل القوة (والنجدة)، لحقوا بأرض الروم فى المراكب، وكان من بقى ست مئة ألف سوى النساء والصبيان.

---

(١) أى تأكدت الحرمة بيننا وبينها بسبب جوارها لنا، والحرمة: مالا يحل انتهاكه من ذمة أو حق أو صحبة.

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (٢١٣ – ٢٧٦ هـ)، من أئمة الأدب، من كتبه: «أدب الكاتب» و«الشعر والشعراء» و«عيون الأخبار» وغيرها (ع ٤ : ٢٨٠).

(٣) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبى (٣٥٠ – ٤٢٩ هـ)، من أئمة اللغة والأدب. من كتبه: «يتيمة الدهر» فى تراجم شعراء عصره، و«فقه اللغة» و«التجنيس» وغيرها (ع ٤ : ٣١١).

(٤) المنية: الأمنية، وجمعها منى. وفى (ج : لوحة ٦١): مبنية بأربعة آلاف حمام، ولعلها محرفة عن بانية.

ولما توجه عمرو من الإسكندرية إلى سوس[1] قام وردان[2] إلى قضاء حاجته عند الصبح، فاختطفه أهل القرية، فافتقده عمرو، وقفا أثره، فوجده فى بطن دورهم، فأمر بإخرابها، وإخراجهم منها، وهى القرية المعروفة اليوم بخربة وردان . والله سبحانه أعلم .

(١) السوس : بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية ، وقيل : السوس بالمغرب : كورة مدينتها طنجة (ب ٣ : ١٨٩) .

(٢) هو وردان الرومى ، مولى عمرو بن العاص ، ويكنى أبا عبد الله ، من سبى إصبهان ... شهد فتح مصر ، وكان والياً على خراجها من قبل معاوية بعد موت عمرو ، وقد قتل سنة ٥٣ هـ بالإسكندرية (ب ٣ : ١٩٤)، وبه سميت السوق التى بمصر سوق وردان (ط ٧ : ٥١١) .

فصل فى ذكر ما بمصر من ثغور الرباط[1] والمساجد الشريفة ومشاركة الحرمين ، وذكر فرضها[2] وجبالها : المقطم والطور والوادى المقدس .

أما مشاركتها للحرمين الشريفين فلأنها تميرهما [وتمير[3]] سائر الدنيا، ولولا مصر لما أمكن المقام بالحرمين وأعمالهما ، ولما أمكن الحجاج الواردين الوصول إليهما من كل فج عميق ، [لما[4]] وجب المقام بهما يوما واحد لنفاد أزوادهم وقلتها وغلائها لولا ديار مصر . وقد تكلف بعضهم وضرب مثالا[5] ، فقال : لو أن عابدا ترك التصرف وأقبل على العبادة ، وآخر ليس بمتعبد قام له بمؤنته وكفايته لكان شريكا له فى الأجر ، فكذلك مصر منزلتها من الحرمين .

ومن فضلها أن أتى الكعبة ، فى زمن قريش ، رجل من قبط مصر يكنى أبا قرم ، وكان نجارا ، سقفها لهم (بخشب سفينة قذفها البحر على ساحل جدة لرجل من تجار الروم).

وأما فرضها فمصر فرضة الدنيا ، يحمل من خيرها إلى سواحلها (وإلى[6] سائر البلاد) : فمن جهة القلزم ينقل إلى الحرمين وإلى جدة (وعمان وعدن[7]) والهند والصين وصنعاء والشحر[8] والسند وسواحل البحر . ومن جهة تنيس دمياط والفرما فرضة بلاد الروم (وأقاصى الافرنجة وقبرص وسائر سواحل الشام والثغور إلى حدود العراق) . ومن جهة الاسكندرية

---

(١) الثغر : الموضع يخاف هجوم العدو منه ، والرباط : موضع المرابطة، وهى ملازمة الثغر وموضع المخافة .

(٢) جمع فرضة ، وهى من البحر محط السفن .

(٣) فى (ب) تمير عليهما ، وفى (ا) تميز عليهما ، والأول أنسب لولا أن « مار » تتعدى بنفسها ، لذلك صححناها : « تميرهما وتمير » .

(٤) فى الأصلين (ا ، ب) : « ولا وجب » .

(٥) فى الأصل (ا) : محالا ، وفى (جـ : لوحة ٦٢) : مثالا .

(٦) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ا) .

(٧) تقدم الكلام عليهما .

(٨) الشحر : صقع على ساحل بحر الهند (المحيط الهندى) من ناحية اليمن . قال الأصمعى هو بين عدن وعمان (ب ٣ : ٢٦٢) .

(فرضة إقريطش[(١)] وصقلية والغـرب كله إلى طنجة ومعرب الشمس) . ومن جهة الصعيد فرضة بلد الغرب والنوبة (والبجة[(٢)]) والحبشة والحجاز واليمن .

وأما ثغـورها : فمنها رباط البرلس ، ورشيد ، ودمياط ، والإسكندرية ، (ورباط[(٣)] ذات الحمام، ورباط البحيرة ، ورباط شطا، ورباط تينس) ، والعريش ، وأسوان (على النوبة) والواحات (على البربر) والسودان (وقوص وكانت سَرَبا) وبرقة[(٤)] ، واترابلس (من رباط مصر إلى أن خرجت فى سنة ثلاث وثلاث مئة ، فأضيفت إلى رباط الغرب) .

وأما مساجدها ، (ومشاهدها) : فإن بمصر مساجد ، العمل فيها أفضـل من العمل فى غيرها سوى الحرمين وبيت المقدس . فمن ذلك مسجد سليمان عليه السلام بالإسكندرية ، ومسجد يوسف عليه السلام بمنف ، وأربع مساجد لموسى[(٥)] عليه السلام : واحد بالإسكندرية ، ومسجد بمنف ، ومسجد بطرا ، ومسجد بوادى المقطم . وللخضر عليـه السلام مسجدان : واحد بالإسكندرية ، وواحد بنتوهة[(٦)] فى أسفل الأرض . ومسجد ذى القرنين بالإسكندرية

---

(١) إقريطش: اسم جزيرة فى بحر المغرب ، يقابلها من بر إفريقية لوبيا ، وهى جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى ، فتح بعضها فى أيام الوليد ، وتم فتحها فى أيام المأمون سنة ٢١٠ هـ . (ب ١ : ٣٣٦) . وطنجة فى الأصل (ا) طحنة . وفى (جـ : لوحة ٦٢) صقلبة بدلا من صقلية .

(٢) أضافت (جـ : لوحة ٦٢) الحبشة إلى هذه البلاد .

(٣) بلد بين الإسكندرية وإفريقية ... وهو إلى إفريقية أقرب (ب ٢ : ٣٣٠) . وهى الآن واقعة على السكة الحديدية بين الإسكندرية ومرسى مطروح ، وبها محطة على بعد ٧٤ ك.م . من مدينة الإسكندرية على السكة الحديدية بين الإسكندرية ومرسى مطروح ، وبها محطة على بعد ٧٤ ك.م . من مدينة الاسكندرية (ق ٢ جـ ٢ : ٢٤٩) .

(٤) فى (ب) ترابلس . وتصحيف (جـ : لوحة ٦٣) برقة ، وفيها سنة ثلاث مئة بدلا من ثلاث وثلاثمئة.

(٥) فى (خ ٢ : ٤١٢) أن المسجد المعروف بمعبد موسى بناه جوهر الصقلى تجاه باب الجامع الأقمر ، وفى سنة ٦٦٠ هـ ظهر بالمسجد حجر مكتوب عليه : « هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام » ، فجددت عمارته ، وصار يعرف بمعبد موسى . وفى (خ ٢ : ٤٥٦) مسجد آخر باسم مسجد موسى بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات ، وهو الشهير بابن حنزابة (٣٠٨ — ٣٩١ هـ) ، وكان من العلماء الباحثين ، له تآليف فى « أسماء الرجال » و « الأنساب » (ع ٢ : ١٢٠) .

(٦) يطلق على قرية قديمة على الضفة الغربية للنيل تجاه منية العطار ، مركز قويسنا ، بمحافظة المنوفية ، هى التى سماها العرب (أنتوهى) ، واسمها القديم (أنطو) . وفى (ا) نبوهة ، وفى (ب) تبوهة ، وكلا هذين الاسمين مصحف عن (أنتوهى) . (ب ١ : ١١٤) ، و (ق ٢ جـ ٢ : ٢٠٥) . ولابد أنه كان بهذه القرية مسجد يسمى مسجد الخضر .

عند اللحات[١] . ومنها مسجد الأقوام[٢] ، وهم قوم أهل المعافر قتلوا على موالاة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ومسجد عقبة بن عامر الجهنى بسوق وردان[٣] (ومسجد مسلمة بن مخلد بسوق وردان) ، (ومسجد الزبير بسوق وردان [الأبطال] الثلاثة[٤]) ، الزمام[٥] ، بنى على رأس محمد بن أبى بكر الصديق ، بناه غلامه زمام وجعله مسجدا ومشهدا ، ورأسه فى موضع المنارة . ومسجد حرس الحصن على (رأس) زيد بن على بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أنفذه هشام بن عبد الملك إلى مصر ، (ونصب على المنبر) ، ووقف عنده الشاميون ، فسرقه أهل مصر ودفنوه فى هذا الموضع . ومسجد درب الكندى فى زقاق فيه قبر الحسن ابن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب[٦] . (ومسجد البئر والجميزة فى طريق الجب[٧] ، بنى على رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب) ، أرسله أبو جعفر المنصور إلى الأمصار ، فأخذه أهل مصر ، ودفنوه فى هذا الموضع .

قال ابن زولاق : وبمصر من مساجد الصحابة ، سوى ما ذكرنا ، بَنَوْها حين الفتح ، عدتها نحو مائتى مسجد وثلاثة وثلاثين مسجدا ، وكانوا يبنونها بالآجر الأحمر ، ويبنون منازلهم باللبن ، وأكثرها باق إلى اليوم . ومنها مساجد أهل الراية[٨] ، وهو الجامع العتيق ، بناه

(١) اللحات : مكان بالإسكندرية لم نستطع تحديد موقعه .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى (خ ٢ : ٤٤٥) : مسجد الأقدام ، وسمى كذلك لأن قبيلتين اختلفتا فيه ، كل تدعى أنه من خطتها ، فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالأقدام ، وجعل لأقربهما منه . وقيل غير ذلك فى سبب التسمية .

(٣) تقدم الكلام عليها وعلى عقبة بن عامر الجهنى .

(٤) لعل بهذه العبارة سقطا ، وربما كانت فى الأصل : « ومسجد الزبير بسوق وردان [الأبطال أو القواد الثلاثة] » ، وهم : عقبة ومسلمة والزبير . ووردان نسبة إلى وردان مولى عمرو بن العاص ، وقد تقدم التعريف به .

(٥) مسجد الزمام : تقدم الكلام عليه .

(٦) فى الأصل (ا) و (جـ : لوحة ٦٣) : الحسن بن زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب .

(٧) ما بين القوسين ساقط من الأصل (أ) ، والبئر والجميزة هما العريش . و « إبراهيم بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين » فى (جـ : لوحة ٦٣) .

(٨) وأهل الراية : هم قريش ومن معها ، وإنما سموا أهل الراية لأن راية عمرو بن العاص كانت معهم (ك : ١١٦) .

عمرو بن العاص، سوى ماتجدد فيه بعده، وكان فى الأول موضعه جنانا، فبنى فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين . ويقال : إنه وقف على إقامة قبلته ثمانون صحابيا، منهم : الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة ابن الصامت، وأبو الدرداء[١]، وأبو ذر الغفارى[٢] (وأبو بصرة الغفارى)، ومحمية بن جزء[٣] الزبيدى، ونبيه بن صواب[٤]) وغيرهم .

ويقال : إن قبلته كانت مشرقة جدا، وإن قرة بن شريك[٥] لما هدم المسجد وبناه زمن الوليد بن عبد الملك تيامن بها قليلا . (وذكر أن الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة كانا يتيامنان إذا صليا بالمسجد الجامع) . ولم يكن له حين بناه عمرو محراب مجوف، وإنما فعله قرة بن شريك . وأول من أحدث ذلك عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذ عامل الوليد ابن عبد الملك على المدينة (ليالى أسس مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما هدمه وزاد فيه) . وكان بمسجد عمرو بابان مقابلان دار عمرو، وبابان فى بحريه[٦]، وبابان فى غربية . (وكان الخارج من زقاق القناديل يلقى ركن الجامع الشرقى محاذى الركن الغربى لدار عمرو . وكان طوله من القبلة إلى بحريه مثل طول دار عمرو، وسقفه مطأطئا[٧] جدا، ولا صحن له،

---

(١) أبو الدرداء : هو عويمر بن زيد ... بن الحرث بن الخزرج الأنصارى (المتوفى سنة ٣٢ هـ) أسلم يوم بدر، وشهد أحداً، وألحقه عمر بالبدريين، جمع القرآن (حفظه كله)، وولى قضاء دمشق (خ ١ : ٢٩٨، ٢٩٩) .

(٢) أبو ذر الغفارى : هو جندب بن جنادة بن سكن (المتوفى سنة ٣٢ هـ)، من كبار الصحابة، قديم الإسلام، وهو أول من حيى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام، وكان ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء فى أموالهم بالشام والمدينة (إ ص ٧ : ٦٠) و (ع ٢ : ١٣٦) .

(٣) محمية بن جزء بن عبد يغوث الزبيدى : كان قديم الإسلام، وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأخماس، قيل إنه شهد بدراً، وقيل شهد فتح مصر، ولعله توفى بها (إ ص ٦ : ٦٨) و (ع ٨ : ٦٧) . فى الأصل (ا) محمية بن جنية . وتصحيف(جـ : لوحة ٦٤) أبوبصرة الغفارى، وقد تقدم .

(٤) نبيه بن صواب المهرى : ممن نزل مصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحدث عنه (٧ ط : ٤٩٨)، وقيل هو أحد الصحابة الأربعة الذين أسسوا جامع عمرو (خ ٢ : ٢٤٧) .

(٥) والى مصر من قبل الوليد بن عبد الملك . (٦) بحرى فى الأصلين (ا، ب) .

(٧) منخفضاً .

وكان الناس يضيفون بفنائه ، وكان بينه وبين دار عمرو سبع أذرع ، وكان الطريق محيطا به من جميع جهاته) . وكان عمرو قد اتخذ فيه منبرا ، فكتب إليه عمر بن الخطاب يعزم عليه فى كسره ، ويقول : أما بحسبك أن تقوم فيه قائما والمسلمون تحت قدمك ، فكسره . وأول من زاد فيه مسلمه بن مخلد الأنصارى فى أيام يزيد بن معاوية سنة ثلاث وخمسين ، وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية ، (ثم عبد العزيز بن مروان سنة تسع وسبعين ، ثم قرة بن شريك العبسى ، هدمه مستهل سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك) . وكانوا يجتمعون فى قيسارية[1] العسل حتى فرغ من بنائه فى رمضان سنة ثلاثة وتسعين ، ونصب فيه المنبر الجديد ، وأمر قرة بعمل المحراب المجوف ، وهو المعروف بمحراب عمرو ، (لأنه فى سمت[2] محراب المسجد القديم الذى بناه عمرو) . وكانت قبلته عند العمد المذهبة فى صف التوابيت ، وهى أربعة عمد : اثنان فى مقابلة اثنين ، ثم تولد بعد ذلك زيادات كثيرة إلى أن تكامل ذرع[3] الجامع مئة وتسعين ذراعا . (ويقال : إن ذرع جامع ابن طولون مثل ذلك ، سوى الرواق المحيط بجوانبه الثلاثة ، ونصب عبد الله بن[4] طاهر اللوح الأخضر ، فلما احترق الجامع احترق ، فصنع أحمد[5] العجيفى لوحا مكانه) .

ثم زاد فيه أبو حفص عمر بن[6] (الحسن) القاضى (العباسى) (العُجيفى) ، أيام نظره فى قضاء مصر ، الغرفة التى يؤذن فيها المؤذنون فى السطح . ثم زاد فيه الوزير[7] أبو الفرج

---

(١) لم نستطع تحديد مكانها ، وإن كنا نرجح أنها كانت قريبة من جامع عمرو . وفى (خ ٢ : ٢٤٨) « وكانوا يجمعون الجمعة فى قيسارية العسل ... إلخ » . (٢) هيئة . (٣) طوله ، وسعه .

(٤) عبد الله بن طاهر : أحد ولاة العباسيين بمصر . وفى (ا) ظاهر .

(٥) أحمد بن محمد العجيفى هو الذى أمره خماوريه بن أحمد بن طولون بالإشراف على عمارة المسجد الجامع فى سنة ٢٧٥ هـ بعد ما احترق فى ٩ صفر من نفس السنة وتهدم الرواق الذى عليه اللوح الأخضر . (خ ٢ : ٢٥٠) .

(٦) أبو حفص عمر بن الحسن القاضى العباسى العجيفى كانت ولايته القضاء فى رجب سنة ٣٣٦ هـ ، وكان إمام مصر والحرمين . وإليه إقامة الحج ، ولم يزل قاضياً بمصر إلى أن صرف من القضاء فى ذى الحجة سنة ٣٣٩ هـ ، وتوفى سنة ٣٤٢ هـ (خ ٢ : ٢٥٠) . ولفظة العجيفى ساقطة من الأصل (ا) .

(٧) فى الأصل (ا) « الول بر » ، ولعلها تحريف « الوزير » .

يعقوب بن يوسف (بن كلس)، بأمر العزيز بالله ، الفوارة التى تحت بيت المال والسقف الخشب المحيط بها سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة فى أيام الحاكم بأمر الله .

ثم فى شعبان سنة ست وأربع مئة(١) أمر الحاكم بعمل الرواقين اللذين فى صحن الجامع ، وقلعت العمد الخشب والجسر الخشب ، وكانت نصبت زمن أحمد بن طولون ، والله تعالى أعلم) .

(ومنها ثمانيــة عشر مسجدا)(٢) لتُجيب(٣) . وثمانية عشر مسجدا لمذحج(٤) . (ولسبأ(٥) مسجد واحد) . (ولخَوْلان ثلاثة وعشرون) وللعيص(٦) واحد . ولراشدة(٧) واحد . (وليَحْصُب(٨) ثلاثة عشر ، ولمَهْرة(٩) ثمانية عشر، ولرُعين(١٠) ثمانية عشر، وللكَلاع(١١) تسعة عشر، وللمَعافر(١٢) خمسة وخمسون ،

(١) فى الأصل (ا) سنة ست وسبع مئــة ، والصواب سنة ست وأربع مئة . (خ ٢ : ٢٥٠) ، و (جـ : لوحة ٦٥) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ا) .

(٣) تجيب من القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص (ك : ١٢٥) .

(٤) مذحج من القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمــرو بن العاص بين خولان وتجيب (ك : ١٢٦)

(٥) سبأ : من القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص (ك : ١٢٦ ، ١٢٧) . وخولان : من القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص .

(٦) العيص : لم يذكرها ابن عبــد الحكم بين القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو ابن العاص بمصر .

(٧) راشدة : اسم لقبيلة نزلت بمصر عنــد الفتح ، ولها خطة بالجبل المعروف بالرصد (الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر) الذى كان يطل على بركة الحبش ، وقد دثرت الخطة ، ولم يبق فى موضعها إلا الجامع الذى بناه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ هـ المعروف بجامع راشدة ، وراشدة بطن من لخم (خ ٢ : ٢٨٢ ، ٢٨٣) و (ق ١ : ١٥٠) .

(٨) يحصب : من القبائل العربية التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص قبـل المعافر (ك : ١٢٦) .

(٩) مهرة : من القبائل العربية التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمــرو بن العاص ، اختطت على سفح جبل يشكر ، وكان مسجدها هنالك قبة سوداء (ك : ١١٨) .

(١٠) رعين : من القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمــرو بن العاص (ك : ١٢٥) . وفى (جـ : لوحة ٦٦) : ولرعين سبعة عشر .

(١١) كلاع : من القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص.(ك : ١٢٦) .

(١٢) المعافر : من القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع بجانب عمــرو بن العاص ثم حازت قريش محلهم بعد نقلهم إلى مكان آخر (ك : ١٢٧) .

ولمعانق[(١)] واحد وعشرون ، للأزد[(٢)] واحد ، ولفهم[(٣)] ستة ، ولبنى بحر[(٤)] واحد ، ولبنى بيته[(٥)] واحد) . وليشكر[(٦)] اثنان . (ولهذيل خمسة ، ولبنى سلامان اثنان) . وبالجيزة ثمانية عشر مسجد .

هذه مساجد الخطط التى بنتها الصحابة، تعرف فيها الإجابة والبركة . وبالقرافة ونواحيها مساجد ، منها مسجد الإجابة ، ومسجد الكرب ، وبها دار الأبرار .

وبمصر من البقاع الشريفة : الجبل المقطم، والوادى المقدس . وبها الطور، وبها ألقى موسى عصاه . وبها أنفلق البحر لموسى. وبها النخلة التى أمرت (مريم بهزها، وبها النخلة التى امرت) أن تضع عيسى تحتها ، فلم يثمر غيرها ، وهى بالجيزة . وبها الجميزة التى صلى تحتها موسى ، وهى بطرا . وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين[(٧)] ﴾ المراد بالربوة البهنسا . قال أبو حكيم بن مفضل البهنسى[(٨)] فى كتابه (المسمى) « فضائل مصر» : قال شيخى : والصحيح أن الربوة التى آوى إليها المسيح وأمه بمدينة البهنسا فى موضع يعرف الآن بمسجد الديوان ، أوى به هو وأمه سبع سنين . قال : وأما الربوة التى بدمشق فموضع مبارك، نزه ، بديع المنظر فى لحف[(٩)] جبل ، وليست هى الربوة التى ذكرها الله عز وجل، لأن عيسى عليه السلام ما دخل أرض دمشق، ولا (وطئ أرض) الشام ، بل الربوة هى التى بمصر . (وقيل هى الرملة، قال: والنخلة التى كانت تنضح[(١٠)] له الزيت بمدينة

---

(١) معانق : لم يذكرها ابن عبد الحكم بين القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص

(٢) الأزد : من القبائل العربية التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص . (ك : ٩٨).

(٣) فهم : من القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص (ك : ١١٦-١١٨).

(٤) بنو بحر بن سوادة : وهم قوم من الأزد فى لخم ، اختطوا حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص (ك : ١١٦) ، وفى الأصل : بنو بحرسان .

(٥) بنو بيته : لعل هذا محرف عن بنى نبــة (أو يبه) ، وهم قوم من الروم رغبوا فى الإسلام قبل « اليرموك » ، وحضر الفتح منهم ١٠٠ رجل .وفى (ج: لوحة ٦٦) : بنو ببة . (الفسطاط ليوسف أحمد ص ٢٠ ط ١٣٣٥) .

(٦) يشكر : من القبائل التى اختطت حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص فى الجبل الذى سمى باسمهم (ك : ١٢١) ، وعلى هذا الجبل بنى الجامع الطولونى (خ ١ : ١٢٥).

( ) المؤمنون : ٥٠ .

(٨) أبو حكيم بن مفضل البهنسى لم تعثر على ترجمة له

(٩) لحف الجبل : أصله .

(١٠) تنضح : ترشح .

أشمون مشهورة ، والنخلة التى آوت اليها أمه بسدمنت[(١)] مذكورة) ، وإقامة الحواريين[(٢)] معه بمدينة البهنسا غير منكورة . وبركة عيسى عليه السلام ظاهرة ببئر البلسم التى بأرض المطرية ، ودعوته لأهل البهنسا مشهورة .

وأما الطور المقدس الذى كلم الله موسى عليه السلام عليه من جبلها المقطم فهو داخل فيها ، وقد وقع فيه التقديس ، كما قال كعب الأحبار ، قال تعالى : ﴿ وناديناه[(٣)] من جانب الطور الأيمن ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إنك بالوادى المقدس طوى[(٤)] ﴾ .

قال سعيد بن عُفَير[(٥)]: لما فر موسى من "منف" خوفا من فرعون دخل طوى ، فكانت كل شجرة فيه إذا سجد تسجد معه ، شكرا لله عز وجل ، ولذلك ترى كل شجرة بطوى منكسة إلى القبلة ، وأن موسى عليه السلام ناجى ربه بوادى المقطم : وقال عمرو بن العاص للمقوقس : مابال جبلكم هذا أقرع لا نبات فيه كجبال الشام ، فلو شققنا فى سفحه نهرا من النيل ، وغرسنا فيه نخلا ؟ فقال المقوقس : إنا وجدنا فى الكتاب أنه كان أكثر الجبال أشجارا (ونبتا وفاكهة) ، فلما كانت الليلة التى كلم الله فيها موسى أوحى إلى الجبال : إنى مكلم نبيا من أنبيائى على جبل منكم ، فسمت الجبال وتشامخت ، إلا جبل بيت المقدس ، فإنه هبط وتواضع ، فأوحى الله إليه : لم فعلت ذلك ؟ وهو به أعلم . قال : إعظاما وإجلالا لك يارب ، فأمر الله عز وجل الجبال أن يَحُبُّوه كل جبل بما عليه من النبات ، فجاده المقطم بكل ما عليه ، حتى بقى كما ترى ، فأوحى الله إليه : إنى معوضك على فعلك بشجر الجنة ، أو بغراس الجنة .

وكان المقوقس أراد أن يبتاع سفح الجبل المقطم من عمرو بعشرين ألف دينار ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب (بذلك) ، وأخبره أنها أرض لا نبات فيها ، وأن المقوقس أخبره

---

(١) سدمنت : من القرى القديمة ، وضعت أحياناً فى الفيوم ، وأحياناً حول بحيرة مريوط ، وأحياناً من أعمال البهنساوية ، وسميت فى العهد العثمانى بسدمنت الجبل لمجاورتها للجبل الغربى (ق ٢ جـ ٣ : ١٦١) .

(٢) الحواريون : الخاصة من الأصحاب ، وأنصار عيسى عليه السلام ، وصفوة الأنبياء .

(٣) مريم : ٥٢ .

(٤) طه : ١٢ . وطوى : اسم الوادى .

(٥) سعيد بن عفير : من الطبقة السادسة من أهل مصر بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ط ٧ : ٥١٨) .

أنه وجد فى الكتب أنها غراس أهل الجنة . فكتب عمر رضى الله عنه إلى عمرو : لا أعرف غراس الجنة غير المؤمنين ، فاجعلها مقبرة لهم . فأول من حفر فيها رجل يقال له عامر ، فقال له عمرو : عمرت إن شاء الله تعالى ، فغضب المقوقس وقال : ما على هذا صالحتنى ، فعوضه عن ذلك أرض الحبش [1] ، فدفن فيها النصارى .

وسأل كعب الأحبار [2] رجلا ، مراده السفر إلى مصر ، أن يهدى له من تربتها ، (فلما حضر الرجل أهدى له [3] من ذلك) ، فلما حضر كعب الأحبار الموت أوصى أن يفرش ذلك التراب فى قبره . وفعل مثل ذلك عمر بن عبد العزيز .

وروى عن كعب الأحبار رضى الله عنه أنه قال لبعض أهل مصر ، لما قال له : هل لك من حاجة ؟ قال : (نعم ، جراب [4]) من تراب سفح المقطم ، يعنى جبل مصر . قال : فقلت له : يرحمك الله ، وما تريد به ؟ قال : أضعه فى قبرى . فقال له : تقول هذا وأنت بالمدينة ، وقد قيل فى البقيع ما قيل ؟ قال : إنا نجد فى الكتاب الأول أنه مقدس (ما بين القصير إلى اليحموم) .

وسمى " المقطم " لأن المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام كان ينزله (واليحموم : الجبل المطل على القاهرة) . وقال الحسن البَصْرى [5] : يحشر منه الشهداء يوم يحشر الخلق إلى الجبار ، (من رماة الحق سبعون ألف ملك وشهيد ، مطهرا من ذنبه ؛ مشفعا فى القول عند ربه) .

قال ابن زولاق : ودفن بمصر من أمرائها اثنان وسبعون ، أولهم عمرو بن العاص ، (وآخرهم كافور) .

(١) أرض الحبش : أغلب الظن أنها كانت قريبة من « بركة الحبش » المتقدم ذكرها ، فقد كان لطائفة من الرهبان الأحباش جنان بالقرب منها يطلق عليها الحبش (خ ٢ : ١٥٢) و (ق ١ : ١٥٠) .

(٢) تقدم التعريف به .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل (أ) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل (أ) .

(٥) هو الحسن أبى الحسن البصرى أبو سعيد (٢١ — ١١٠ هـ) ، مولى زيد بن ثابت ، أحد أئمة الهدى والسنة . قال ابن سعد : كان عالما جامعا رفيعا ثقة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحا (خز : ٧٧) .

فصل فى ذكر مصر ووصف من بها من العلماء والحكماء والملوك وعدّة خلجانها

قال الكندى : قال كعب الأحبار : من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة ، فلينظر إلى أرض مصر حين يخضر زرعها ، ويزهو(1) ربيعها ، وتكسى بالنوار(2) أشجارها .

وقال المسعودى فى « مروج الذهب » : وصف بعض الحكماء مصر ، فقال : هى ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة(3) سوداء ، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء . فأما اللؤلؤة البيضاء (فإنها أشهر أبيب وتموز ومسرى وتوت) ، يركبها الماء ، وترى الدنيا بيضاء . وأما المسكة السوداء فإنها فى شهر بابه ، تتكشف الأرض فتصير أرضا سوداء ، وتوضع فيها الزراعات ، ويبقى للأرض رائحة طيبة تشبه (ريح) المسك . وأما الزمردة الخضراء فإن فى شهر طوبة ، وأمشير ، وبرمهات ، تلمع الأرض ، ويكثر عشبها ونباتها ، فتصير الدنيا زمردة خضراء . وأما (السبيكة(4) الذهب) الحمراء ، فإن شهر برمودة وبشنس وبشونة يبيض الزرع ، ويتورّد(5) العشب ، فيشبه الذهب فى المنظر ، ثم يستحصد ، فيصير أكسية(6) فى صناديق الملوك وأكمام الرجال .

قال : ووصفها آخر ، فقال : بناؤها عجب ، وأرضها ذهب ، وهى لمن غلب ، مالكها سلب(7) ، ومالها رغب(8) ، وخيرها طلب(9) ، وفى أهلها صخب(10) ، وفى طاعتهم رهب(11) ، وسلمهم

---

(1) يزهر فى (ب) . (2) النور فى (ب) . (3) مسكة : قطعة من المسك .

(4) ما بين القوسين ساقط من (ا) .

(5) كذا فى (خ ١ : ٢٦) ، وفى الأصل (ا) يتورط .

(6) جمع كساء ، وهو الثوب .

(7) السلب : ما يسلب . وهذا الوصف منسوب فى (ج : لوحة ٦٨) إلى عبد الله بن عمرو .

(8) يرغب فيه لكثرته . (9) مطلوب .

(10) ترتفع أصواتهم فى الأسواق ونحوها .

(11) فى (خ ١ : ٢٦) رهب ، وهو الخوف والرعب ، وفى الأصل (ا) : دهب .

شَغَب[1] ، وحربهم حَرَب[2] ، ونهرها النيـل من سادات الأنهـار ، وأشراف البحار ، لأنه يخرج من الجنة . وقال سعيد بن غفير[3] : كنت بحضرة المأمون بمصر حين قال وهو فى قبة الهواء: لعن الله فرعون إذ قال : ﴿ أليس لى ملك[4] مصر ، وهذه الأنهار تجرى من تحتى ؟ ﴾ فلو رأى العراق ! فقلت : ياأمير المؤمنين لا تقل هذا ، فإن الله عز وجل يقول:﴿ ودمرنا ما كان يصنع[5] فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾، فما ظنك ياأمير المؤمنين بشيء دمره الله هـذا بقيته ؟ فقال : ما قصّرت ياسـعيد . (فقلت ياأمير المؤمنين ، لقـد بلغنا أنه لم يكن ثمّ أرض قط أعمر من أرض مصر ، وجميع أهل الأرض يحتاجون إليها) .

قال ابن عبـد[6] الحكم : وكان النيل فى أيام فرعـون مقسوما على أنهر وجداول ، وكانت أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا ، وكان بناؤها مركبا على قناطر وجسـور ، وجداول وأنهار تجرى تحت منازلها وأفنيتها ، بتقـدير وترتيب[7] ، من ماء النيل ، فيحبسونه كيف شاءوا ، ويرسلونه كيف شاءوا ، وهو معنى قوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ أليس لى ملك مصر ، وهـذه الأنهار تجرى من تحتى . أفلا تبصرون ؟ ﴾. (ولم يكن يومئذ ملك أعظم من ملك مصر) .

وكانت الجنان أى البساتين بحـافتى النيـل من أوله إلى آخره ، فى الجـانبين جميعا ، ما بين أسوان إلى رشيد (إلى الشام) . ولقد كانت المرأة تخرج حاسرة[8] ، لاتحتاج إلى خمار[9] ، لكثرة الشجر . وكانت الأَمَـة تضع المِكْتَل[10] على رأسها ، وتمشى للرياضـة ، فيمتلىء المكتل من تساقط الثمار .

---

(١) ليس يخلو سلمهم من عداوة .
(٢) حرب : هلاك .
(٣) تقدمت ترجمته .
(٤) الزخرف : ٥١ .
(٥) الأعراف : ١٣٧ .
( ) تقدمت ترجمته .
(٧) فى (خ ١ : ٧٠) تدبير .
(٨) حاسرة : عارية الرأس .
(٩) الخمار : ثوب تغطى به المرأة رأسها .
(١٠) فى (أ) المكتل ، وفى (ب) المكيل ، والمكتل : زنبيل يعمل من الخوص .

وكان بها خلْجان . قال المهدوى[1] فى تفسير قوله تعالى على لسان فرعون ﴿ وهذه الأنهار تجرى من تحتى ﴾ : إن الأنهار كانت هذه الخُلُج السبعة : خليج الإسكندرية ، وخليج دِمياط ، وخليج سَرْدُوس[2] ، وخليج مَنْف ، وخليج سَخَا ، وخليج الفيوم ، وخليج المنتهى[3] . كل واحد منها يتفجر إلى عدة خلج ، وكانت متصلة الجريان لا تنقطع . وبين الجنات زروع من أول أرض مصر إلى آخرها ، وقد دمر الله تلك المعالم ، وطمس على تلك الأموال ، (كما أخبر الله سبحانه وتعالى .)

قال ابن زولاق : وهذه الخلج كانت فى الجاهلية ، أما خليج الفيوم والمنتهى فحفرهما يوسف الصديق عليه السلام . وأما خليج سردوس فحفره هامان[4] لفرعون ، لعنهما الله ، وقد حفره بمئة ألف دينار ، فأتاه أهل القرى وسألوه أن يعطف[5] به على كل قرية وأعطوه مالا فأجابهم (لما سألوا)[6] ، ولذلك كثرت عطوفه[7] . ولما فرغ منه أخبر فرعون (بفراغة) ، فقال : كم أنفقت عليه ؟ قال : مئة ألف دينار أعطانيها أصحاب القرى ، فغضب فرعون وقال له : ما أحوجك لمن يضرب عنقك ! تأخذ من عبيدى مالا على منافعهم ؟ رد للناس جميع ما أعطوك ، (وإلا فعلت بك ما تكره ، فرد عليهم جميع ما أخذه منهم) .

وأما الخليج المعروف بخليج أمير المؤمنين[8] فحفره عمرو بن العاص ، بأمر أمير المؤمنين

---

(١) تقدمت ترجمته (٢) أحد خلجان النيل ، يقال : إن الذى حفره هامان ، خليفة ظلما ابن قومس ، ملك منف ، الذى اعتبره الأقباط فرعون موسى (خ ١ : ٧٠) .

(٣) خليج المنهى فى (خ ١ : ٧٠) ، وفى (جـ : لوحة ٧٠) .

(٤) هامان : قريب ظلما بن قومس ، فرعون مصر فى منف ، وخليفته ، وهو الذى حفر خلجانا كثيرة منها خليج سردوس (خ ١ : ٧٠) .

(٥) يعطف به : يمال به . (٦) ما بين القوسين ساقط من (ا) .

(٧) العطوف : جمع عطف ، ومن معانيه الجانب .

(٨) هو الخليج الذى جدد حفره عمرو بن العاص فى عام الرمادة ، وكان يعرف قبل الإسلام بخليج مصر ، وفى أول الإسلام بخليج أمير المؤمنين ، يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وبعد بناء القاهرة بخليج القاهرة (خ ٢ : ١٤٠) . والأرض التى كان يجرى فيها تشمل الآن الأراضى الزراعية الواقعة على الجانب الغربى من الخليج المصرى ، فى المنطقة التى تحد اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى (بورسعيد الآن) ، ومن الشمال بسكة الفجالة ، وشارع الفجالة وغمرة حتى ينتهى بترعة الاسماعيلية ، ومن الغرب بميدان محطة مصر ، فشارع رمسيس ، فشارع ماريت باشا ، فميدان التحرير ، فشارع قصر العينى ، وينتهى جنوباً بفم الخليج المصرى (ق ١ : ١٧) .

عمر بن الخطاب ، يدخل إليه النيل من غربى حصن ابن حديد ، وأنفق عليه مالا عظيما ، فكان الحجاج (بالفسطاط) يركبون البحر من ساحل تنيس ، ويسيرون فيه ، ثم ينتقلون بالقلزم إلى المراكب الكبار ، وليس بمصر خليج إسلامى غيره . (وقيل كان قديما ودثر ، فدل عليه عمرا بعض القبط على أن يسقط عنه الجزية ، فاستأذن عمر ، فأذن له ، فأسقطها) .

وسبب حفره أنه لما أجدبت[1] المدينة عام الرّمادة[2] ، كتب عمر إلى عمرو : (من عمر ابن الخطاب إلى العاصى بن العاصى) .

(واغوثاه ! واغوثاه ! ماتبالى إذا سمنت ومن قبلك أن أعجف[3] أنا ومن قبلى .

فكتب إليه عمرو :

لبيك ، إبل تترى[4] ، أولها عندك وآخرها عندى برا وبحرا .

ثم ندم عمرو على ذكر البحر ، وقال : أفتح على مصر بابا لا يسد ، وكتب إليه يعتذر عن ذكر البحر ، فكتب إليه عمر .

أما بعد ، فإن الكلمة التى فاهت[5] منك ندمت عليها . والله لئن لم ترسل فى البحر لأرسلن إليك [من] يقتلعك[6] اذنيك .

فعلم عمرو أنه الجد من عمر ، فأرسل إليه فى البر والبحر ، وكتب يعتذر من بعد البحر ، فكتب إليه عمر .

عرفنى كم بينك وبين البحر ؟ فكتب إليه : مسيرة ليلتين ، فكتب إليه) :

احفر من النيل إلى البحر ، ولو أنفقت جميع مال مصر . فحفر الخليج المذكور .

---

(١) أجدبت : صارت يابسة لاحتباس المطر عنها .

(٢) الرمادة : الهلكة ، وعام الرمادة : عام أصاب الناس فيه جدب وقحط فى عهد عمر بن الخطاب (آخر سنة ١٧ وأول سنة ١٨ هـ) . (٣) أعجف : أن أكون هزيلا .

(٤) فى الأصل : ايدك تترا ، ولعلها إبل تترى أى متتابعة . وفى (خ ٢ : ١٤١) : فياليبك ! ثم يا لبيك ! قد بعثت إليك بعير ، أولها عندك ، وآخرها عندى » . والعير : القافلة أو الإبل تحمل الميرة . وفى (زو : ٢٠) : لبيك لبيك ، آتيك بعير أولها عندك ، وآخرها عندى ، مع أنى لا أخلى البحر من شىء . (٥) أتت منك فى (و ز: ٢٠) . (٦) يقتلعك بأذنك فى (زو : ٢٠) .

(وكتب عمر أيضا رضى الله تعالى عنه إلى عمرو بن العاص :

أما بعد فإنى فكرت فى بلدك، وهى أرض واسعة عريضة رفيعة ، قد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة فى البر والبحر ، قد عالجتها الفراعنة ، وعملوا فيها أعمالا محكمة ، مع شدة عتوهم ، فعجبت من ذلك ، فأحب أن تكتب الى بصفة أرضك كأنى انظر إليها ، والسلام) .

(فكتب إليه عمرو :

قد فهمت كلامك وماذكرت فيه من صفة مصر، مع أن [كتابى سيكشف[1] عنك عمى] الخبر، ويرمى على بالك منها نافذ النظر . إن بمصر تربة[2] سوداء ، شجرة خضراء ، بين جبل أغبر[3] ، ورمل أعفر[4] ، قد اكتنفها معدن رفقها ، ومحط رزقها ، مابين أسوان ، إلى منشأ البحر ، فى سح[5] النهر ، مسيرة الراكب شهرا ، كان ما بين جبلها ورملها بطن أقب[6] وظهر أجب ، يخط فيه نهر مبارك الغدوات ، ميمون البركات[7] ، يسيل بالذهب ، ويجرى على الزيادة والنقصان كجارى الشمس والقمر ، له أيام تسيل إليه عيون الأرض وينابيعها مأمورة إليه بذلك ، حتى إذا ربا[8] وطما ، واصلخم[9] لجه ، واغلولب[10] عبابه كانت القرى بما أحاط بها كالربا ، لا يوصل بعضها إلى بعض إلا فى السفائن والمراكب ، ولا يلبث إلا قليلا

---

(١) كذا فى (زو : ٢١)، أما عبارة (أ) فهى : لكتابى سيد الاشفها الخبر . وفى (جـ : لوحة ٧١) مع أن كتابى سيكشف عنها الخبر ، ويرمى على بالك منها بناقد النظر .

(٢) قرية فى (ن ١ : ٣٢) .

(٣) صفة من الغبرة ، وهى لون الغبار ، ومعدن رفقها : موضع عملها .

(٤) أبيض ، ليس بالشديد البياض .

(٥) سح النهر : تدفقه ، وفى (زو : ٢١) : تيح النهر أى تمايله .

(٦) بطن أقب : دقيق الخصر ، ضامر . وأجب : مقطوع ، وفى (زو : ٢١) : أخب بدلا من أجب

(٧) الروحات فى (ن ١ : ٣٢) .

(٨) ربا وطما : زاد وارتفع .

(٩) اصلخم : اشتد ، وفى (أ ، جـ : لوحة ٧١) : اصطلم .

(١٠) اغلولب : التف .

حتى يلم [كأول مابدأ فى جريتـه وطما فى دِرّتِهِ](1) حتى يسير فنونها ومنونها . ثم انتشرت فيه أمة محقورة(3) ، قد رزقوا على أرضهم جلدا وقوة ، لغـيرهم مايسعون من كدهم بلاحسد ، ينال ذلك منهم ، فيسقون سهل الأرض وخرابها ورواسيها ، ثم ألقوا فيها من صنوف الحب مايرجون التمام من الرب ، فلم يلبث إلا قليلا حتى أشرق ، ثم أسبل فتراه بمعصفر ومزعفر ، يسقيه من تحته الثرى(4) ومن فوقه الندى ، وسحاب مُنْهَمّ(5) بالأرائك مستدر ، ثم تبناها ، ويجمع وتبدو فى حرامها(6) . فبينما هى مدرة(7) سوداء إذا هى بلجة زرقاء ، ثم عوطرة(8) خضراء ، ثم ديباجة رقشاء(9) ، ثم فضة بيضاء(10) ، فتبارك الله الفعال لمـا يشاء . فإن خير ما أعتمد عليه من ذلك ياأمير المؤمنين ، الشكر لله تعالى على ماأنعم به عليك منها ، فأدام الله لك النعمة والكرامة فى جميـع أمورك والسلام) .

وكان عمــرو رضى الله عنـه إذا وصف مصر يعى(11) ولم يقف يشبهها بالذهب وبالفضة وبالجنـــة .

---

(١) كذا فى (ن ١ : ٣٢) ، وفى (أ ، جـ : لوحة ٧٢) :
وأول ما بدأ من جريه وأول ما طما من شربه . والدرة : اسم من الدر ، وهو اللبن ، والمعنى : فى زيادته ونقصانه . والشرب : الماء يشرب ، والنصيب منه .

(٢) كذا فى (أ) ، وفى (زو : ٢٢) : حتى يسير قبونها ومتونها . ولعلها : حتى يسير على فنونها ومتونها ، أى طرقها وظهورها .

(٣) محقورة : ذليلة ، لأن الرومان كانوا يحتقرونهم ، وبهذا المعنى أيضاً قوله : لغيرهم ما يسعون من كدهم . وفى (جـ : لوحة ٧٢) : ما يسقوله من كدهم .

(٤) نداه من تحته الثرى فى (ن ١ : ٣٢) .

(٥) الأرائك : جمع أراكة ، وهى شجرة المسواك ، ومنهم : سائل ، وفى (جـ : لوحة ٧٢) منهمر . ومستدر : كثير وسائل وجار . (٦) حرامها : لعلها محرفة عن كلمة أخرى . وفى (زو) : ضرامها

(٧) كذا فى (جـ : لوحة ٧٢) ، والمدرة : القطعة من الطين اللزج المتماسك .

(٨) كذا فى الأصل (أ) وفى (ن ١ : ٣٢) : زمردة ، وفى (جـ : لوحة ٧٢) : غوطة .

(٩) الديباجة : الخد ، والرقشاء : المنقطة بسواد وبياض .

(١٠) فى (ن ١ : ٣٢) : لؤلؤة بيضاء .

(١١) يعى : يصفها وصف عالم خبير ، وفى (جـ : لوحة ٧٢) : لم يع أى لم يعجز فى وصفها . ولعل : لم يقف يشبهها محرفة عن : لم يكف يشبهها .

(قال ابن سعيد[١] فى كتابه " المغرب " : خرجت يوما نحو بركة الحبش[٢] التى يقول فيها الشاعر .

لله يومى ببركة الحبش * ونحن بين الظباء والنَّبَش[٣]
والنيل تحت الرياض مضطرب * كصارم فى يمين مرتعش

وعاينت من هذه البركة أيام فيض النيل عليها أبهج منظر ، ثم زرتها أيام غاض معظم الماء ، وبقيت مقطعات[٤] بين خضر من القرط[٥] والكتان مفتن الناظر . وفيها أقول .

يابركة الحبش التى يومى بها * طول الزمان مبارك وسعيد[٦]
حتى كأنك بالبسيطة جنة * وكأن دهرى كله بك عيد
ياحسن مايبدو بك الكتان فى * نواره أو زِرِّه معقود
والماء منك سيوفه مسلولة * والقرط فيك رِواقه ممدود
وكأن أبراجا عليك غوابس * جليت وطيرك حولها غريد

وكان موسى بن عيسى الهاشمى ، أمير مصر يوما فى الميدان عند بركة الحبش ، ودون الجبل ، وحطه بين وائل عند جنان محمد بن مروان بن الحكم ، فالتفت يمينا وشمالا ، ثم قال لحاضريه : ترون ما أرى ؟ فقالوا : وما ترى أيها الأمير ؟ فقال : أرى عجبا ، ما هو

---

(١) ابن سعيد المغربى (٦١٠ – ٦٨٥ ﻫ) هو على بن موسى بن عبد الملك ... أبو الحسن نور الدين ، مؤرخ أندلسى ، ومن الشعراء العلماء بالأدب ، من تآليفه : « المغرب فى حلى المغرب » . ألفه سبعة آخرهم ابن سعيد هذا (ع ٥ : ١٧٩) .

(٢) بركة الحبش : تقدم الكلام عليها .

(٣) النبش : الجمل الذى فى خفه أثر يتبين فى الأرض . ويمين مرتعش : فى الأصل (ا) : بدين مرتعش . وفى (غ ٢ : ١٥٤) : « والأفق بين الضياء والنبش » وقائل هذين البيتين أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى .

(٤) مقطعات : تقدم شرحها . (٥) القرط : البرسيم .

(٦) الزر : النوار . ومعقود : خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو معقود ، والجملة حال من الكتان . وزواقه ممدود : شاغل مساحة الأرض كلها . وغوابس : جمع غابس ، وهو المظلم . وفى (خ ٢ : ١٥٥) « فى البسيطة » و « عرائس » بدلا من « بالبسيطة » و « غوابس » .

فى شىء من الدنيا ، ثم أمسك ساعة طويلة ، ثم قال : أرى ميدان رِهان ، وجنان نخل(١) ، و بستان شجر، ومنازل سكن، ودور جبل(٢) ، وجبانة أموات ، ونهرا عجاجا(٣) ، وأرض زرع ، ومراعى ماشية ، ومرتع خيل ، وساحل بحر ، وصائد بحر(٤) ، وقانص وحش ، وملاح سفينة ، وحادى إبل(٥) ، ومغارة رمل ، وسهلا ، وجبلا . فهذه ثمانية وعشرون متنزها فى أقل من مِيل فى مِيل .

وقال المأمون لإبراهيم بن تميم ، عامل خراجه على مصر : صف لى مِصر ، وأوجز . فقال : جحفلة(٦) الفرس فى الربيع ، وعجزه فى الرمل . يريد أنها برية بحرية(٧) يرتع الفرس فى الربيع ، و يبرد فى بروده) .

وسأل بعض الخلفاء الليث بن سعد عن الوقت الذى تطيب فيه مصر، فقال: إذا فاض ماؤها ، وارتفع وباؤها ، وجف ثراها ، وأمكن مرعاها .

وأما ربيع مصر فإنه يبتدئ نباته فى آخر بابه، و يستعمل فى كيهك، وفيه تخرج الدواب للربيع (وهذا الربيع(٨) من بزر القبط) [و] يقال له : البرسيم ، يبتدأ بزره فى بابه(٩)، (ويحصدونه فى كيهك وطوبه) ، فإنه يكون رطبا يغسل أجواف الخيل وجميع الدواب ، وينقيها من الأذى، ثم إذا اشتد عوده عقد الشحم فى أجوافها . ويعمل فى الدواب ما لا تعمله حشائش الشام والعراق . و إذا رعته النحل جاء طعم عسلها أطيب (طعم) عسل فى الدنيا ، ولعسل مصر فضل على سائر الأعسال . و ريف مصر أخصب الأرياف . وكان عمرو بن العاص يحرض الناس على الخروج للربيع فى طوبة ، ويخطب لذلك فى كل سنة خطبة .

---

(١) فى الأصل (ا) : نحل وفى (جـ : لوحة ٧٣) نخل .

(٢) دور جبل : جبلا مطيفاً بها .

(٣) عجاجاً : مرفوع الصوت .

(٤) لعلها نهر .

(٥) حادى إبل : سائق إبل .

(٦) جحفلة الفرس : بمنزلة الشفة للإنسان .

(٧) فى (زو : ٢٣ برية بحرية) . وفى (ا) برية مصرية .

(٨) البزر : الحب يلقى فى الأرض للإنبات . والبذر : كل حب يزرع فى الأرض . وبذر الحب : ألقاه فى الأرض للإنبات وكذلك بزر الحب .

(٩) فى الأصل (ب) بذره .

قال ابن زولاق :

وهذه الخطبة(١) أخبرنى بها على بن أحمد بن محمد بن سلامة ، قال : حدثنى عبد الملك أن(٢) يحيى بن بكير قال . حدثنى أبى عن عبد الله بن لهيعة عن الأسود بن مالك الحميرى عن بحير بن ذاخر المعافرى قال : جئت أنا ووالدى إلى صلاة الجمعة بهجير(٣) وذلك آخر الشتاء بعد بعد حميم(٤) النصارى بأيام يسيرة ، فأطلنا الركوع إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس ، فرعبت وقلت : يا أبت ! من هؤلاء ؟ فقال : يا بنى ! هؤلاء أصحاب الشرط ، فأقام المؤذنون الصلاة ، وصعد المنبر عمرو ، فرأيت رجلا ربعة(٥) ، قصير القامة ، وافر الهامة ، أدعج(٦) ، أبلج(٧) ، عليه ثياب موشاة ، كأن بها العقيان(٨) تتألق عليه ، وعليه حلة حمراء ، وعمامة وجبة ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه حمدا موجزا ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ووعظ الناس ، وأمرهم ونهاهم ، فسمعته يقول ، ويحض(٩) الناس على الزكاة ، وصلة الأرحام ، ويأمرهم بالاقتصاد ، وينهاهم عن الفضول وكثرة العيال ، وقال فى ذلك :

يا معشر الناس ! إياكم وخلالا أربعا ، فإنها تدعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى الذل بعد العز ، إياكم وكثرة العيال ، وخفض(١٠) الحال ، وتضييع المال ، والقيل بعد القال ، فى غير درك(١١) ولا نوال ، ولا بد من فراغ يؤول الأمر إليه ، من(١٢) توزيع لجسمه ، والتدبير لشأنه ، وتخليته بين نفسه و (بين) شهواتها فيما يحل ، فمتى صار إلى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيعن فراغه بنصيب العمل فى نفسه ، فيكون من الخير عاطلا ، وعن حلال الله وحرامه غافلا .

---

(١) هذه الخطبة ساقطة من (ا ، ب) ومذكورة فى (جـ : لوحة ٧٣ إلى لوحة ٧٥) ، وفى (زو : ١٠ نسخة سليمان أباظة بمكتبة الأزهر) .

(٢) فى (زو) : بن يحيى .

(٣) الهجير : نصف النهار فى القيظ خاصة .

(٤) حميم النصارى : عيد من أعيادهم

(٥) وسيط القامة .

(٦) واسع العينين .

(٧) واضح الجبين .

(٨) ذهب متكاثف فى مناجمه ، خالص مما يختلط به من الرمال والحجارة .

(٩) كذا فى (زو) ، وفى (جـ) : يحرض .

(١٠) فى (زو ، جـ) إخفاض الحال .

(١١) أى فى غير فائدة . والدرك : اسم مصدر من الإدراك والتبعة .

(١٢) فى (زو) توديع لجسمه .

يا معشر الناس! إنه قد غلت الجوزا[١]، ودت الشعرى[٢]، وأقلعت السما، وارتفع الوبا، وقل الغذا[٣]، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودرجت السخائل[٤]، وعلى الراعى لرعيته حسن النظر، فحى[٥] لكم على بركة الله إلى ربيعكم، فكلوا من خيره ولبنه، وخرافه وصيده، وربعوا[٦] خيلكم وسمنوها، وصونوها، وأكرموها، فإنها جنتكم[٧] من عدوكم، وبها مغانكم[٨] و[حمل] أثقالكم، واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا، وإياكم والمشمومات المعسولات، فإنهن يفسدن الدين، ويقصرن العمر.

وحدثنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ستفتح عليكم مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا، فإن لكم منهم صهرا وذمة". فعفوا[٩] أيديكم وفروجكم، وغضوا أبصاركم، وليعلم رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه أنى معترض الخيل اعتراض الرجال، ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن نفسه، وأهزل فرسه من غير علة إلا حططته من فريضته قدر ذلك. واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة، لكثرة الأعداء حولكم، وتشوق قلوبهم[١٠] إليكم وإلى داركم، فإنها معدن الزرع، والمال الكثير، والخير الواسع، والبركة النامية.

وحدثنى أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا فتح الله عليكم مصر، فاتخذوا بها جندا كثيفا، فذلك الجند خير أجناد

(١) فى (ج) تجلت.
(٢) فى (ج) ودانت، والشعرى: كوكب نير يطلع عند شدة الحر.
(٣) فى (زو): الندى.
(٤) درجت: مشت، السخائل: ولد الضأن والمعز.
(٥) أقبلوا.
(٦) فى (زو): أربعوا.
(٧) وقاية لكم
(٨) كذا فى (زو، ج)، ولعلها محرفة عن مغانمكم.
(٩) كذا فى (زو، ج)، ولعلها: فأعفوا، لأن عف لازمة.
(١٠) كذا فى (زو، ج)، ولعلها مصحفة عن «تشوف».

الأرض " ، فقال له أبو بكر : ولم يا رسول الله ؟ قال : " لأنهم وأزواجهم وإماؤهم[١] فى رباط إلى يوم القيامة " . فاحمدوا الله، معاشر الناس، على ما أولاكم، وتمتعوا فى ربيعكم ما طاب لكم، فإذا يبس العود، وسخن العمود، وكثر الذباب، وحمض اللبن[٢]، وصَوَّح البقل، وانقطع الورد من الشجر، فحَيَّ على فسطاطكم على بركة الله، ولا يَقْدَمنّ أحد منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله على قدر ما أطاق من سعة أو عسرة، أقول قولى هذا، واستغفر الله (العظيم) لى ولكم .

قال : فحفظت ذلك عنه، فقال والدى بعد انصرافنا إلى المنزل، لما حكيت له خطبته : يا بنى ! إنه يحدو[٣] [الناس] على الرباط كلما انصرفوا، كما حداهم على الريف والدعة . وكان يخطب بها فى كل سنة، والله أعلم .

(١) فى (جـ) : وأبناء عمهم . (٢) يبس حتى تشقق .

(٣) يحث ، وفى (جـ) : يحرص .

فصل فى ذكر ما حكى فى خراج مصر فى الجاهلية والإسلام
وأنها أكثر (أرض الله مالا) وكنوزا ومطالب[1]

ونقل ابن زولاق عن بعض علماء مصر أن فرعون (الأول) كان يستخرجها تسعين ألف ألف[2] دينار، يخرج من ذلك عشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفف ، وعشرة آلاف ألف للولاة والجند والكتاب، وعشرة آلاف ألف لمصالح فرعون، ثم يكتنزون لفرعون خمسين ألف ألف[3] دينار . (وذكر بعضهم أن فرعون، آخر فراعنة مصر، جبى خراجها اثنين وسبعين[4] ألف ألف دينار . وفى كتاب « المواعظ والاعتبار فى الخطط والآثار » لشيخنا العلامة[5] [المقريزى] ، ومن خطه نقلت ، أنه كان فى زمن نداوس بن صا ، وهو الذى حفر خليج سخا ، مئة ألف ألف[6] وخمسين ألف دينار . ثم كان فى زمن الريان بن الوليد العمليق ، فرعون يوسف عليه السلام، الخراج سبعة وتسعين ألف ألف دينار، فأحب أن يتمه مئة ألف ألف دينار، فأمر بالعمارات، وإصلاح الجسور، والزيادة فى استنباط الأرض حتى بلغ ذلك وزاد عليه . وانتهى الخراج فى زمن فرعون موسى عليه السلام إلى سبعة وتسعين ألف ألف دينار (أيضا) .

---

(١) المطالب : الدفائن والكنوز (خ ١ : ٤٠) .

(٢) كذا فى (خ ١ : ٧٥) ، وهو الصواب ، وفى الأصلين (ا ، ب) تسعين ألف ألف ألف ، وكذلك فى (جـ : لوحة ٧٦) .

(٣) كذا فى (خ ١ : ٧٥) ، وهو الصواب ، وفى الأصلين (ا ، ب) خمسين ألف ألف ألف ، وكذا فى (جـ : لوحة ٧٦) .

(٤) هذا هو الصواب كما فى (خ ١ : ٧٤) ، وفى الأصلين (ا ، ب) اثنين وسبعين ألف ألف ألف وكذلك فى (جـ : لوحة ٧٦) .

(٥) فى الأصل (ا) : « القديرى » ، وصوابه : « المقريزى » كما فى (جـ : لوحة ٧٦) .

(٦) كذا فى (خ ١ : ٧٠) ، وهو الصواب ، وفى الأصلين (ا ، ب) مئة ألف ألف ألف .

وقال غيره : كان فرعون[١] يجبي خراجها فى كل سنة[٢] ألف ألف دينار ، فيأخذ الربع لنفسه وأهله (وبيت ماله) ، والربع الثانى لوزرائه وأمرائه وكتابه وأجناده ، ويدخر الربع الثالث للصالح ، ويصرف الربع الرابع فى حفر الخلجان ، وسد الترع ، وعمل الجسور ومصالح الأرض). وكان إذا كمل التحضير فى كل سنة أنفذ مع قائدين من قواده إردبين من الحب ، فيذهب أحدهما إلى أعلى مصر ، والآخر إلى أسفلها ، فيتأمل القائد أرض كل ناحية ، فإن وجد موضعا بائرا كتب إلى فرعون بذلك ، وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة ، فيأمر فرعون بضرب عنقه وأخذ ماله وولده ، وربما عاد القائدان ولم يجدا موضعا لبذر ذلك الإردب .

وتتابع الظمأ فى زمانه ثلاث سنين ، فترك فرعون لأهل مصر خراج ثلاث سنين ، وأنفق على نفسه وعلى عساكره من خزائنه ، (فلما كانت السنة الرابعة أضعف[٣] الخراج ، واستمر حتى اعتاض جميع ما أنفقه من خزائنه ، فإذا جمع الخراج عمل فيه ما تقدم) . ولم تزل الفراعنة تسلك هذا المسلك إلى أيام فرعون موسى ، فإنه عمرها عدلا وكرما .

(وروى أن ملوك مصر كانوا يقرون الضياع فى يد أهلها بكراء معلوم ، لا يزيد فيهم ، ولا ينقص عليهم إلا فى كل أربع سنين من أجل الظمأ[٤] [وتنقل اليسار] ، فإذا مضت أربع سنين نقض ذلك ، وعدل تعديلا جديدا ، فيرفق بمن يستحق الرفق ، ويزاد على من يستحق الزيادة ، ولا يحمل عليهم[٥] [من ذلك ما يشق عليهم] .

على أن مبلغ الخراج فى السنة ، على حكم العدل[٦] من غير حيف ، بعد وضع ما يجب وضعه

---

(١) فى الأصل (أ) : وقال فرعون غيره : كان فرعون يجبي خراجها . غير أنه ليس من المحتمل عادة أن يكون أحد الفراعنة راويا لما يجبيه الفراعنة الآخرون . والصواب ما جاء فى (ج : ٧٦) . ونصه : وقال غيره (أى غير المقريزى) كان فرعون ... الخ » .

(٢) بين لفظى سنة وألف سقط ، لعله : « مئة » أو « تسعين » أو غير ذلك .

(٣) أضعف الخراج : جعله ضعفين .

(٤) من أجل الظمأ (وتنقل اليسار) فى (خ ١ : ٧٤) .

(٥) ولا يحمل عليهم (من ذلك ما يشق عليهم) فى (خ ١ : ٧٤) .

(٦) من قوله : « على أن مبلغ الخراج » إلى قوله « وأربع مئة ألف دينار » ساقط من (ج : لوحة ٧٧ وكتب فى مكانه العبارة الآتية : « وكانت مصر يومئذ عمارة متصلة أربعين فرسخا فى مثلها » ، وهى ساقطة من الأصلين (ا ، ب) .

لحوادث الزمان من الذهب ، أربعة وعشرون ألف ألف دينار وأربع مئة ألف دينار) ، وخربت مصر بعد فرعون موسى خرابا أخبر الله عنه بقوله : ﴿ ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه : وما كانوا يعرشون ﴾ (١) .

ولما فتحها عمرو بن العاص جباها أوّل دخوله ثمانية آلاف (٢) ألف ، فاستعجزه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقال : جباها الروم عشرين ألف ألف دينار ، وجبيتها ثمانية آلاف ألف . فلما كانت السنة الثانية [جباها] اثنى عشر ألف ألف . فلما توفى عمر وولى عثمان صرف عمرا عنها ، وولى عبد الله بن أبى السرح ، أخاه من الرضاع ، فجباها أربعة عشر ألف ألف دينار (٣) ، لأنه زاد فى الخراج والوزن ، فنظر عثمان إلى عمرو بن العاص ، وكان عنده بالمدينة ، وقال له : قد علمت أن اللقحة (٤) درت بعدك . قال : نعم ، ولكن أجاعت أولادها . وقد أضرت هذه السنة بما بعدها ، فلم يجبها بنو أمية وبنو العباس إلا دون الثلاثة الآف ألف دينار إلا فى أيام هشام بن عبد الملك ، فإنه أوصى (٥) عبيد الله ابن الحبحاب ، عامله على مصر ، بالعمارة ، فجباها أربعة آلاف ألف .

وروى أن عمرو بن العاص قال للقوقس : إنك وليتها ثلاث سنين ، فبم تمت عمارتها ؟ فقال : إنها لا تتم إلا بخصال ، وهى حفر خلجانها ، وسد جسورها (وترعها) ، و[أ]لا يؤخذ

(١) سورة الأعراف : ١٣٧ . ومعنى يعرشون : يصنعون العرش يستظلون بها .

(٢) فى الأصلين (ا ، ب) ثمانية آلاف ألف ألف الف ، وكذلك فى (جـ : لوحة ٧٧) ، والرقم الصحيح : ثمانية آلاف ألف ، ومع ذلك ليس هذا ما جباه عمرو من الخراج ، وإنما هو عدة من يشملهم الخراج من بلغ الحلم فما فوق ليس فيهم امرأة ولا صبى ولا شيخ (خ ١ : ٧٦) . والأرجح أنه جباها عشرة آلاف ألف ، أو اثنى عشر ألف ألف دينار (خ ١ : ٧٩) . واستعجزه : اعتبره عاجزاً .

(٣) صوابها أربعة عشر ألف ألف كما فى (خ ١ : ٧٩) لا أربعة عشر ألف ألف ألف كما كان فى الأصل (ا) .

(٤) اللقحة : الناقة الحلوب ، الغزيرة اللبن .

(٥) كذا فى (خ ١ : ٧٥) ، وفى (ا ، ب) عبد الله بن الجيحان .

خراجها إلا من غلتها ، ولا يقبل مطل أهلها ، و يوفى لهم بالشروط ، فحينئذ تدر الأرزاق على العمال ، ولا يرتشون ، و يرفع عن أهلها المعاون[(١)] والهدايا ، فيكون ذلك لهم قوة ، فذلك عمارتها ، وتوفر خراجها . (هذا ما ذكره ابن زولاق وغيره) .

وقد أتقن ذلك وحرره شيخنا الإمام الحافظ تقي الدين المقريزى ، ومن خطه نقلت (ملخصا) ، فقال :

كانت ملوك مصر من القبط قد قسموا خراج مصر أرباعا ، فربع للملك خاصة يعمل فيه ما يريد ، وربع ينفقه فى مصالح الأرض وما تحتاج إليه من عمل جسورها وحفر[(٢)] الخليج ، (وتقوية أهلها على العمارة) ، وربع يدفن لحادثة تحدث (ونازلة تنزل) ، فيدفن فى كل قرية ربع متحصلها ، وربع ينفق فى المقاتلة والكتاب . وكان مبلغ الخراج يومئذ مئة ألف ألف دينار ، وثلاثة آلاف ألف[(٣)] دينار ، بالدينار القديم ، وهو ثلاثة مثاقيل[(٤)] . فلما زالت دولة القبط الأولى من مصر ، وملكها بعدهم العمالقة ، اختل أمرها ، فكان الخراج أربعة وعشرين ألف ألف دينار . ثم انحط الخراج بعد ذلك لما اختلفت الأيدى على مملكة مصر من الفرس فالروم ، حتى صار ، قبل أن يملكها المسلمون ، مبلغ خراجها عشرين ألف ألف دينار ، وهو أقل ما جُبيت قبل الإسلام .

(وكان المقرر لحفر خلجانها ، وإقامة جسورها ، وبناء قناطرها ، وقطع جزائرها مئة ألف وعشرين ألف رجل ، معهم المساحى والطور ، يتعاقبون[(٥)] الأرض شتاء وصيفا ،

---

(١) المعاون : جمع معونة وهى العون والإعانة ، وقد أطلقت فى سنة ٢٥٠ هـ وما بعدها على الأموال الهلالية (أى غير الخراجية) كالضرائب التى كانت تفرض على الكلأ اللى ترعاه البهائم ، وتسمى المراعى ، وعلى صيد البحر ، وتسمى المصايد ، كما كان يطلق على هذه الأموال اسم المرافق (خ ١ : ١٠٣) وما بين القوسين ساقط من الأصلين (ا ، ب) ومذكور فى (جـ : لوحة ٧٨) .

(٢) وحفر الخلج كما فى (خ ١ : ٧٥) لا حفرها كما فى (ا ، ب) ، لأن الجسور تقام ولا تحفر .

(٣) الصواب : وثلاثة آلاف ألف كما فى (خ ١ : ٧٥) لا ثلاث مئة ألف ألف كما فى (ا ، ب) و (جـ : لوحة ٧٨) .

(٤) عشرة مثاقيل فى (خ ١ : ٧٥) .

(٥) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة أو أداة تقشر بها الأرض وتجرف . وفى المقريزى : يعتقبون بدلا من يتعاقبون ، كما أنه يزيد الأداة على المساحى والطور (خ ١ : ٧٦) . والطور أو الطوريات جمع طورية وهى المحراث أو الفأس .

منهم سبعون ألفا للوجه القبلى ، وخمسون ألفا للوجه البحرى . وكانوا يجعلون القرى فى يد أهلها ، كل قرية بكراء معلوم لمدّة أربع سنين ، فإذا مضت أربع سنين عدلت القرى تعديلا جديدا ، فيرفق بمن يستحق الرفق ، ويزاد على من يستحق الزيادة . وكانوا يرون الخراج يحتاج أن يعمل فيه خمسة أشياء : وهى أن يستعمل (١) فى وقته عند فراغ أهله من عصر كرومهم ، وأن يحفر فى كل سنة خلجانها ، وتسد ترعها ، وتقام جسورها ، وألا يقبل من أهل الخراج مطلهم ، وشرط آخر، وهو درّ الأرزاق على العمال لئلا يرتشوا ، وأن يرفع عن أهل الخراج الكلف (٢) وطلب الهدايا . فمتى لم يعمل بهذه الشروط لا تعمر أرض مصر) .

وأما فى الملة الإسلامية فإن عمرو بن العاص، لما فتح مصر، صالح (القبط، وهم يومئذ أهل مصر) على أن يأخذ من كل رجل منهم بلغ الحلم دينارين ، ولا يؤخذ من امرأة ولا صبيّ ، ولا شيخ عاجز ، فبلغ الخراج على هذا ستة عشر ألف ألف دينار مصرى ، وهو هذا المثقال الذى مبلغه أربعة وعشرون قيراطا ، (فكانت عدّة رجال أهل مصر يومئذ ثمانية آلاف ألف رجل) ، ووظف (٣) عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، مع كل ذلك ، على كل إنسان إردبا فى كل شهر ، ومن الودك (٤) والعسل والخل والكسوة أشياء مقررة ، (وكان على هذا (٥) على أن الأرض لأهلها ، لا يؤخذ منهم شىء سوى ما قدر ، ولم تجب مصر فى الإسلام مثل هذا قط) ، ثم تقصت الجباية بعد سنة الفتح ، (ثم تتابع الإسلام فى القبط ، وكثر نزول العرب فى الأرياف ، وعانوا الزرع ، (بعد ما كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ينهى العرب عن الزرع كى [لا] يذلوا ويشتغلوا به عن الجهاد) . ثم أخذ خراج مصر ينقص قليلا قليلا ، لعدم عمارة الأرض ، فأكثر ما بلغ فى أيام أحمد ابن طولون أربعة آلاف ألف دينار (٦) ، وثلاث مئة ألف دينار . ثم انحط بعد أحمد بن طولون ،

---

(١) العبارة التى وردت فى المقريزى (خ ١ : ٧٤) : أن يستخرج خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم ، ويرفع خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم .

(٢) الكلف : ما يكلف أصحاب الأراضى الخراجية بتقديمه من الدجاج والدسم والباس بالإضافة إلى الخراج .

(٣) وظف : قسدر .

(٤) الودك : الدسم ، دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه .

(٥) المعنى : وجرى العمل على هذا المنوال .

(٦) مبلغ الخراج هذا ساقط من (ج) .

فأكثر ما جباه القائد جوهر، لما أخذ مصر وبنى القاهرة فى سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، ثلاثة آلاف[1] ألف دينار وكسر . (ولما ولى وزارة مصر الوزير ناصر الدين الحسن بن على اليازورى[2]، بعد سنة خمسين وأربع مئة جاء ارتفاع الدولة ألفى ألف دينار ، يقف منها عن عن معلول ، ومنكسر ، وعن موتى وهرمى ومفقود مئتى ألف دينار، ينصرف فى واجبات الرجال وكساويهم [ثلاث] مئة ألف[3] دينار ، وعن عمائر ، وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك مئة ألف دينار ، (ومتحصل نفقات[4] الأجناد مئتا ألف دينار، يبقى بعد ذلك مئتا ألف دينار واصلة) تحمل فى كل سنة إلى بيت المال . ثم حدثت الفتنة ، وخربت أرض مصر) . ولما كانت وزارة الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بعد سنة خمس مئة جاء ارتفاع الخراج خمسة آلاف ألف دينار، ومتحصل الأمراء [ألف] ألف[5] إردب . لكن فى أيام (نظر) أحمد بن محمد بن عبد الله المدبر، بعد سنة خمسين ومئتين صار مال مصر على قسمين : خراجيا، وهلاليا ، واستقرت عبرة[6] البلاد ، بعد زوال دولة الفاطميين ، فى أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب (من الإسكندرية إلى عيذاب ، خارجا عن الثغور وأبواب الأموال الديوانية والأحكار والجيش الجيوشى وناحية منفلوط ودمياط وعدة نواح لم يورد غيرها من جملة أربعة آلاف ألف وست مئة ألف [و] ثلاثة وخمسين ألفا وتسعة عشر دينارا بعد ما يجرى فى ديوان الملك العادل، أخى السلطان، عن الشرقية والرّياحية والدقهلية،

(١) بياض فى الأصلين (ا ، ب) وفى (خ ١ : ٨٢) ثلاثة آلاف ألف دينار ، وأربع مئة ألف دينار ، ونيفاً . وفى (جـ : لوحة ٨٠) ثلاثة آلاف ألف وكسر .

(٢) كذا فى (خ ١ : ٨٢) ، وفى الأصل (ا) : « اليازويرى » .

(٣) كذا فى (خ ١ : ٨٢) ، وفى الأصل (ا) : « مئة ألف دينار » .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ا) ومذكور فى (جـ : لوحة ٨٠) ، غير أن الباقى بعد كل ما ذكر ٦٠٠٬٠٠٠ لا ٢٠٠٬٠٠٠ . وفى (ا) حاصلة بدلا من واصلة .

(٥) كذا فى (خ ١ : ٨٣) و (جـ : لوحة ٨٠) ، وفى الأصل (ا) : « ألف إردب » .

(٦) هذا الإحصاء كتبه القاضى الفاضل فى « ميا وماته » ، مع كتابة « عبر » بدلا من « عبرة » (وهى المال المربوط على الأرض) ، و « أرباب الأموال » بدلا من « أبواب الأموال » ، وترك « الأحكار والجيش الجيوشى وناحية منفلوط ودمياط» ، كما ترك عبارة «لم يورد غيرها من جملة» (انظر خ ١ : ١٠٠).

وغير ذلك ألف ألف ومئة ألف وتسعين ألفا وتسع مئة وثلاثة وعشرين دينارا) . والذى انعقد عليه ارتفاع الديوان السلطانى لسنة خمس وثلاثين وخمس مئة[(١)] ، لما صارت مصر سلطنة بعد ما كانت دار خلافة، ثلاث مئة ألف ، وأربعة وخمسون ألفا ، وأربع مئة وأربعون دينارا . (ومتحصل ديوان الخاص[(٢)] لسنة سبع وثمانين وخمس مئة مئة ألف دينار، وثلاثون ألف دينار . وبلغت الزكاة فى سنة ثمان وثمانين وخمس مئة اثنين وخمسين ألف دينار. وبلغ الخمس بالإسكندرية ثمانية وعشرين ألف دينار، وست مئة وثلاثة عشر دينارا . وبلغت المكوس فى وزارة الصاحب شرف الدين[(٣)] هبة الله بن صاعد الفائزى فى سنة ثمان وأربعين وست مئة فى السنة ست مئة ألف دينار، وكانت جهاتها كثيرة جدا . انتهى .

ولم تزل إلى [ما] بعد ولاية بنى أمية، ومبلغها ألف ألف دينار، وسبع مئة ألف دينار، وثلاثة وعشرون ألف دينار، وثمان مئة وسبعة وثلاثون دينارا . وكور الصعيد ألف ألف، وأربع مئة وعشرون دينارا ونصفا . وبقية المال على كور أسفل الأرض) .

(قال شيخنا المقريزى : قال ابن زولاق فى كتاب « سيرة المعز » ، (و) من خطه نقلت : ولست عشرة بقيت من المحرم ، يعنى من سنة ثلاث وستين وثلاث مئة قلد المعز لدين الله الخراج ، ووجوه الأموال ، وسائر الأعمال فى أرض مصر أبا الفرج يعقوب بن يوسف ابن كلس الوزير وعسلوج بن الحسن ، وكتب لهما بذلك سجلا ، قرئ يوم الجمعة على منبر جامع ابن طولون ، فاستغضبا[(٤)] فى الطلب واستخراج الأموال ، فكان يستخرج فى اليوم نيف وخمسون ألف دينار معزية) . وكان صرف الدينار المعزى خمسة عشر درهما ونصفا .

(وحدثنى عسلوج بن الحسن[(٥)] أنه استخرج للمعز فى يوم مئة وعشرين ألف دينار معزية)

---

(١) فى (جـ : لوحة ٨١) لسنة خمس وثمانين وخمسمئة .

(٢) كذا فى الأصل (أ) وفى (جـ : لوحة ٨١) الخمس ، ولعلها محرفة عن الجيش .

(٣) الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى (المتوفى سنة ٦٥٥ هـ) ، من وزراء دولة المماليك البحرية بمصر ، خدم الملك الفائز ابراهيم بن أبى بكر ، ونسب إليه (ج ٩ : ٦٠) .

(٤) استغضبا : تشددا فى الطلب ، وفى (جـ : لوحة ٨١) استعصبا .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) ومذكور فى (جـ : لوحة ٨٢) .

وحدثنى ابن السرىّ، كاتب عسلوج، أنه حصل فى يوم واحد من مال تِنِّيس ودِمياط والأشمونين أكثر من مئتى ألف دينـار، وعشرين ألف دينـار، وهذا ممـا لم يسمع بمثـله قط فى بلد. قال شيخنا المقريزىّ، [عليه] رحمـة الله تعالى : وقـد عاينت أنا فى « سيرة العزيز بالله » أن حسين بن القاسم، وعلى بن عمـر بن العداس[1]، وعبد الله بن خلف الرصدى استخرجوا له فى ثلاثة أيام مئتى ألف دينار، وعشرين ألفا عزيزية : منها أوّلَ يوم أربعة وستون ألفا، والباقى فى يومين، وذلك فى سـنة أربع وسبعين وثلاث مئة، بعـد قبضه على وزيره يعقوب بن كِلس. (وقال جعفر بن حمدان) الكاتب :

سئِل بطريق من الروم عن خراج بلد الروم كله، فذكره، فإذا هو خراج كورة من كور مصر.

وذكر بعض علماء الأخبار أن خراج العراق لم يكن قط أوفر منه لأيام عمر بن عبد العزيز، فإنه بلغ مئة[2] ألف ألف درهم، وسبعة عشر ألف ألف درهم. ولم تكن مصر قط أقل خراجا من أيام عمـرو بن العاص، فإنه بلغ[3] عشرة آلاف ألف دينار. وقال أبو حازم عبـد العزيز ابن عبد الحميد قاضى العراق : سألت أحمد بن محمد بن المدبر بالشام عن مصر، قال : كشفتها فوجدت عامرها أضعاف غامرها[4]، ولو اشـتغل السلطان بعمارتها لوفت له بخراج الدنيـا) وكانت الخلفاء تسمى مصر سلة الخبز.

---

(١) على بن عمر العداس، أبو الحسين (المتوفى سنة ٣٩٣ هـ)، ضمن كورة بوصير للمعز لدين الله سنة ٣٦٤ هـ، وهو صاحب سقيفة العداس كما فى (خ ٢ : ٣٠ — ٣١، ٤٢). وفى (جـ : لوحة ٨٢) المرصدى بدلا من الرصدى. وعبارة : « وقال جعفر بن حمدان » ساقطة من (ا) ومذكورة فى (جـ: لوحة ٨٢)

(٢) فى الأصل (ا) ألف مئة ألف ألف درهم، وفى (خ ١ : ٢٧) ألف ألف درهم وسبعة عشر ألف ألف درهم، والظاهر أن ألفا الأولى مقحم فى الأصل (ا)، كما أن مئة ساقطة من عبارة المقريزى قبل ألف ألف.

(٣) فى (جـ : لوحة ٨٢) اثنى عشر ألف ألف دينار.

(٤) غامرها : الغامر من الأرض : خلاف العامر، وهو ما غمره ماء أو رمل أو تراب، وصار لا يصلح للزرع.

(٥) هو سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثى، أبو أيوب (المتوفى سنة ٢٧٢ هـ)، وزير من كبار الكتاب، كتب للمأمون وهو ابن ١٤ سنة، وولى الوزارة للمهتدى بالله، ثم للمعتمد على الله، وله ديوان رسائل. وقد مدحه أبو تمام والبحترى، وتنقل فى الدواوين والوزارة حتى توفى مقبوضاً عليه (و ٢ : ١٤٤) و (ع ٣ : ٢٠١).

قال سليمان بن وهب : لما قلدنى المتوكل خراج مصر قال لى : ياسليمان، انظر ما بين يديك، فمصر مصر، وهى سلة الخبز . (قلت : ولقد أخبرنى قطلوشاه الجمالى، وهو ثقة، أنه وقف على محضر تعليق بمدينة منفلوط بصعيد مصر بمئتى ألف ، وأربعين ألف إردب غلة لديوان السلطان خاصة ، ولم يستحضر تاريخه ، وأنه وقفه على حساب قديم ، قرأه بعض الأقباط فى أيام أستاذه جمال الدين ، وفى شونه وشون السلطان خاصة ست مئة ألف إردب من قمح وشعير وفول) . (قلت : وأستاذه نكبه السلطان(١) فرج بن برقوق ، وقتله فى سنة عشرين وثمان مئة) . وأما كثرة مالها فمصر أكثر بلاد الله دنانير وكنوزا وجواهر، من أول أمرها إلى وقتنا هذا ، (فقد نقل شيخنا المقريزى فى كتابه « المواعظ والأعتبار » أن كلكن(٢) ابن خربتا ، أحد ملوك مصر من القبط الأوائل ، لم يزل يعمل الكيمياء(٣) فى مدة ملكه ، فحاز أموالا عظيمة بصحراء المغرب، وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر ، وكان الملوك قبله أمروا بترك صنعتها لئلا يجتمع ملوك اليمن على غزوهم ، فعملها كلكن ، وملأ دور الحكم منها، حتى لم يكن الذهب بمصر أكثر منه فى وقته، ولا الخراج ، لأنه كان فى وقته، فيما حكاه القبط ، مئة ألف ألف ، وبضعة عشر ألف ألف مثقال(٤) . وكان المثقال الواحد من الصنعة يطرح على القناطير الكثيرة ، فيصبغها ، فامتنعوا بذلك عن إثارة المعادن لقلة حاجتهم إليها، وعمل من الحجارة المسبوكة الملونة التى تساوى شيئا كثيرا [ما] لم يعمله أحد قبله ، وعمل من الفصوص والفيروزج أشياء تخرج عن حد العقول حتى كان يسمى حكيم الملوك) . ولقد أخذ عمرو بن العاص من قبطى واحد من أقباط مصر دفعة واحدة كنزا وجده مدفونا فى داره ، وكان اثنين وخمسين إردبا من الذهب(٥) ، ثم قتله ، فلما رأى أهل مصر ذلك

(١) هذه العبارة ساقطة من (أ)، ومذكورة فى (ج : لوحة ٨٣) .
(٢) كلكن بن خربتا بن ماليق بن تدارس بن صا كما فى (خ ١ : ٧٧) .
(٣) الكيمياء : تحويل المعادن إلى ذهب . وفى (ج : لوحة ٨٣) ملوك الأمم بدلا من ملوك اليمن ، ودور الحكمة بدلا من دور الحكم .
(٤) دينار لا مثقال فى (خ ١ : ٧٥) .
(٥) من الذهب المصرى المضروب فى (خ ١ : ٧٦) .

أخرجوا الكنوز ، وبها كنوز مصر . وبمصر كنوز فرعون موسى وفرعون يوسف والملوك من بعده، لأنه كان يُكتَز ما يفضل من النفقات (والمُؤَن لنوائب الدهر وقوله تعالى : ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون ، وكنوز ومقام كريم ﴾[١]) ، وخلف عمرو بن العاص سبعين بُهارا دنانير، والبهار جلد ثور ملؤه إردبان[٢] بالمصرى، فلما حضرته الوفاة أخرجه ، وقال : من يأخذه بما فيه ؟ فأبى ولده عبد الرحمن أخذه ، وقال : حتى ترد لكل ذى حق حقه ، فقال : والله ما أجمع بين اثنين منهم ، فبلغ معاوية ، فقال : نحن نأخذه بما فيه ، وأرسل وأخذه) . ولم تزل ملوك مصر من بعد عمرو بن العاص ، وإلى وقتنا هذا ، يجمع كل واحد منهم أموالا عظيمة لا تدخل تحت الحصر . وكذا الأمراء والوزراء والمباشرون على اختلاف طبقاتهم ، كل منهم يأخذ أموالا لا تحصى فى حياته (بما لا يعلم قدره إلا الله تعالى) ، وأكثر هذه الأموال مودعة[٣] بطون الأرض ، وكثير منها فى هذه الأزمان بأيدى النساء والمماليك ومن والاهم ، والأمر لله تعالى ، ما يشأ يفعل ، (ويحكم ما يريد) .

---

(١) الشعراء : ٥٨ ، ونرجح أن بعد الآية الكريمة سقطا لعله : « أصدق دليل على ذلك » .

(٢) ومبلغه إردبان فى (ع ١ : ٣٠١) ، وفى (أ) : ملية إردبين ، وفى (جـ : لوحة ٨٤) : ملؤه إردبان ، وفيها : « فأبى ولده عبد الله » .

(٣) فى (أ ، ب) : مودوعة ، وفى (جـ : لوحة ٨٤) : مودعة ، وهو الصواب .

فصل ملخص من كلام ابن زولاق

وهو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق المصرى ، كان فاضلا فى التاريخ ، وله كتاب "الخطط"، مقصور على مصر خاصة ، وله مصنفات فى التاريخ . ولد سنة ست وثلاث مئة ، وتوفى سنة تسع وثمانين[1] وثلاث مئة ، (فله الآن أربع مئة سنة واثنتين وثمانين) .

فكان فى كتابه "الموازنة بين مصر وبغداد" ، (فصل) فى ذكر ما اختصت به مصر دون غيرها من البلاد ، من مأكول ، وملبوس ، ومشروب ، وغيرها (مما تقدم . قلت : وإن كان فى الزمن القديم فقد تجدد فى هـذا الزمان أضعاف ما ذكر ، مع المبالغة فى الحسن والزيادة فى التأنق) .

فمن ذلك : القصب الملون ، والدّبيقى ، والمقصور[2] ، والثوب منه يبلغ مئة دينار ، وما يلبسه الرجال والنساء ، كما قدمنا ، من عمل تنّيس ودمياط ، والقلموني[3] من كل نوع (وكل نقش والمناشف) . ومنها طراز الصعيد (من الصوف والمطارح[4] ، والشفاف ، فإنها أبهى الصوف ، والستور ، والمقاطع ، والخيم ، والأجلة[5] ، والبراقع ، وفرش الطنافس[6] ، والمياثر[7] ، وغيرها . ومنها طراز) أسيوط ، (من الأرمنى ، والبكر ، والخميسى ، واختصاصها بالقراطيس) .

---

(١) فى أغلب المراجع : توفى سنة ٣٨٧ هـ . والعبارة بين القوسين ساقطة من (ا ، ب) ، ومذكورة فى (جـ : لوحة ٨٤) ، ومنها نستنتج التاريخ الذى وضع فيه هذا الكتاب ، أو هذا الفصل على الأقل ، وهو سنة ٨٧١ هـ .

(٢) المقصور من الثياب : ثياب من نسيج أبيض رقيق من القطن (قاموس دوزى ١ : ٣٥٨) .

(٣) القلمونى : ضرب من الثياب يظهر للرائى بألوان مختلفة .

(٤) المطارح : جمع مطرح ، ومن معانيه : المفرش .

(٥) الأجلة : جمع جلال ، والجلال جمع جل ، وهو من المتاع : البسط والأكسية ونحوها .

(٦) الطنافس : جمع طنفسة ، وهى البساط ، والنمرقة فوق الرحل .

(٧) كذا فى (ا) ، وفى (جـ : لوحة ٨٤) : المياثر ، ولم نعثر لها على شرح ، ولعلها نوع من الفرش أو الأنسجة .

وبمصر نتاج الخيل والبغال والحمير . يفوق نتاج سائر البلاد، وليس فى الدنيا فرس يشبه العتيق إلا فرس مصر(١) (ولا يعرف فى الدنيا فرس يُردف(٢) إلا فرس مصر)، بسبب ارتفاع صـدره . وكانت الخلفاء ، ومن تقدمهم ، يؤثرون ركوب خيـل مصر على غيرها ، فإنها تجمع فراهة(٣) العتيق مع اللحم والشحم .

وذكر أحمد بن حمد(٤) أن الوليد بن عبد الملك بن مروان أراد أن يجرى الخيل ، فكتب إلى عامل كل بلد أن يتخير له خيار الخيل بها ، فلما اجتمعت عنده عُرضت عليه ، فمرت به خيول مصر، فرآها رقيقة(٥) العصب ، ثم تأملها ، فوجدها أيضا لينة المفاصل (والأعطاف(٦)) ، فقال : إن هذه خيل ما عندها طائل(٧) ، فقال له عمر بن عبد العزيز : ليس الخير كله إلا لهذه وعندها ، فقال : يا أبا حفص ، ما تترك تعصبك لمصر ؟ فلما أُجْرِيت جاءت خيـل مصر كلها سابقة، ما يخالطها غيرها. و (من خيل مصر) أشقر(٨) مروان ، (قلت) : هـو الذى يضرب به المثل ، (ويشبه بسَدير : فرس كسرى)، وكان لا يدخل عليه سائسه ، (ويقرب إليـه) إلا بإذنه ، يقرب إليه المِخْـلاة ، فإن حمحم دخل إليه ، و إلا وثب عليـه ، اشتراه مروان بثلاث مئة ألف درهم ، ثم صار إلى السفاح بعده ، وهَرِم وتحطم ، وكان لكرامته عليهم يحمل فى مِحَفّة(٩) عاج ، وينقل من مرج إلى مرج(١٠) . (ومنها الزعفرانى، وهو فرس مراد معروف بالجودة ، وله جلس ، وهو ليحصُب ، وله قصة مشهورة فى يوم الرهان) . وكان بمصر دور الخيل، عليها ضياع موقوفة، يبلغ مالها فى كل سنة ثلاث مئة ألف دينار، سوى

(١) فى (١) العتق .
(٢) يردف : يقبل الرديف ، وهو الراكب خلف الراكب .
(٣) الحسن والخفة والنشاط . والعتيق : الكريم النجيب .
(٤) كذا فى (ب) ، وفى (١) أحمد بن أحمد .
(٥) فى (ب) : دقيقة العصب .
(٦) جمع عِطْف ، ومن معانيه : الجانب .
(٧) القـدرة ، والفائدة والنفع .
(٨) كذا فى (جـ : لوحة ٨٥) ، وفى الأصل (١) : خيل أشقر مروان .
(٩) محفة : هودج لا قبة له . (١٠) فى (ب) من مسرج إلى مسرج .

خيل أهل الجهاد والرباط . (ولما أراد أحمد بن المدبر، عامل خراج مصر، أن يعرف الخيل المعروفة بحسن المنظر، عرض[1] خيل الشام من أرباب الضياع وأهل المدن، وكانت اثنى عشر ألفا) .

وبمصر من المعادن معدن الذهب، والفضة، والزمرد، فى جبل خلف أسوان، لا يشاركها فيه بلد .

(ومن خصائصها القمح اليوسفى، وزيت الفجل، والحلو، والحاز، يدخل فى الإدام والعلاجات) .

وبها، أى بمصر، الأبنوس الأبلق . وبها دهن البَلَسان، وهو لا ينبت إلا بمصر، (وخاصة) بعين شمس بالمطرية، وملوك النصرانية يعظمونه، وهوعندهم من أنفس الأشياء.

(وبها الأفيون الذى يحمل منه إلى الآفاق لمنافعه . وبها الأُتْرُنج الأبلق، وليس هو فى الدنيا . وبها الخوخ الزهرى الأحمر . وبها شراب العسل وهو لا يعمل إلا بها . ويشترطه الخلفاء والوزراء على عمال مصر فيما يشترطونه، ورأيته فى (شرط[2]) يحيى بن خالد البرمكى أيام الرشيد) .

(وبها السمك[3] الأبرميس، يحمل إلى الآفاق مملوحا : ويشترط على العمال أيضا . وبها البُسر البَرْنى[4] يتمر من غير أن يصير رطبا) .

وبها الشمع الذى يفضُل شمع الدنيا . وبها عسل النحل الذى يفضل، ويفوق أعسال الدنيا .

(١) فى الأصل (ا) ثم عرض، ولما لم نجد للما جواباً رجحنا أن تكون « ثم » هنا زائدة .

(٢) يحيى بن خالد البرمكى، أبو الفضل (١٢٠ – ١٩٠ هـ) ، الوزير السرى، سيد بنى برمك وأفضلهم، ومؤدب الرشيد، وأول من عنى بترجمة المجسطى، قال الرشيد بعد أن مات يحيى مسجوناً فى الرقة : مات أعقل الناس وأكملهم (ع ٩ : ١٧٥) .

(٣) السمك الأبرميس : نوع من السمك كان يعيش فى بحيرة تنيس . (ب ١ : ٨٨٦) .

(٤) البسر البرنى : تمر معروف، أصفر، مدور، وهو أجود التمر .

(وبها جبن الخيش[(١)] والأقراص، وليس هما فى الدنيا، [وبها] النيدة[(٢)]، ذكرت الحكماء أن مريم، عليها وعلى ولدها السلام، صنعت النيـدة للسيد عيسى عليه السلام حين قل لبنها، ألهمها الله تعالى عملها. وبها الجُلُبَّان[(٣)]، ويقال: إن أكثر الرهبان عمش العيون لمداومتهم أكل العـدس، فاتخذوا أكل الجلبان خوفا من ذلك. قلت: ومن أعظم خصائصها، وهو الأصل لكل ما ذكر، بحر النيل المبارك. وبها ما لم نذكره وهو مشتهر البطيخ الصيفى والعبـدلى).

وبها قصب السكر، وهو كثير فى هذا الزمان (جدا)، رخيص (فى الثمن، لا يكاد ينقطع عن ديار مصر إلا خمسة أشهر فى السنة، وهو لذيذ لا يمل من مصه). وقد نقل عن الشافعى أنه قال: لولا قصب السكر بمصر ما سكنتها، وكان يكثر من أكله.

(ومنها خيار الشنبر[(٤)]، وهـو دواء عظيم النفع، نص الأطبـاء على أنه يُسْهِل السوداء والصفراء معا، ويسهل به الحبالى النطفة، ويصلح بدهن[(٥)] اللوز).

ومنها السَّقَنْقُور[(٦)]، ومنافعه عجيبة. ومنها العرْس والنِّمس، ولها فى أكل الأفاعى فضيلة لا تنكر. ومنها حيات مصر التى يعمل منها التِّرياق[(٧)] (المجرب) المحمول إلى كل بلد (المسمى بالفاروق). و بمصر البقر الجافى (الخلق)، حتى إن العضو منه يساوى ثمن الثور فى سائر الدنيا، (ويوجد فى جوف السمين إذا ذبح سبع مئة رطل شحم وأكثر منها، ويحمل منها إلى ساحل القازم، وجُدَّة، وعدن، وساحل الصين، والهند لدهن السفن)، (وحدثنى سعد السمسار بسوق البقر) أن ثورا ذبح بمصر، فوجد على كُلْيته الواحده ثمانون رطلا شحما، وعلى الكلية

(١) جبن الخيش، وفى (ب) الخيس. (٢) النيدة: تقدم شرحها.

(٣) الجلبان: كالماش، وهو أغبر أكدر. والماش جنس نباتات من القرنيات الفراشية، له حب أخضر مدور، أصغر من الحمص.

(٤) خيار الشنبر: ضرب من الخروب، شجره مثل كبار شجر الخوخ.

(٥) فى الأصل (ا) بدهن اللون.

(٦) السقنقور: حيوان برمائى، يتوالد من السمك والتمساح، فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين، ولا يشاكل التمساح لأن ذنبه أجرد، أملس، عريض، غير مضرس كذا فى (غ ١ : ٦٦).

(٧) الترياق: دواء السموم.

الأخرى عشرون (ومئة رطل)، ووجد ببطنه خمسة قناطير شحم، فوزن جميع ما فيه من شحم ولحم، فبلغ ألف رطل. وأخبرنى أنه وجد ثورا آخر، بلغ وزنه ألفا وخمس مئة رطل.

(وبأدفو من صعيد مصر التمر الذى تقدم ذكره، وبقمولا[1] واسوان أسباط البسر منظوما كالقلادة الحمراء، وإلى جانبها صفراء. وبمصر الزرافة والكركدّن[2] وعتاق الخيل، والبقر الحبشية، مُؤبّدة للحِلاب[3]، ولا تعرف الحرث، ويحمل من حلابها جبن الخيش والأقراص والملعب يحمل منه إلى سائر البلاد. وبها حطب السنط[4] (الذى لا رماد له، ولا يعرف حطب أدوم وقودا منه ولا أجف. وذكر الجاحظ أنه من عجائب (مصر)، وأن بها منابت وغابات إذا دخلتها عساكر العرب وأهل الفساد، لم يقدر عليهم. وبها الفحم الجافى من السنط. وبها الفراريج المُزْبِلة، وهى لا تكون إلا بمصر، يباع منها فى كل يوم بخراج إقليم كبير، وهى من أقوات أهلها. وقال بعض حكماء مصر: نحن أكثر الناس فقدا وشهيدا، وعبيدا[5]، وخيلا، وبغالا، وحميرا، وبقرا).

ويجتمع بمصر ما يتفرق فى الأزمنة فى غيرها، فتجتمع فيها ثمار الشتاء مع ثمار الصيف، والرطب القديم مع الرطب الجديد، والنرجس مع الورد، وهو أعجب ما يذكر، وما يقتضيه[6] الحرّ يوجد فيها فى الحرّ، وما يقتضيه البرد (يوجد فى البرد). وذلك لاعتدال حرّها (وبردها)، لأنها من الإقليم الثالث (والرابع)؛ فهى سالمة من حرّ الأول والثانى، ومن برد السادس

---

(١) قمولا: تقدم تحديد موقعها.

(٢) فى (ا): الزرانة والكلكند، ولعلهما تحريف عما أثبتناه، وفى (جـ: لوحة ٨٧): الزرافة والكركند.

(٣) مؤبدة للحلاب: خاصة بالحلب، مقصورة عليه، وفى (جـ: لوحة ٨٧): البقر الحبسية.

(٤) كذا فى (خ ١: ٢٨) و (جـ: لوحة ٨٧)، وفى (ا): حطب السنت، ولا نظير له فى الدنيا، فلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما بقى منه رماد، وهو مع ذلك صلب الكسر، سريع الاشتعال بطىء الخمود، ويقال: إنه أبنوس غيرته بقعة مصر، فصار أحمر (خ ١: ٢٨). والسنط: شجر من الفصيلة القرنية، له سوق غلاظ أمثال شجر الجوز، يستخرج منه الصمغ، ويكثر بمصر.

(٥) فى (جـ: لوحة ٨٧): فقدا وشهدا وعيدا وفيلا.

(٦) فى (ا): يقطعه، وكذلك فى (جـ: لوحة ٨٧).

والسابع.(وأهل مصر)يأكلون صيد بحر الروم، وصيد بحر اليمن، لأن بين البحرين مسافة قريبة) . وكان العلماء يقولون : من دخل مصر ولم يستغن فلا أغناه الله،(ومصر للسّمة). وقال الرشيد : مصر موروثة[1] عن يوسف عليه السلام . (وقال المتوكل لسليمان بن وهب[2] : انظر إلى ما بين يدك ، فإن مصر سلة الخبز، وقالوا : من شرب ماء النيل بطينه ، وركب البراذين لم تنله علة ، وليس فى الدنيا نهر تجرى فيه السفن أكثر من نيل مصر ، ويحمل المركب الواحد مثل حِمل خمس مئة بعير وأكثر، وقالت الحكماء : إن مصر تغني فى الصيف عن الخيش والثلج وبطون الأرض، وفى الشتاء) (عن الحركات، ووقود المناقل والفراء، وجعل شتاؤها ربيعا، وصيفها قيظا ، كل ما تعده الملوك لغير مصر، فهى مستغنية عنه كالمُرَمّلات[3] فى الصيف ، والخيش[4] ، والثلج ، والخلاف[5] ، والكافور ، والصندل ، و[ما يتخذ] فى الطرق والأسواق فى سائر البلاد سواها التى لا يقدر ساكنوها على التصرف فى بردها ولا حرّها ، بل هى كالفصل[6] اعتدالا ، وكالعُرُوات[7] فى نيسان طيبا ، وغير محتاجة إلى استعمال المرتك[8] فى الصيف ، كفعل أهل البصرة من حكها ، ومعافاة من رمد أهل الكوفة ، وركود هواء بغداد، ومن برد الجبل كأرمينية وبلدان خراسان، والجزيرة[9] التى يقيم ساكنوها الشهرَ وأكثر لا يظهرون ، ومن لم يعرفوا به هلك . ومصر معافاة من ميازيب[10] الشام وتواتر السحب ، وفى الشتاء من الحمرة والصفرة ، والثياب الهائلة التى تنغص العيش، وتبلى الجسم ، ولا يهنأ طعام ولا شراب . وقال بعضهم : عوفيت من مشاتى الجبال ،

(١) فى (ب) موروث ، وفى (ا) مورث .
(٢) تقدمت ترجمته .
(٣) المرملات : جمع مرملة ، وهى النسج الرقيق .
(٤) فى (ا) : الخيس .
(٥) الخلاف : شجر الصفصاف ، وفى (جـ : لوحة ٨٨) : الحلاوة .
(٦) أى أن جوها يطرد على وتيرة واحدة كأنه فصل واحد .
(٧) جمع عروة ، وهى من الشجر مالا يسقط ورقه فى الشتاء .
(٨) المرتك : المردسنج ، وهو الحجر المحرق ، ويكون من سائر المعادن .
(٩) كذا فى (جـ : لوحة ٨٨) ، وفى (ا) : الشهرة لا الشهر ، والصواب الأول .
(١٠) ميازيب : جمع ميزاب ، وهو قناة أو أنبوبة يصرف بها الماء من سطح بناء أو موضع عال .

ومصايف عُمان ، وغلاء العراق ، وصواعق تهامة ، ودماميل الجزيرة ، وجرب اليمن ؛ وطواعين الشام، ولهجان[١] البحرين، وحمى خيبر، وزلزال شيراز، وعقارب نصيبين ، وعسكر مُكْرَّم[٢]) .

(وفضلت العلماء مصر على البصرة لعذوبة نيل مصر وشدة حلاوته ، وأنه يجرى على رمل ، واختلاط (ماء) البصرة بالملح، وأنه يجرى على السباخ . وفضلوها على الكوفة لأن نهرها من الفرات ، وربما جف حتى يحفر فيه الآبار ، وأن جسر الكوفة سبع سفائن ، وجسر مصر سفينتان ، نحو مئة ، بينهما جزيرة ، وهى مدينة ، ولا يكاد يُرَى) (بالكوفة نخلة إلا معوجة . وقالوا فيها كلاما محفوظا : جبلها ذهب، ونيلها عجب ، ورجالها قصب[٣]، ونساؤها لعب ، وهى لمن غلب . وقالوا فى الكوفة : أقرأ الناس، والقرآن لا يجاوز تراقيهم[٤] . وفى أهل البصرة : نعم وردن معاية[٥] وصدرن سان . وقالوا فى أهل الشام: أطوع الناس لمخلوق، وأجرؤهم على أمر لا يدرون ما هو . وقالوا فى أهل الحجاز : اجرؤهم على فتنة[٦]، وأعجزهم عنها . وقالوا فى أهل الموصل : كنيسة بين قريتين . وقالوا فى أهل واسط : (منزل) بين كتيبين[٧] . وأوردوا حديثا مسندا أن مصر، يُساق[٨] إليها (أقل الناس) أعمارا ، وغيرها من الطوال الأعمار والقصار، وإن طول الأعمار من شرف[٩] خيبر، وحوالى تهامة ، ووادى فرغانة، وقد جعل بمصر نصيب من ذلك ، بجعل طول الأعمار بمريوط ،

(١) كذا فى الأصل (ا) ، وفى (خ ١ : ٢٦) : طحال البحرين .

(٢) بلد بخوزستان .

(٣) أى طوال كالقصب .

(٤) جمع ترقوة ، والترقوتان : عظمتان فى أعلى الصدر من الكتف إلى النحر ، والمعنى : لا يمس شغاف قلوبهم ، ولا يجاوز حلوقهم .

(٥) كذا فى (ا) ، ولعلها محرفة عن : وردن معاً ، وصدرن شتى . وفى (جـ : لوحة ٨٨) : معاوية .

(٦) فى (ا) : فتنة .

(٧) كذا فى (جـ : لوحة ٨٨) ، ولعلها مصحفة عن كثيبين .

(٨) كذا فى (جـ : لوحة ٨٨) .

(٩) فى (ا) سرف ، والصواب شرف ، وهو ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح (خ ١ : ١٢٥) .

وقرى[١] الجفار، وقال : وقد ذكرنا بمصر من الفضائل ما أغنى وكفى ، ووصفنا الحكماء الذين كانوا بها ، وبها معدن الحكمة التى انتشرت فى أيدى الناس ، وليس يرى فى الدنيا بلد أهله مثل رتبة أهل مصر فى أبنيتها ونهرها وإتقان أمرها، وبالله التوفيق) .

قال : ونظرت الحكماء بمصر إلى شهور سنيها الأعجمية، فجعلوا لكل شهر منها أعمالا فلكية ورصدية لا يشرك الآخر فى شىء منها ، ورسموه على مطالع الفلك ، لا يقدر أحد أن يدعيه فى بلد سوى مصر .

فأول شهورها : توت ، كانوا لا ينصبون فيه أساسا لبناء ، ويكرهون التجارة فيه (إلى أن ينقضى منه عشرون يوما، ويكرهون انعقاد [المودات[٢]] فيه) ، وإن الخصومة فى النصف الأول منه، يحكم بالأغلب للأعلى، وفى النصف الثانى منه يحكم بالأغلب للأدنى، وفيه يبتدئ نقل الكتان، وبذر البرسيم ، وتنشق الأرض عن سائر الحبوب (بصعيد مصر ، وتستنتج الحوالى من الشجر، وفيه يلحق جمهور الأرطاب، ويكون فيه أطيب من سائر الشهور، ويكثر فيه السفرجل والعنب الشتوى، ويرفع الخل والأشربة من الشمس، ويكبر صغار السمك، وتسمن كباره، وفى أول يوم منه النيروز المصرى يغتسل فيه بالماء البارد ، ثم لا يعود إلى إقبال الصيف ، وفيه يبتدأ بأطعمة الشتاء : الهرائس[٣] وما شاكلها ، وكانوا يعملون فيه شراب البحر، وهو ماء وعسل، ويقصدون به العلاج لمن به وجع الكلى والمثانة) .

بابه : كانت الحكماء يحمدون التجارة فيه فى الثلث الأول منه ، وإن السلع تبطئ فى يد أربابها فى الثلثين الباقيين ، ولا يحمدون انعقاد المودات فيه ، وفى النصف الأول) يختارون ابتداء الأبنية، (ويحمدونه فى النصف الأخير، ويحمدون فيه تحريك المياه واحتراق الأخلاط الردية، ومعالجة الشرور) ، ويحمدون التزويج فيه ، وإذا بدت الخصومة فيه طالت ، (ويبذر فيه البرسيم أيضا ، والحبوب التى تشاكله ، وفى آخره تشق الأرض فى الصعيد

(١) تقدم معنى الجفار وتحديد موقعها .
(٢) فى (أ ، ج : لوحة ٨٩) : المواد ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) جمع هريسة ، وهى لحم يدق مع البر ، ثم يطبخ ويؤكل .

للقمح والشعير، ويسمونه البدرى)، وفيه يحصد الأرز، (ويكثر صغار السمك ، ويقل كباره) . (ويسمن فيه البنى[(١)] والأبرموس)، ويكثر فيه حلاوة الرمان، (ويبتدئ فيه طلوع الورد) ، ويضع الضأن والمعز والبقر، (ولا تطيب لحومها) .

هتور: كانت الحكماء تنصب فيه أساسات البناء، ويعقدون الرايات[(٢)]، (ويبنون المودات ، وذلك فى ثلثيه الأولين ، ويكرهون ذلك فى الثلث الأخير ، ويرون فيه بالترويج)، ويكرهون فيه دخول الحمام، (وتسليم[(٣)] الأحداث إلى صناعة الكتاب ، أو إلى الأشياء الدقيقة) ، ويزرعون القمح فى نصفه الأخير (وإلى نصف الشهر الذى يليه، وفيه يطيب الحملان) ، ويكثر فيه الورد (والنرجس)، ويطلع فيه البنفسج (والأزهار وتكثر البقول، وجميع ما يسقى كالباذنجان وما شاكله، ويكثر العنب بقوص) .

كيهك : كانوا يكثرون فيه استعمال الحيل، وحفظ الأسرار، والأعمال الغامضة ، ويكرهون التزويج، (وسوء[(٤)] طاعة العبيد ومن يستخدم، ويكرهون فيه أيضا دخول الحمام ، والاستفراغ، ومطالبة الإنسان لمن فوقه أصلا فيه)، وفيه تطلع الباقلاء[(٥)] العباسى، وتزرع الحلبة والترمس، (وأكثر الحبوب) .

طوبة : كانت الحكماء (بمصر) لا يسافرون فيه، ويرون أنه غير محمود، (وأن الأرواح فيه يبس[(٦)] ، وأن العيش[(٧)] (بين الناس يقل) ، وزرع[(٨)] القمح والشعير فيه يعتبر، لأنه كالنابت

---

(١) كذا فى (جـ : لوحة ٩٠) .

(٢) أى يميزون كتائب الجيش ، ويبينون مقارها بتوزيع الرايات عليها . وفى (جـ : لوحة ٩٠) : وينشئون المودات .

(٣) فى (ا ، جـ : لوحة ٩٠) : واستلام .

(٤) كذا فى (جـ : لوحة ٩١) ، وفى (ا) : وهو طاعة العبيد .

(٥) الباقلاء : الفـــول .

(٦) يبس : يابسة كناية عن الضيق والانقباض ، وفى (جـ : لوحة ٩١) تئيس ، ولعلها محرفة عن تعيش .

(٧) بياض فى الأصل (ا) بعد وأن العيش ، وفى (جـ : لوحة ٩١) بين الناس يقل .

(٨) فى الأصل (ا) : « وفى زرع القمح والشعير فيه يعتبر » ففي هنا مقحمة .

وتطيب فيه البلاقلاء الأخضر) ، وفيه يغرس النخل ، وفيه يستصرف[(١)] الخيل والحمير والبقر ، وفيه يبتدأ شـق الأرض للقصب والمقاثئ[(٢)] ([وفيه يتناهى ماء النيل فى صفائه ، ويخزن] ، ولا يتغير فى أوانيه[(٣)] [ولو طال لبثه فيها] ، ويدخر طول السنة) ، و يطيب فيه لحم البنى من السمك ، (وفيه يشفع[(٤)] بالربيع ، لأنه يغسل أجواف الخيل والدواب كالدواء لها) انتهى .

أَمْشِير : كانت الحكماء تُكِبُّ فيه على طلب العلم والاستفادة ، ويختارون فيه مخالطة ذوى الفهم والمعرفة ، (وفيـه تكثر جنايات العبيد على مواليهم[(٥)]) ، ويحمدون فيه دخول الحمـام ، (و يصلح فيه الكيزان وسائر الخزف للآتى سائر السنة ، ويُبرِّد فيه أكثر ممـا يعمل فى غيره) ، وفيه يغرس الشجر ، وتُقَلَّم الكروم ، (وتستصرف أيضا الخيل والحمير والبقر) ، و يعصر القصب .

بَرَمْهات : فيه يدخل فصل الربيع ، وهو صالح للشركة ، (ولا يكره فيه ركوب الأهوال والمخاطرة فى طلب المعـالى) ، و يعرفون فيه سلامة العاقبـة ، (و يختارون فيه الاضطراب لطلب المعاش ، والتصرف ، والشغل ، واستفراغ الأخلاط محمود فيـه ، ومقاربة الشباب فيه أصلح من مقاربة الشيوخ) ، وفيه يورق الشجر ، (و يعقد فيـه أكثر ثمارها) ، وفيـه يزرع السمسم ، (و ينتف الكتّان ،) و يطيب اللبن الرائب وغيره .

بَرْموده : كانت الحكماء تعالج فيه جميـع العِلل ، ويختارون فيـه الاجتماع على اللذات ، (والمظافرة[(٦)] ، والمعاونة على الأمور ، والإصلاح بين المهاجرين) ، و يحمدون فيـه الحِيلة ،

(١) فى (ب) تصرف ، ولعل المراد أنها تسافد إناثها للنتاج .

(٢) جمع مقثأة ، وهى مزرعة القثاء والخيار ونحو هما .

(٣) فى العبارة سقط ، وقد استعنا فى تكلتها بما جاء فى المقريزى (خ ١ : ٢٧١) ، وفى الأصل (ا) أوانئه ، وصوابها أوانيه جمع آنية ، وهى جمع إناء . وفى (جـ : لوحة ٩١) : وفيه يروق الماء ويحلو ولا يتغير ... الخ .

(٤) يشفع بالربيع : يقرن شق الأرض للقصب والمقائئ ببذر حبوب البرسيم . وفى (جـ: لوحة ٩١) ينتفع بالربيع .

(٥) مواليهم : أسيادهم . وفى (جـ : لوحة ٩١) : وسائر الخزف للماء .

(٦) المظافرة : المعـاونة .

والغيلة[١]، وافتضاض الأبكار، ويقولون : إن جميع أفعال الخير محمودة فيه، (مردودة إلى حميد العاقبة)، وفيه يبتدأ قطف العسل، (ويحصد الباقلاء، والجلبان، وحب الفجل، وينفض بزر الكتّان، وينق من عيدانه) ، وتطبخ النصارى نيدة العسل، ويسوئون فيه الظنون)، ويكثرفيه الورد الأحمر .

بَشَنْس : كانت الحكماء ينهون فيه عن الاسترسال[٢] ، (ويسوئون فيه الظنون) ، ويستعملون فيه المكايد والحيل، ويحمدون مخالطة الشيوخ (على مخالطة الشباب ، وفيه تكثر الخصومات وتبطئ ، وتكثر فيه أشياء منها :) التفاح القاسمى ، والأحمر (السردوى[٣]) ، والبطيخ العبدلى[٤] ، والموز ، والرطب ، والمشمش ، (والجميز ، وفيه يأتى الورد الأحمر والأبيض، وفى النصف الأول منه تبذر الكزبرة، وفيه يقع حصاد القمح والشعير، وفى آخره يكثر تفاح الشهوة ، ويعمل شراب التفاح ، ويستخرج ماؤه) .

بئونة : كانت الحكماء فيه يكرهون الذلة والتواضع ، ويعالجون فيه من الصرع[٥] ، وكانوا يعلقون عليه شيئا من عظام السمكة الرعادة، فيكون ذلك أمانا (من الأرواح)،وفيه تبتدئ زيادة النيل ، وفيه يكثر الحِصرِم[٦] ، (والتين البونى، والخوخ الزهرى، والمشعر ، والكمثرى البوهى والحوفى ، والإجاص[٧] ، والتوت) ، وفيه يطلع البلح ، (ويقطف جمهور العسل ، ويكون الغالب فيه قلة الرياح ، وكثرة الغيم) ، والناس فيه أطيب عيشا من غيره .

أبيب : (وفيه (شعر) :

جرى دمعى على فرقة حبيبى * بكسرى الماء فى أوّل أبيب

---

(١) الغيلة : أن ترضع المرأة ولدها وهى حامل ، والغيلة : المرأة السمينة العظيمة .

(٢) الاسترسال : الاطمئنان . (٣) فى (خ ١ : ٢٧٢) : التفاح المسكى .

(٤) يقال أول ما عرف بمصر عندما قدم إليها عبد الله بن طاهر بعد المئتين من سنى الهجرة ، فنسب إليه .

(٥) الصرع : علة فى الجهاز العصبى تصحبها غيبوبة وتشنج فى العضلات .

(٦) الحصرم : الثمر قبل النضج .

(٧) الإجاص : شجر ثمره حلو لذيذ ، يطلق فى سورية وفلسطين وسيناء على الكمثرى وشجرها ، وكان يطلق فى مصر على البرقوق .

سـألت الله يلطف بالذى بى * وجدت الله أرحم[(١)] من أبى بى)

كانت الحكماء يكثرون فيـه الخير ، و يكفون أهـل الضعف ، و يكثرون الصدقة ، (ويرون المستقرض فيـه يسهل الله له قضاء دينـه ، ويذمون الاستفراغ بالعـلاقات[(٢)]) ، وفيه يكثر العنب و يجـود التين ، و يتغير فيـه البطيخ ، (وتقل حلاوته ، وتكثر الكمثرى السكرية ، وفيه يطيب البلح ، وتقطف بقايا العسل ، ويجـوز قصارة الدنيق[(٣)]) ، وتقوى زيادة النيل .

مسرى : كانت الحكماء تحمـد الأسفار فيـه ، وتحمد فيـه صحبة السلطان ، ويتعمدون الإحسان إلى أتباعهم ، (و يكرهون فيه تحريك الضغائن) ، وفى النصف الأول منه تعصر الكروم للخـل وغيره ، (وفيه يعمل العقيد[(٤)] ، وفيه يجـرى المـاء ، وفيه يطلع البسر البرنى ، ويطيب الموز) ، ويتغير فيـه طعم الفاكهة لغلبة المـاء على أراضيها أيام الشتاء ، (وكانوا يغرسون فيه الكروم وأكثر الأشجار ، ويستعملون غريمة عطارد[(٥)] فى أكثر مايستعملونه) .

انتهى والله أعلم .

قال : وأخبرنا العباس بن أحمد بن عمر بن محمد أن بخت نصر قال لابنه : ماردتك إلى سكنى مصر إلا لخصال فيها ، لا توجد فى غيرها ، وهى : ماء طوبة ، وخريف[(٦)] أمشير ولبن برمهات ، وورد برموده ، ونبق بشنس ، وتين بثونة ، وعسل أبيب ، وعنب مسرى ، ورطب توت ، ورمان بابه ، وموز هاتور ، وسمك كيهك .

---

(١) فى الأصل (ا) يرحم . وفى (جـ : لوحة ٩٢) على خلى حبيبى ، وفى أيام ابيبى ، ويلطف بى قريباً ، وألطف من أبى بى .

(٢) الاستفراغ : تخفيف الدم بالحجامة أو نحوها ، والعلاقات جمع علاقة ، وهى دويبة فى الماء تمتص الدم ، وفى (جـ : لوحة ٩٣) بالعلاجات .

(٣) كذا فى الأصل (ا) ، وفى (جـ : لوحة ٩٣) وتجود قصارة الايبقى .

(٤) العقيد : الغليظ .

(٥) غريمة عطارد: يظهرأنه نوع من العقاقير

(٦) كذا فى (جـ : لوحة ٩٣) ، وفى الأصل (ا) خروف أمشير .

قال بعض العلماء: وليس فى الدنيا بلد يستغنى بنفسه عن سائر البلاد إلا مصر؛ ولو ضرب بينها و بين الناس سور من نحاس، وفرج منه فرجة لج أهلها إلى مكة فقط، وما بالوا(١) أبدا سواها.

ثم أفرد العلامة الحسن بن إبراهيم المعروف بابن زولاق بابا فى المفاخرة (بينها و بين بغداد بالخصوص ثم قال:

هذا باب أذكر فيه الموازنة بين مصر وبغداد)، من غير طعن على إحداهما، (ولا ذكر عيب)، وإنما أريد تبيين فضل مصر (لكثرة طعن البغداديين عليها، كقولهم: أرض(٢) مصر على بغداد [عيال]، فأول ما نبدأ [به] أن مصر أنشئت قبل الطوفان، وهى الطوفان على الهرمين، (فأول حجر أعيد بعد الطوفان مصر)، واختارها نوح لولده ودعالهم (ولها).

وأما بغداد فإنها نشأت سنة خمس وأربعين ومئة، أنشأها أبو جعفر المنصور العباسى.

ومن ذلك أن نيل مصر، وحلاوته، ومنافعه، وما يزرع عليه، (ويوفر من الأموال) لا يشبهه نهر فى الدنيا، (كذلك(٣) فإن ماءه يزيد فى قوة الرجال، حكى عن الإمام الشافعى رحمة الله تعالى عليه أنه قال: دخلت مصر وأنا كالخصى، فرزقت بها الولد، وقال الحكماء فى الدجلة: إنها تقطع صهيل الخيل، وتذهب بنشاطها، وإنها تذهب بشهوة الرجال، ومن لم يتدسم قبل شرب مائها أصابه يبس فى الجلد، والعرب، إذا نزلت على الدجلة، لا تسق [خيلها] من مائها، وتسقيها من الآبار، ولا يربطون عليها، ويخافون من مائها الصدام(٤)).

ومنها أن مصر ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز فى ثمانية وعشرين موضعا، تقدم ذكرها فى هذا الكتاب، وذكرها رسول الله صلى عليه وسلم فى عشرة أحاديث، منها أن أهل مصر فى رباط إلى يوم القيامة، (وذكر العلماء أنها كذلك).

(١) فى (ا) «نالوا» بدلا من بالوا.
(٢) كذا فى (ز).
(٣) «كذلك فإن ماءه» كانت فى الأصل (ا) «لذلك أن ماءه». وكذلك فى (ج: لوحة ٩٤).
(٤) الصدام: داء فى رءوس الدواب.

وأما بغداد فقد ذكر الفضيل بن عياض[1] (الزاهد) ، قال : ليس فى الدنيا أعظم جرما من مؤذنى بغداد ، لأنهم يدعون الناس إلى الصلاة فى أرض غَصْب[2] ، (واشتريت له شاة من رجل من أهل بغداد ، فما استحل ابنه على بن فضيل أن يشرب من لبنها ، فقال له أبوه : يابنى إخبرنى ، فقال : قد نكرتها) .

وقال عبد الله بن إدريس[3] (الفقيه المتعبد) : بغداد كالموصل فى الحسن ، (قلت) : وقال بشر الحافى[4] : بغداد ضيقة على المتقين ، ماينبغى لمؤمن أن يقيم بها ، قيل له : فهذا أحمد بن حنبل ، فما تقول فيه ؟ قال : دفعتنا الضرورة إلى المقام ، كما دفعت الضرورة إلى أكل الميتة . وقال ابن المبارك (شعر) :

الزم الدُّن للتعبد دأبا * ليس بغداد مسكن الزهاد
إن بغداد للملوك محل * ومناخ للقارئ[5] الصادى

(انتهى . وكان الحسن بن صالح[6] الفقيه المتعبد الزاهد رأس علماء الشيعة إذا ذهب الرجل إلى بغداد ورجع إلى الكوفة لم يكلمه) .

---

(١) (فى ا ، ب) : الفضل ، وفى (جـ : لوحة ٩٤) الفاضل بن عياض .

وهو فضيل بن عياض بن مسعود ... أبو على الخراسانى الزاهد (المتوفى سنة ١٨٧ هـ) ، شيخ الحرم وأحد أئمة الهدى والسنة . قال النسائى : ثقة مأمون (خز : ٣١٠) .

(٢) غصب : مغصوبة .

(٣) هو عبد الله بن إدريس الأودى الكوفى (١٢٠ - ١٩٢ هـ) ، من أعلام الحفاظ ، وكان حجة فيما يرويه ، وكان مذهبه فى الفتيا مذهب أهل المدينة (ع ٤ : ١٩٦) .

(٤) بشر الحافى : هو بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزى أبو نصر (١٥٠-٢٢٧ هـ) ، من ثقات رجال الحديث من أهل مرو ، توفى ببغداد (ع ٢ : ٢٦) .

(٥) القارئ الصادى : المتعطش للقراءة .

(٦) الحسن بن صالح بن صالح بن مسلم بن حيان ، ولقبه حى بن شفى الهمدانى الثورى أبو عبد الله (المتوفى سنة ١٦٩ هـ) الفقيه المتعبد الزاهد . قال ابن معين والنسائى : ثقة . وقال أبو زرعة : اجتمع فيه حفظ وإتقان وفقه وعبادة . (خز : ٧٨) .

وكان سفيان[١] الثورى إذا بات بها تصدق بدينار، (وكان ابن المبارك إذا بات تصدق بصدقة) . وقال بعض العلماء : عجبت لمن يدعى الورع كيف يسكن بغداد ؟

ومنها كون الخلفاء ببغداد ، فقد كانت بالمدينة ، ثم صارت بالشام ثم صارت بالأنبار، ثم صارت ببغداد ، ثم صارت بسرمن[٢] رأى ، ثم عادت إلى بغداد .

قلت : وقد (صارت) الإمامة والخلافة بمصر إلى هذا الوقت .

ومنها اعتدال هواء مصر فى حرها وبردها ، فإنهما لا يقطعان أحدا عن التصرف لحاجته كما يقطع حر بغداد وبردها، يقطعان عن التصرف، حتى إنهم يكونون فى بطون الأرض فى الصيف، وتكون الحراس فى بعض المواضع نهارا . وقدم رجل من أهل بغداد إلى مصر، فقيل له : ما أقدمك ؟ فقال كثرة الصياح كل ليلة : ياغافلين الصلاة الصلاة، اذكروا الله .

ومنها الأقوات والميرة التى لا قوام لأحد فى بلد إلا بها ، فإن مصر تمير جميع الساكنين بها (وفى أعمالها) ، وتمير الحرمين الشريفين والوافدين إليهما من سائر الأقطار، لا يبقى بلد إلا ويدخله من طعام مصر (خلا ما يمتاره الحجيج) ، وتمير الشام وغيرها إذا وقع الغلاء بالشام أو ببغداد ، وهما لا تميران نفسيهما فضلا عن غيرهما ، لأن طعام بغداد، (وأقوات ساكنيها) من الموصل ، (وأعمالها ، وأعمال الفرات، وديار مضر، وديار ربيعة، وبغداد تمير نفسها أربعة أشهر ، وتميرها واسط[٣] أربعة أشهر ، وتميرها الموصل أربعة أشهر) . وكذلك البصرة لا تمير نفسها (وإنما تميرها واسط والأهواز[٤]) ، ولم يزل[٥] الغلاء مجحفا[٦] بأهل

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق ... الثورى ، أبو عبد الله الكوفى (٧٧ - ١٦١ هـ) قال الخطيب : كان الثورى إماماً من أئمة المسلمين ، وعلماً من أعلام الدين ، مجمعاً على إمامته مع الإتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع . (خز : ١٤٥) .

(٢) سر من رأى أو سامراء : مدينة كانت بين بغداد وتكريت ، استحدثها المعتصم على شرق دجلة ، وقد خربت (ب ٣ : ١٤ ، ٨٢) .

(٣) واسط : مدينة كانت بين البصرة والكوفة ، بينها وبين كل منهما ٥٠ فرسخاً (١٥٠ ميلا) ، وكان قد عمرها الحجاج (ب ١ : ٨٨١) .

(٤) كان اسمها فى أيام الفرس خوزستان . والأهواز اسم لكورة بأسرها ، أما ما يسميه العامة الآن بالأهواز فإنما هو سوقها ، وهى بين البصرة وفارس (ب ١ : ٤١) .

(٥) ولم يترك فى (١) . (٦) مجحفا : مشتدا فى الإضرار .

بغداد إلى اليوم، وكان بمصر نحو ست مرات غلاء آخرها سنة ست، وسبع ، وثمان وخمسين، ولم يبع فيه دار بخمسين رغيفا ، ولا بأكلة ، ولا بأرطال تمر) .

(ومنها ما يعمل بمصر من الأثواب الديبــق والشرب والقصبي ، وليس فى الدنيــا بلد يبلغ الثوب الذى يعمل فيه مئتى دينار وأكثر ، وليس فيــه ذهب إلا بمصر : فالإزار للمرأة زنته مرارا ذهب، وتبلغ العمامة الدنيق مئة دينار . واما بغداد فيعمل فيها القبالى والصمت، ولا يخلو من غش ، وأفضله ما عمل بخراسان وإصبهان، وقطن مرو خير من قطن بغداد ، وأكثر ما يبلغ الثوب الزهيرى ، وهو أفضل ما يُعمل من بغداد ، أربعين دينارا وأقل) .

(ومنها(١) الفواكه والثمار والأرطاب والأعنــاب ، فلبغداد الكمثرى الحسينى ، وبمصر البوهى ، وبها العنب الرازقى ، وبمصر اليربوطى(٢) ، وبها السكرى ، وبمصر المدوّر ، وبهــا الرطب البرنى ، وهــو بمصر كثير، وببغداد الرطب المسكر، وهو بمصر فى حى شطّنوف ، وبها الهيلانة(٣) ، وبمصر الصحانى(٤) ، وبأسوان ألوان بغــداد كلها ، وألوان الكوفة ، وألوان البصرة ، وبمصر اجتماع الأضداد من الفواكه والمشمومات تكون فى وقت واحد . ومما لا يختلف فيه أن خروف مصر أطيب وألذ من خروف بغداد ، والجدى بها أسمن من جدى بغداد ، والأوز بمصر أطيب من أوز بغــداد ، وربمــا بلغت زنة الأوزة أربعين رطلا) ، (وهى معامل الفرّوج ، الفروج الهندى ببغــداد يزن عشرين رطلا ، ويزن بمصر خمسة وعشرين رطلا) .

(ومنها سعتها وبعد أقطارها ، قال محمد بن على(٥) المــاردانى : قدرت بغداد ، فوجدتها مثل بنى وائل إلى شطنوف ، وهــذا وإن كان كثيرا ، فإن مصر لو بســطت طبقاتها حتى

(١) ما بين القوسين ساقط من (ا ، ب) ، ومذكور فى (جـ : لوحة ٩٦) .

(٢) اليربوطى : نوع من العنب .

(٣) الميلانة : ضرب من التمر ، وفى (جـ : لوحة ٩٦) : المليانا .

(٤) الصحانى فى (ا) ، وفى (نت : ص ى ح) و (جـ : لوحة ٩٦) : الصيحانى ، وهو ضرب من تمر المدينة أسود ، صلب الممضغة .

(٥) هو أبو بكر محمد بن على بن محمد بن أحمد الماردانى (٢٥٨ – ٣٤٥ هـ) خلف أباه أيام لنظره فى أمور أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، ولما قتل أبوه استوزره هارون بن خمارويه (خ ٢ : ١٥٥) و (سح ١ : ١٥٦) .

تكون طبقة طبقة لتجاوزت هذا المقدار بكثير . ووجدت فى الكتاب الذى عمل[1] للمعضد ان ببغداد مئة ألف حمام ، وأربعة وعشرين ألف حمام ، فذكرت ذلك لأبى الفرج أحمد ابن الحسن المنجم ، فقال : قد قرأته ، وجمعت كل حمام عشرين ذراعا فى عشرين ذراعا ، وضربت ذلك ، فوجدت بغداد كلها حمامات ، ثم طلبت بغداد ، فلم أجدها) .

وإذا ذكرت من أخرجته مصر من الفقهاء والمؤلفين للكتب ، وكذا من أخرجت بغداد لضاق هذا المجموع ، فاستغنيت عن ذكرهم هنا . والذى قصدت فى هذا الكتاب ذكر فضل البلدين فى العلم والعلماء والخيرات ، وما اختصت به إحداهما عن الأخرى فى الجد دون الهزل .

والله أعلم .

(١) فى (زو) : ووجدت فى الكتاب الذى عمله المعتضد أن ببغداد مئة ألف حمام ، وكذلك فى (ج : لوحة ٩٦) .

فصل[1] فى ذكر عجائب مصر وغرائبها

قد قدمنا أنه ملك مصر سبعة من الكهنة ، وكانت لهم الأعمال العجيبة .

(وأول من عمل[2] مقياسا لزيادة النيل) : الكاهن الأول ، واسمه صبيلم ، عمل بركة من نحاس عليها عقابان ، ذكر وأنثى ، وفيهما قليل من الماء فإذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة ، وتكلموا بكلام ، فيصفر إحدى العقابين فإذا كان[3] الذكر كان الماء عاليا ، وإن كان أنثى كان[4] ناقصا .

الكاهن الثانى اسمه أعناس ، ومن أعماله العجيبة أنه عمل ميزانا فى هيكل الشمس ، وكتب على الكفة الأولى حقا ، وعلى الأخرى باطلا ، وعمل تحتها فصوصا ، فإذا أحضر الظالم والمظلوم[5] أخذ [كل منهما] فصين [وكتب] عليهما ما يريد ، وجعل كل فص منهما فى كفة ، فتثقل كفة المظلوم ، وترتفع كفة الظالم .

الكاهن الثالث ، عمل مرآة من المعادن السبعة ، فينظر فيها إلى الأقاليم السبعة ، فيعرف ما أخصب منها وما أجدب ، وما[6] أحدث فيها من الحوادث .

وعمل فى وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كأنها ترضعه ، فأى امرأة أصابها وجع فى جسمها مسحته فى جسد تلك المرأة فتبرأ .

الكاهن الرابع ، عمل شجرة لها أغصان حديد بخطاطيف إذا اقترب[7] منها ظالم اختطفته

---

(١) عقدت (ا) فصلا خاصاً فى « ذكر عجائب مصر وغرائبها » (لوحة ٦٦ حتى لوحة ١٨٢) ، وذكرتها (ب) فى فصل « من ولد بمصر » (من ورقة ٣١ حتى ورقة ٤٨) .

(٢) المعروف أن يوسف عليه السلام أول من قاس النيل بمصر ، فقد وضع مقياساً بمنف (خ ١ : ٥٧) ، غير أن المقريزى يذكر فى موضع آخر أن اسم هذا الكاهن خصليم ، وأنه أول من عمل مقياساً لزيادة النيل ... وفى وسطه بركة صغيرة من نحاس (خ ١ : ١٣١) . وفى (ج : لوحة ٩٧) : اسمه صبيلم

(٣) فى (ب) فإن .

(٤) فى (ب) الأنثى .

(٥) ما بين القوسين المربعين زيادة يقتضيها السياق .

(٦) وما حدث فى (ب) .

(٧) فى كل من الأصلين (ا ، ب) تقرب .

تلك الخطاطيف فلا تفلته حتى يقر بظلمه، وعمل صنما من كذان[(١)] أسود ، وسماه عبد زحل، يتحاكمون إليـه ، فمن زاغ عن الحق ثبت فى مكانه حتى ينصف من نفسـه ، ولو أقام سبع سـنين .

الكاهن الخامس : عمل شجرة من نحاس، فكل وحش وصل إليها لا يستطيع الحركة حتى يؤخذ ، فشبع الناس فى أيامه من لحوم الوحوش ، وعمـل على باب المدينة صنمين عن يمين البـاب و يساره[(٢)] ، فإذا دخل رجل من أهل الخـير ضحك الذى عن يمينه، أو من أهل الشر بكى الذى عن يساره .

الكاهن السادس : واسمه قولسن[(٣)]، صنع درهما إذا ابتاع صاحبه به شيئا اشترط أن يزن له بزنته من النـوع الذى يشتريه ، فإذا وضـع فى الميزان ووضع فى مقابلته من كل ما وجد من ذلك النوع لم يعد له ، ثم يعـود لصاحبه ، ووجد هـذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أميـة .

الكاهن السابع : كان[(٤)] يعمـل أعمالا عظيمة[(٥)] ، من جملتها أنه كان يجلس فى السحاب فى صورة إنسان عظيم ، فأقام مـدة : ثم غاب عنهـم ، وأقاموا بلا ملك إلى أن رأوه عند صورة الشمس ، وهى فى الحمل[(٦)] ، فأعلمهم أنه لن يعـود[(٧)] إليهم (بعـدها) وأنهم يملّكون فلانا بعده .

وقال الجاحظ وغيره : عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة : منها بمصر عشرون ، وعشر بسائر البلاد ، وهى : جامع دمشق ، وكنيسة الرها[(٨)] ، وقنطرة سنجر[(٩)] ، وقصر غمدان[(١٠)] ، وكنيسة[(١١)]

(١) كذان : حجارة رخوة كالمدر (الطين) .
(٢) وعن يساره فى (ب) .
(٣) قوليس فى (ب) .
(٤) فى (ب) أنه كان يعمل .
(٥) فى (ب) عجيبة .
(٦) فى كل من الأصلين (أ ، ب) : فى العمل ، والصحيح فى الحمل .
(٧) فى (ا ، ب) لم يعد ، والصواب ما أثبتناه .
(٨) فى (ا ، ب) : الرهبا ، والصواب الرها كما فى (خ ١ : ٣١) .
(٩) فى (ا) صيحة أو ميحة ، وفى (ب) صنجة ، والصواب سنجر كما فى (خ ١ : ٣١) .
(١٠) قصر غمدان : أحد قصور اليمن المشهورة بناه يشرح .
(١١) فى (ب) كنيسة مريم ، وفى (أ) ، (خ ١ : ٣١) كنيسة رومية .

رومية، وصنم الزيتون بصقلية[(١)] ، وإيوان كسرى بالمدائن ، وبيت الريح بتدمر ، والأحجار الثلاثة ببعلبك[(٢)] ، ذكر أنهما بيت المشترى والزُّهَرة ، وأنه كان لكل كوكب من الكواكب السبعة بيت بها فتهدمت ، والخَوَرنَق[(٣)] ، والسدِير بالحِيرة ، وكنيسة بيت لحم بالقدس . والكلام على هذه لا تسعه[(٤)] أوراق (كثيرة) .

وأما عجائب مصر :

فالأولى : كنيسة الأُسقف بمنف ، وقد تقدم ذكرها .

الثانية : مدينة عين شمس ، قال الكندى : هى هيكل الشمس ، بها قدت[(٥)] زَلِيخا على يوسف عليه السلام القيص .

وبها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا [من] بنائهما[(٦)] ، وهما محمولان على وجه الأرض بغير أساس طولها نحو السماء[(٧)] خمسون ذراعا ، فيهما صورة إنسان على دابة ، وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس ، فإذا جرى[(٨)] النيل محا وقطر الماء، وهما رصد[(٩)] لا تجاوزهما الشمس فى الانتهاء، فإذا دخلت[(١٠)] أول دقيقه من الجدى ، وهو اقصر يوم فى السنة، انتهت إلى العمود الشمالى ، فطلعت على قبة رأسه ، ثم تطرد بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة ، ويرشح من رأسهما ما يجرى نحو أسفلهما ، فينبت العوسج[(١١)] وغيره .

---

(١) فى (ا) بصقيلة ، وفى (ب) بصقلية ، وفى (جـ : لوحة ٩٩) بصلقبة .

(٢) بعلبك مكتوبة ببعل بك فى (أ) ، ومتصلة فى (ب) .

(٣) فى (أ) : « والحريف والسرير بالجيزة » ، وفى (ب) : « والخورنق » ، وفى (خ ١ : ٣١) « والخورنق والسدير بالحيرة » . والخورنق : قصر بالعراق للنعمان الأكبر ، ومن معانيه : المجلس الذى يأكل الملك فيه ويشرب . والسدير : نهر بناحية الحيرة .

(٤) لا تسعه أوراق فى (ا) .

(٥) قد الثوب : شقه طولا .

(٦) فى (ب) : ولا عن بناهما .

(٧) فى (خ ١ : ٣١) طولهما فى السماء نحو من خمسين ذراعاً .

(٨) فإذا جاء النيل قطر من رأسهما ماء (خ ١ : ٣١) .

(٩) الرصد : اسم لموضع تعين فيه حركات الكواكب .

(١٠) فإذا جلت الشمس دقيقة من الجدى ... انتهت إلى الجنوبى منهما (خ ١ : ٣١) . والجدى : أحد أبراج السماء .

(١١) العوسج : نوع من شجر الشوك ، له ثمر مدور كأنه خرز العقيق .

وقال شيخنا المقريزى فى كتابه «السلوك» : فى رابع[1] شهر رمضان من سنة ست وخمسين وست مئة سقطت إحدى هاتين المسلتين فوجد فيها نحو المئتى قنطار نحاس، وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينـار . ومن عجائبها أنها خربت فى زمن الفتح ، و إلى الآن تحمل حجارتها إلى كل البلاد بمصر ما فنيت . وبها يزرع البلسان[2] ويخرج دهنـه للنفط[3] ونحوه ويجرى منه المـاء وليس هو فى بلد .

الثالثة : مولد ذى القرنين . وبها يقطع الرخام الأبيض والأبلق[4] (وغلب عليه السحر) .

الرابعة : البرابى[5] بإخميم ، وأنصنا[6] وقوص وأعمالها ، (وبوصير وسمنود) ، وفيهـا الصور أمثال الفرسان والرجال ومعهم السلاح ، وفيها صور السفن الصغار والكبار، وكان لا يتحرك أحد يريد مصر إلا ظهر (ذلك) فى البرابى .

الخامسة : حائط العجوز دلوكة ، بنته حين ملكت مصر لتحصنها (به من الأعـداء) وهو يحيط بمصر وأعمالهـا شرقا وغربا من حد رفح إلى أسـوان إلى إفريقية إلى الواحات إلى بلد النوبة . وكان على كل ميـل منه حرس فى الليل يتبعه حرس ، وهكذا فى النهـار ، ويوقد فيه وقود لا تخبو ناره (وكانت البرابى من حصون مصر، ولم يكن (بق) من يحسن عملها ، ولا كان إلا دلوكة العجوز وولديها) .

السادسة : بربا سمنود وما فيه من التماثيل والصور وأمثال قوم قد ملكوا مصر، وكم بقى، حتى ذكر بعض العلماء أنه رأى فيها قوما عليهم الشاشات[7] وبأيديهم الحراب، وفيه مكتوب : هؤلاء يملكون مصر ، وعن المـأمون العدل[8] قال : رأيت ببربا سمنود صـورة عليها درقة[9] فيها

(١) فى (جـ : لوحة ٩٩) : فى رابع عشر .
(٢) البلسان : شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد ، يستخرج من بعض أنواعه دهن عطر الرائحة .
(٣) النفط : مزيج يحصل عليه من تقطير زيت البترول الخام أو قطران الفحم الحجرى .
(٤) الذى فيه سواد وبياض . (٥) تقدم الكلام عليها . (٦) تقدم الكلام عليهما
(٧) الشاش : نسيج رقيق من القطن ، تضمد به الجروح ونحوها ، ويستعمل أيضاً لفافة العمامة .
(٨) « أنه رأى » فى (ب) بدلا من « قال : رأيت » .
(٩) ترس من جلد ليس فيـه خشب ولا عصب ، والعصب : الذى تعمل منه الأوتار . وفى (صبح ٣ : ٣٢٧) أن بربا سمنود كانت بظاهر سمنود من الأعمال الغربية بالوجه البحرى .

كتابة لا أعرفها ، فنسـختها فى ورقة ، فما كنت أستقبل بهـا أحدا إلا ولى هاربا .

السابعة : بربا دندرة بصعيد مصر ، فيـه عدد (أيام) السنة كُوًى (١) ، تدخل الشمس فى كل يوم كَوّة ولا ترجع إليها إلى مثله فى قابل .

الثامنة : منارة إسكندرية ، طولها مئتا ذراع وثمانون ذراعا ، وكان لها مرآة ترى فيها كل من يخرج من القسطنطينية .

التاسعة : بها عمود الإعياء (٢) وهما عمودان ملقيان (٣) ، وراء كل واحد حصى يأخذ الساعى سبع حصيات (٤) للتعب ، ويستلق على أحدهما ، ثم يرمى وراءه بالسبع الحصيـات ، ويقوم ولا يلتفت ثم يمضى ، فلا يحس شيئا . وعمود السوارى بها باق إلى الآن .

العاشرة : كنيسة فى أسـفل الأرض ، مدينة على مدينـة ، لا يرى مثلها فى الدنيا ، وكذا بالاسكندرية .

الحادية عشرة : القبة الخضراء ، وهى أعجب قبة ملبسة نحاسا كأنه الذهب الإبريز (٥) لا يبليه القدم ، ولا تخلقه الدهور .

---

(١) فى (خ ١ : ٣١) : « ومن ذلك بربا دندرة ، وهو بربا عجيب ، فيه ثمانون ومئـة كوة ؛ تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ، ثم الثانية حتى تنتهى إلى آخرها ، ثم تكر راجعة إلى موضع بدئها » .
فعبارة المقريزى تفيد أن الشمس تمر فى كل كوة مرتين فى العـام ، أما عبارة النص فتبين أن الشمس تدخل كل كوة مرة فى السنة . وعبارة (ب) : « ولا ترجع إليها إلى مثله فى العام القابل » ، وفى (ا) : « ولا ترجع إليها إلى مثله فى قابل » ، وكذلك فى (ج : لوحة ١٠٠) . والكوى : جمع كوة ، وهى الخرق فى الجدار يدخل منه الهواء والضوء .

(٢) فى (ب) عمودا الأعياد ، وفى (ا) عمـود الأعيا ، وفى (خ ١ : ٣١) عمودا الإعيا ، مقصور الإعياء ، وهو الصواب ، لأن هذين العمودين خاصان بالشفاء من التعب والنصب .

(٣) ملقيان فى (خ ١ : ٣١) ، وفى الأصل أ : يلتقيان ، وفى (صب ٣ : ٣٢٢) : عمـودا الإعياء : عمودان ملقيان ، وراء كل منهما جبل حصباؤه كصبر الجمار بمنى .

(٤) وجمع التكسير حَصًى ، وحِصِىّ .

(٥) الخالص . وفى (ج : لوحة ١٠١) : الثانية عشرة : سد عقبة وقصر فارس ، ولا أثر لهـذا فى جميع النسخ الأخرى التى راجعناها .

الثانية عشرة : المنطقة المعـروفة بصعيد مصر مشهورة متعـالية ، فى بعض البساتين [بدشنى[١] ١٣٣ سنطة] تهدد بالقطع فتذبل وتضمر ، ثم يقال لها قد عفونا عنكم وتركناكم ، فترجع وتخضر وتورق (وتفرش) .

الثـالثة عشرة : الجبال التى بصعيد مصر على نيلها ، وهى ثلاثة[٢] : جبـل الكهف[٣] ، وجبل الطيلمون ، وعجائبه كثيرة ، وجبـل حباخير[٤] الساحرة ، يقال إن فيه قطعة[٥] من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل إليها أحد ، يلوح فيها خط بيّن (باسمك[٦] اللهم قدرته) .

الرابعة عشر : شِعب[٧] البوقرات بناحية اشمون ، وهو فى جبل الكهف ، فيه صدع تأتيه البوقرات فى يوم فى السنة معروف لكل طائر على الأرض ، فيدخل كل طائر منقاره فى ذلك الصدع ولا تزال كذلك إلى أن يمسك بمنقار واحد منها ، فيموت ، ويبقى معلقا إلى أن تذروه الرياح ، فتنصرف (جميع) الطيور حينئذ ، وذلك مستمر باق إلى الآن ، ويكون (ذلك) كالقربان لهـا .

الخامسة عشرة : الحجر الذى يعدى الناس فى البحر ، ويعود بآخرين ، بنواحى دلالات[٨] .

السادسة عشر : السمكة الرعادة ، إذا وضع إنسان يده عليها لم يتمالك أن يضطرب جسمه[٩] اضطرابا شديدا .

السابعة عشرة : الحيات العظام[١٠] التى تبتلع الرجل ويكون مجراها فى الأرض كخط محراث بثورين .

---

(١) اعتمدنا فى تكملة النص على ما جاء بالمقـريزى (خ ١ : ٣٢) ، ويضيف المقريزى أن المشهور ، وهو الموجود فى زمنه ، سنطة فى الصعيد إذا مسّتها اليد ذبلت ، وإذا رفعت عنها تراجعت ، وقد حملت إلى مصر وشوهدت .

(٢) ثلاثة أجبل فى (ب) .

(٣) ويقال جبل الكف أيضاً .

(٤) فى (ب) حساجير ، وفى (ا) حباخير ، وفى (خ ١ : ٣١) زماجير . وفى (جـ : لوحة ١٠١) . زماخير .

(٥) حلقة فى (خ ١ : ٣١) .

(٦) فى (خ ١ : ٣١) خط مخلوق باسمك اللهم .

(٧) الشعب : الطريق فى الجبل ، وفى (خ ١ : ٣١) البوقيرات .

(٨) فى (ب) دلالات ، وكذلك فى (خ ١ : ٣٢) ، وفى (ا) ولاولات ، وكذلك فى (جـ : لوحة ١٠١) .

(٩) فى (ب) أخذه الرعد فى جميع جسمه بدلا من لم يتمالك أن يضطرب جسمه اضطراباً شـديداً . وهى سمكة إذا مسها الإنسان ارتعدت يده مادامت حية ، وترتيبها فى (ب) التاسعة عشرة لا السادسة عشرة ، وليس لها وجود فى (جـ) .

(١٠) يلاحظ أن رقم الحيات العظام فى (ب) ١٦ ، والحية المعروفة عرض إصبع ١٧ ، ومجمع البحرين ١٨ .

الثامنة عشرة : حية معروفة عرض إصبع .

التاسعة عشرة : بمصر مجمع البحرين ، وهو البرزخ الذى ذكره الله تعالى فى القرآن (بقوله تعالى) : ﴿ وجعل بين البحرين حاجزا ﴾ وهما : بحر الروم والصين ، والحاجز بين أيلة[1] والقلزم والفرما ، وبها العجائب فى الوحوش فى عظمها وكثرتها ومصايد مصر من جميع جهاتها (الأربع) .

العشرون : الهرمان الكبيران فى جانبها الغربى ، وهما من عجائبها الظاهرة ، ذكر الشريشى[2] فى شرح المقامات : أن بين الجيزة والأهرام سبعة أميال ، لا يعلم فى الدنيا حجر على حجر أوسع منهما . سعة دورهما[3] أربع مئة ذراع ، وأساسهما يزيد على جريب[4] ؛ وعرض حائطهما ثلاث مئة ذراع بذراعهم قيل : فى أحدهما قبر هرمس[5] ، وهو إدريس عليه السلام ، وفى الآخر قبر تلميذه أغاثيمون[6] ، وإليهما كانت تحج الصابئة[7] ، وتقول : يا أبا الهول إليك قد حججنا ، وقيل : كانا فى سالف الدهر مستورين بالديباج[8] ، وعليهما مكتوب قد كسوناهما الديباج فمن شاء بعدنا فليكسهما حصيرا . وقال حكيم من حكماء مصر : إذا رأيت الهرمين ظننت أنه لا يعملهما أحد من الإنس ، ولا يقدر الجن على عمل مثلهما ، ولا أنسب[9] ذلك إلا لقدرة خالق السماء والأرض ، وقال : ما من شىء (إلا وأنا ارحمه من الدهر إلا الهرمين فإنى أرحم الدهر منهما) ولم يمر الطوفان على شىء إلا أهلكه ، وقد مر عليهما ولم يؤثر فيهما ، لأن إدريس عليه السلام هو الذى بناهما (قبل نوح وقبل الطوفان ، فقيل : إن الذى بقى فيهما هو بعض ما دفن

(١) تقدم تحديد موقعها .

(٢) الشريشى : هو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى أبو العباس القيسى (٥٥٧ — ٦١٩ هـ) من العلماء بالأدب والأخبار ، اختصر « نوادر القالى » ، وشرح « المقامات الحريرية » ، وله غيرها (ع ١ : ١٥٨) .

(٣) دورهما : ارتفاعهما

(٤) الجريب : من الأرض ٥٧٦ ذراعاً بالتقدير المصرى الحديث .

(٥) هرمس : تقدم الكلام عليه . (٦) أغاثيمون : تقدم الكلام عليه .

(٧) الصابئة : قوم يعبدون الكواكب ، ويزعمون أنهم على ملة نوح ، وقبلتهم مهب الشمال عند منتصف النهار .

(٨) الديباج : ضرب من الثياب سداه ولحمته الحرير .

(٩) ولا ينسبن فى (ب) .

ووجد عليهما مكتوب : إنى بنيت هذين الهرمين خوفا من آفة تكون فى الأرض : غرق أرضى أو غرق سماوى ، ومثل هذا وجد مكتوبا على دير القصير) .

ونقل الزمخشرى فى " ربيع الأبرار " أن الأوائل (من الأمم) لما علموا من جهة النجوم أن آفة سماوية تصيبهم ، وهى الطوفان ، بنوا فى صعيد مصر أهراما بالحجارة على رؤوس الجبال والمواضع المرتفعة ليستحرزوا[1] بها وجعلوا الهرمين أرفع منها كلها ، وهما على فرسخين من الفسطاط مبنيان[2] بالحجارة المرمر والرخام ، غلظ كل حجر عشر أذرع إلى ثمان ، (كل حجر مهندم) ، ولا يستبين هندامه[3] إلا لحاد البصر ، وحجارتهما منقولة من مسافة أربعين فرسخا من موضع يعرف بذات الحمّام[4] ، دورتهما (إلى) مقدار خمسة اشبار فى خمسة ، وشكلهما التربيع ، وليس على وجه الأرض بناء أرفع منهما ، منقور فيهما بالمسند[5] كل سحر وطب وطلّسم ، وفيهما مكتوب[6] : إنى بنيتهما فمن ادعى قوة فى ملكه فليهد مهما ويزل رسمهما ، فإن الهدم أيسر من البناء ، والتفريق أيسر من التأليف . وقد ذكر أن بعض ملوك الإسلام[7] عزم على هدمهما ، فشرع فى ذلك ، فإذا خراج الدنيا[8] لا يفى بهدمهما . وكان يوسف عليه السلام يجمع فيهما الطعام . وقيل : لا يعرف من بناهما ، وإليه أشار المتنبى[9] بقوله : شعر .

اين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

(١) ليصيروا فى حرز وأمان .

(٢) فى (ب) مبنيين بحجارة المرمر . (٣) الهندام : حسن القد .

(٤) تقدم تحديد مكانها . والفرسخ مقياس من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال ، أو ١٨ ألف قدم .

(٥) المسند : خط لحمير باليمن ، مخالف لخطنا .

(٦) بعض بنى العباس هو الذى قرأ المكتوب (خ ١ : ١١٤) .

(٧) يظن أنه المأمون أو المعتصم (خ ١ : ١١٤) .

(٨) خراج مصر ، لا خراج الدنيا ، وكان خراجها على عهده ، إذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعاً ، أربعة آلاف ألف ، ومئتى ألف ، وسبعة وخمسين ألف دينار (خ ١ : ١١٤) . وفى (جـ : لوحة ١٠٣) تتخلف الآثار عن سكانها .

(٩) المتنبى : شاعر الحكمة البالغة والمثل السائر (المتوفى سنة ٣٥٠ هـ) .

وسمى البحترى[١] بانيهما فقال :

ولا كبناء ابن المسلل[٢] عندما * بنى هرميها من حجارة لابها[٣]

انتهى .

وقال عبد الله بن شُبْرُمة الجرهمى[٤] : بنتهما العماليق، حين أخرجوا من مكة، ونزلوا مصر، واتخذوا فيها المصانع[٥] .

وبنوا فيها العجائب . وقال ابن عُفَير[٦] : لم تزل مشايخ مصر يقولون : الأهرام بناها شداد بن عاد[٧]، وهو الذى بنى الغار[٨] وجند الأجناد، وهى الدفائن . وكانوا يقولون بالرجعة، فكان إذا مات أحدهم دفن معه (ماله[٩]) كائنا ما كان : وإن كان صانعا دفنت معه آلته (وقال فيها شاعر) .

بهرت عقولَ أولى النهى الأهرامُ * واستصغرت لعظيمها الأجرام

ملساء متقنة البناء شواهق * قصرت لعالٍ دونهن سِهام

---

(١) البحترى : (٢٠٦ – ٢٨٤ هـ) ، أحد ثلاثة كانوا أشعر أبناء عصرهم : أبو تمام والبحترى والمتنبى . قال أبو العلاء المعرى : « المتنبى وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى » (ع ٩ : ١٤١) .

(٢) ابن المسلل : بانى الهرمين فى زعم البحترى . وفى (جـ : لوحة ١٠٣) ابن المبلل .

(٣) اللاب جمع لابة، وهى الحرة أو الحجارة البركانية المحترقة .

(٤) عبد الله بن شبرمة الجبرهمى : لم نعثر على ترجمة له .

(٥) المصانع : شبه الحياض يجمع فيها ماء المطر ونحوه ، والمبانى من القصور والحصون والقرى والآبار وغيرها من الأمكنة العظيمة .

(٦) ابن عُفَير : هو سعيد بن عفير ، وقد تقدم التعريف به .

(٧) ذكر المقريزى أنه يقال : إن الذى بنى الأهرام الدهشورية شدات بن عديم ، وأن شداد بن عاد محرف عن الاسم السابق ، لأن العادية لم تدخل مصر ، ولم يدخلها سوى بختنصر (خ ١ : ١١٣) ، غير أن الأهرام كلها – على ما حققه علماء الآثار – من بناء قدماء المصريين .

(٨) العبارة التى وردت فى المقريزى : « وهو الذى بنى المغار وجند الأجناد ، فالمغار والأجناد هى الدفائن » (خ ١ : ١١٨) ، وفى (ب) : « وهى الدواوين » .

(٩) ساقطة من (أ) ، وموجودة فى (ب) ، و (خ ١ : ١١٨) .

لم أدر كيف كبا التفكر دونها * واستبهمت لعجيبها الأوهام(١)

أقبور أملاك الأعاجم هن أم * طلسم رمل كن أم أعلام(٢)

(الحادية والعشرون) : ومن أعظم عجائبها الظاهرة لأعين الناس بحر النيل المبارك ، ثم هو نفسه فيه عجائب كثيرة ستأتى ولنتكلم عليها(٣) باختصار فنقول : أما فضله على جميع أنهار الدنيا فلأحاديث وآيات(٤) ، منها : قوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى﴾ قالوا : المراد بالأنهار النيل لما سيأتى ، وأما الأحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم : " سيحان ، وجيحان ، والفرات(٥) ، والنيل كل من أنهار الجنة " ، وقال البغوى(٦) فى تفسير هذه : الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر .

(قال) : وقال كعب الأحبار(٧) : نهر الدجلة نهر ماء أهل الجنة ، ونهر الفرات نهر لبنهم ، ونهر مصر نهر خمرهم ، وسيحان نهر عسلهم .

(ونقل ابن زولاق فى تاريخ مصر عن كعب الأحبار أيضا : أربعة انهار من الجنة وضعها الله فى الدنيا ، فنهر مصر نهر العسل فى الجنة ، والفرات نهر الخمر ، وسيحان نهر عسلهم) .

(ونقل ابن زولاق فى تاريخ مصر عن كعب الأحبار أيضا : أربعة أنهار من الجنة وضعها الله فى الدنيا فنهر مصر نهر العسل فى الجنة ، والفرات نهر الخمر ، وسيحان نهر الماء ، وجيحان نهر اللبن) .

---

(١) فى الأصل أ : استوهمت لعجيبها الأهرام ، وفى (ك : ٤٣) الأوهام : جمع وهم ، وهو الطريق الواسع . ولعل استوهمت استبهمت .

(٢) فى الأصل : طلسم رمل هن أم أعلام ، وفى (ك : ٤٣) كن بدلا من هن .

(٣) علية فى (أ) (٤) فى (ب) فللأحاديث والآثار . (٥) الفراة فى الأصل (ب) .

(٦) البغوى : هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان أبو القاسم (٢١٣ – ٣١٧ هـ) كان محدث العراق فى عصره ، وله « معالم التنزيل » فى التفسير وغيره (ع ٤ : ٢٩٣) .

(٧) هنا تناقض بين ما عزاه البغوى إلى كعب الأحبار ، وما نقله ابن زولاق فى تاريخ مصر عنه : فبينما نهر مصر خمر أهل الجنة فيما عزاه البغوى إذا به نهر العسل فيما نقله ابن زولاق ، ونهر الفرات فى كلام البغوى لبن أهل الجنة ، وهو نهر الخمر فى كلام ابن زولاق ، وسيحان نهر عسل أهل الجنة عند الأول ، وهو نفسه نهر الماء فيما نقله الثانى . كما أن فيما نقله تكراراً نعتقد أنه من الناسخ . وزاد البغوى نهر الدجلة ، ولم يذكر جيحان .

وقال (أيضا)[(١)] أن النيل يجرى من تحت سدرة المنتهى ، وإنه لو تُقُفّى[(٢)] أثره لوجد فيه فى أول جريانه ورق الجنة (قال) : ولذلك ندب أكل البلطى[(٣)] من السمك ، لأنه يتتبع أوراق الجنة فيرعاها ، قال ابن العماد : ويشهد لصحة ماذكر ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " عليكم بالحيزوم[(٤)] فإنه يرعى من حشيش الجنة " . (وذكر بعضهم والثعالبى فى قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : أن سائر مياه الأرض يخرج أصلها من تحت الصخرة بالأرض المقدسة . والعلم عند الله تعالى) .

ومنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله عز وجل : نيل مصر خير أنهارى أسكن عليه خيرتى (من عبادى) ، فمن أرادهم بسوء[(٥)] كبه الله عليه " .

(وقال صلى الله عليه وسلم : إن النيل يخرج من الجنة ، ولو أنكم التمستم فيه ، إذا مددتم أيديكم ، لوجدتم فيه من ورق الجنة) .

قال الكندى روى عن عقبة بن مسلم[(٦)] يرفعه أن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة لساكنى مصر : ألم أسكنكم مصر وكنتم تشبعون من مياهها ؟ وقال عبد الله بن عمر : النيل سيد الأنهار . قال وسأل معاوية بن أبى سفيان كعبا فقال : أسألك[(٧)] بالله العظيم هل تجد لنيل مصر ذكرا فى القرآن ، (العظيم) فى كلام الله عز وجل ؟ فقال : والذى فلق البحر لموسى عليه السلام (انى لأجد فى كتاب الله) (أن) الله يوحى إليه فى كل عام مرتين : عند ابتدائه :

(١) فى (ب) « كعب الأحبار » بدلا من « أيضاً » . وسدرة المنتهى : شجرة فى أقصى الجنة .
(٢) اقتفى فى (ب) .
(٣) وأول ما عرف بنيل مصر فى أيام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله (٣٦٥-٣٨٦ ﻫ) .
(٤) الحيزوم : الصدر أو وسطه ، ولعل المقصودية هنا : البلطى من السمك .
(٥) « كنت لهم من ورائهم » فى (ب) بدلا من « كبه الله عليه » . ومعنى كبه : ألقاه .
(٦) عقبة بن مسلم التجيبى أبو محمد المصرى (المتوفى حوالى سنة ١٢٠ ﻫ) ، روى عن عبد الله ابن عمر وعقبة بن عمرو ، وروى عنه حيوة بن شريح وحرملة بن عمران . وثقه العجلى (خز : ٢٦٩) .
(٧) عبارة (خ ١ : ٥٠) : هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله خبراً ؟ قال : أى والذى فلق البحر لموسى ، إنى لأجده فى كتاب الله أن الله يوحى ... إلخ .
وفى (ب) : والله الذى فلق البحر ... إلخ . وفى (جـ : لوحة ١٠٥) : أسألك بالله العظيم هل تجد لنيل مصر ذكراً فى كتاب الله عز وجل : التوراة .

إن الله يأمرك أن تجرى على كذا فاجر على اسم الله ، وعند انتهائه : إن الله يأمرك أن ترجع فارجع راشدا .

قال الكندى : وروى أن الله تعالى خلق نيل مصر معادلا لجميع أنهار الدنيا ومياهها ، فحين يبتدئ فى الزيادة تنقص كلها لمادته . وذكر أبو قبيل[1] ، عالم مصر ، أن نيل مصر فى ابتداء زيادته يفور كله دفعة واحدة وإنما[2] ينبسط فى الأطراف بترتيب من أوله إلى آخره ، وهذا هو السبب فى تكدره[3] ، لأن العيون إذا نبعت من الأرض اختلطت بالطين فى حال نبعها ، فتكدرت . (قال) وأجمع أهل العلم على أنه ليس فى الدنيا نهر أطول مدى[4] من النيل يسير مسيرة شهر فى [بلاد] الإسلام ، وشهر فى النوبة[5] ، وأربعة أشهر فى الخراب ، حيث لاعمارة ، إلى أن يخرج من جبل القمر خلف خط الاستواء . وقالوا : ليس فى الدنيا نهر (يصب من الجنوب[6] إلى الشمال مستقبلا له غير النيل ، وليس فى الدنيا نهر يصب فى بحرى الروم والصين غير نيل مصر ، وليس فى الدنيا نهر يمد و يزيد فى أشد مايكون من الحر ، حين تنقص أنهار الدنيا وعيونها ، غير النيل ، كلما قوى الحر كان أوفر لزيادته ، وليس فى الدنيا نهر) يزرع عليه مايزرع على النيل ، ولايجبى من خراج نهر من أنهار الدنيا مايجبى من خراجه ، وليس فى الدنيا نهر ينبت عليه القمح اليوسفى غير النيل .

قال (المسعودى : وليس فى الدنيا نهر[7] يسمى بحرا دائما غير النيل لكبره واستبحاره ، وأشار إليه قوله تعالى : ﴿ أن اقذفيه فى التابوت ، فاقذفيه فى اليم ﴾ ، قال ابن عباس : يريد النيل ، وذلك أنها جعلته فى تابوت وألقته فى النيل ، لحمله الموج إلى دار فرعون ، فأخذه

(١) أبو قبيل المعافرى : تقدمت ترجمته .

(٢) ينبسط فى (ب) . (٣) كدرته فى (ب) .

(٤) مدا فى (ب) . ويقال : إن مسافة النيل من منبعه إلى مصبه عند رشيد ٧٤٨ فرسخاً (والفرسخ ٣ أميال أو ١٨ ألف قدم) .

(٥) فى بلاد السودان شهرين (خ ١ : ٥٤) .

(٦) يمر من الجنوب إلى الشمال ، فتستقبله ريح الشمال الطيبة دائماً (خ ١ : ٦٣) . وفى (جـ : لوحة ١٠٥) : وشهرين فى النوبة .

(٧) وليس فى أنهار الدنيا نهر ... إلخ (خ ١ : ٥١) .

و رباه صغيرا لأمر يراد ، قال : وليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب ، و ينقص بترتيب، غير النيل) قال : و يبتدئ نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بئونة وأبيب ومسرى . و إذا كان المـاء زائدا زاد فى شهر توت كله ، فإذا انتهت الزيادة إلى ست عشرة[١] ذراعا ففيه تمام خراج السلطان وخصب الناس ، (وفيـه ضرر بالبهائم لعـدم المرعى والكلأ . وأتم الزيادة كلها النافعة للبلد كله سبع عشرة ذراعا ، فإذا زادت عليها و بلغت ثمـان عشرة وأفاضتها استبحر من أرض مصر ، وفى ذلك ضرر لبعض الضياع) قال : و إذا كانت الزيادة ثمـانى عشرة كانت العاقبة فى انصرافه حدوث و باء بمصر .

قلت : كذا قاله رحمه الله تعـالى ، وهو فى نحو الأر بع مئة من الهجرة ولو أدرك عصرنا (هذا) وما علت به الأرض وارتفعت ، لطلب الزيادة على ذلك . فأقل ما يحصل به الرى الغالب فى هـذا الزمان ثمـان عشرة ذراعا فمـا زاد . قال : ومساحة الذراع إلى أن يبلغ اثنى عشرة ذراعا ثمـان وعشرون إصـبعا ، ومن اثنى عشرة إلى فوق يصير الذراع أر بعـا وعشرين إصبعا، وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من المـاء ثلاث أذرع . وفى مثل تلك السنة يكون المـاء قليلا والأذرع التى يستسق[٢] (عليها بمصر ذراعان تسـميان منكرا ونكيرا وهما : ذراع ثلاث عشرة ذراعا وذراع أربع عشرة ذراعا . فإذا انصرف المـاء عن هاتين الذراعين ، وزاد نصف ذراع عن الخمس عشرة استسقى الناس بمصر . وكان الضرر شاملا لكل البلد ، إلى أن يأذن الله فى ز يادة المـاء . و إذا دخل المـاء فى ست عشرة كان فيـه صلاح لبعض الناس، ولا يستسق فيه ، وكان ذلك نقصا من خراج السلطان) . قال محفوظ[٣] بن سليمان : إذا تم المـاء ست عشرة ذراعا فقـد تم خراج مصر ، فإذا[٤] زاد بعـد ذلك ذراعا واحدة زاد

(١) إلى ذراع ست عشرة فى الأصل (ا) .

(٢) يذرع بها فى (ب) . ومعنى يستسقى : يعمل حساب السقى والرى عليها ، أو تصلى صلاة الاستسقاء .

(٣) محفوظ بن سليمان (المتوفى سنة ٢٥٤ ﻫ) عامل خراج مصر فى عهد هارون الرشيد ، ولاه سنة ١٨٧ ﻫ ، ثم عزله ، وأعيد فى عهد المتوكل (ع ٦ : ١٧٨) .

(٤) فإن فى (ب) .

فى الخـراج مئة ألف دينار (لمـا يروى من العمار[(١)] ، فإن زاد ذراعا أخرى نقص مئـة ألف دينار) ، لمـا يستبحر من البطون[(٢)] . (قال المسـعودى : إن مصر كانت كلهـا تروى من ست عشرة ذراعا ، وكانت ، فيما يُذْكر ، أكثر البلاد جنانا وذلك أن جنانها كانت متصلة بحافتى النيل من أوله إلى آخره من حد أسوان إلى رشيد .

وذكر ابن زولاق أن للنيل زيادة ونقصا[(٣)] ينتهى إليهما ، بجميع السنين التى[(٤)] دخل النيل فيها ذراع تسـع (عشرة) عشرون سنة من الهجرة ، وجميع السنين التى قصر النيل فيها عن تمـام ست عشرة ذراعا مئةُ سنة وست سنين ، وآخرها سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة) . وقد توالى الظمأ سنين متوالية (أكثرها خمس سنين، وأكثر ما وجد فى المقياس من النقصان سنة سبع وتسعين ومئة ، فإنه وجد فيه تسع أذرع وإحدى وعشرون إصبعا ، وأقل ما وجد فى المقياس سـنة خمس وستين ومئة ، فانه وجد فيـه ذراع واحدة وعشر أصابع ، وأكثر ما بلغ فى الزيادة سـنة تسع وسبعين ، فانه بلغ ثمـان عشرة ذراعا وسبع عشرة إصـبعا) ، وأقل ما كان فى الظمأ سـنة ست وخمسين وثلاث مئة الهلالية ، فإنه بلغ اثنى عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا ، وهى أيام كافور، ولا سُمِـع بغلاء (وكانت[(٥)] تعقب سنة ثلاث وسبعين ومئتين، وهى سنة "النصف وَيْبَة بدينار"، والقمح تسعة أقداح بدينار، والخبز ست أواق بدرهم ، وهى أول أيام جوهر ، وكان المـاء إذا بلغت زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى ، وخليج المنهى والفيوم حفرهما يوسف عليه السلام) . وقال ابن لهيعة : كان لنيل

---

(١) ساقطة من الأصل (أ) ، وفى (جـ : لوحة ١٠٧) لما يروى من الأعمال .

(٢) فى (أ) لما يستجر من التطول ، ولعل هذه العبارة تصحيف لما يستبحر من البطون . وفى (خ ١ : ٦٠) لما يستبحر من الأرض المنخفضة . واستبحر المكان : انبسط واتسع . والمستبحر : كل أرض وطيئة نفذ إليها الماء ولم يجد مصرفا حتى فات أوان الزرع والماء باق فى الأرض (خ ١ : ١٠١) .

(٣) نقصانا فى (ب)، وفى (جـ : لوحة ١٠٧) : ينتهى إليهما .

(٤) والعبارة من أول « فجميع السنين » إلى « تسع (عشرة) عشرون سنة » مكررة فى الأصل (أ) كما أن بها سقطا اعتمدنا فى ملء فراغه على ما جاء فى (جـ : لوحة ١٠٧) .

(٥) فى (جـ : لوحة ١٠٧) : وكان تعقبه ، ولعلها محرفة عن : وكانت تعقب ، و «بعد» هنا مقحمة .

مصر قطيعة[١] على كور مصر: عشرين ومئة ألف رجل معهم المساحى[٢]، والآلات: سبعون ألفا للصعيد وخمسون ألفا لأسفل الأرض لحفر الخُلُج و إقامة الجسور والقناطر (وسد الترع) وتنظيف الأرض مما يضرها .

قال الكندى : (ولما ولى ابن الحبحاب خراج مصر لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه فمسح أرض مصر التى تروى بالنيل عامرها وغامرها، فوجد فيها ثلاثين ألف ألف فدان).

وأما المكان الذى يخرج منه أصل النيل وإلى أين يذهب وبيان سبب خضرته فنقول : الذى[٣] ذكره الكندى ، والمسعودى فى "مروج الذهب" ، وصاحب «الأقاليم السبعة» أنه يخرج أصله من جبل القمر من عشر عيون أو اثنتى عشرة عينا . وجبل القمر خلف[٤] خط الاستواء ، أى الذى يستوى فيه الليل والنهار ، وأضيف إلى القمر لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمة (والبُدُو والمحاق[٥]). وقيل سمى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه ، لأنه خارج من تحت خط الاستواء ، فينظر إلى النيل يخرج من تحته، فيمر فى طرائق[٦] كأنها أنهار دقاق حتى ينتهى إلى حظيرتين . قال المسعودى : فتنصب[٧] تلك المياه الخارجة من (تلك) العيون (التى) تحت الجبل فى بحيرتين هناك ، فيجتمع فيهما[٨] ، ثم يخرج جاريا ، فيمر برمال هناك وجبال ، ثم يخترق

---

(١) القطيعة : الجزء من الأرض يملّكه الحاكم لمن يريد من أتباعه ، وهى هنا بمعنى الفريضة أى عدد العمال الذين يفرض على الكور إعدادهم .

(٢) المساحى : جمع مسحاة ، وهى أداة تقشر بها الأرض وتجرف .

(٣) «قال» فى (ب) بدلا من « الذى ذكره » .

(٤) تحت خط الاستواء فى (خ ١ : ٥٢) .

(٥) السحاق فى الأصل (ا) ولعلها تحريف المحاق، وهو اختفاء القمر فى الليلتين الأخيرتين من الشهر .

(٦) طرق فى (ب) وطرائق فى (ا) و (خ ١ : ٥٢) .

(٧) كذا فى الأصلين (ا ، ب) وفى (خ ١ : ٥٣) تصب .

(٨) منهما جاريا فى (خ ١ : ٥٣) بدلا من فيهما ، ثم يخرج جارياً .

أرض السودان مما يلى بلاد الزنج ، فينبع[1] من خليج يجرى[2] إلى بحر الزنج[3] وهو بحر جزيرة « فينلوا » ، وهى جزيرة عامرة ، فيها قوم من المسلمين إلا أن لغتهم زنجية ، غلبوا عليها وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة أقريطش فى البحر الرومى فى مبدأ الدولة الأموية ، ومنها إلى عمان[4] فى البحر نحو من خمس مئة فرسخ على ما يقوله البحريون (وذكر جماعة أنهم يشاهدون فى هذا البحر ، فى وقت زيادة [نيل] مصر أو قبلها بقليل ، ما يخرق هذا البحر ، ويشق قطعة منه من شدة جريانه ، ويخرج من جبال الزنج عرضه أكثر من ميل ، يتكدر فى أوان الزيادة بمصر وصعيدها ، قال : والفلاسفة تقول :) إنه يجرى على وجه الأرض تسع مئة فرسخ ، وقيل ألف فرسخ ، فى عامرها وغامرها حتى يأتى إلى بلاد أسوان من صعيد مصر ، وإلى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر . وعلى أميال من أسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها ، فلا سبيل إلى جريان السفن فيه . وهذا الموضع فارق بين (مواضع) سفن الحبشة فى النيل وبين سفن المسلمين ، ويعرف بالجنادل والصخور ، (ثم يأتى إلى الفسطاط ، فينقسم خُلْجانات إلى بلاد تنيس[5] ودمياط ورشيد والإسكندرية ، وتصب كلها فى البحر الرومى .

قلت :) وقد ذكر الواصفون[6] له فى كلام طويل أن الأنهار الأربعة التى هى سيحون وجيحون والفرات والنيل تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب التى من وراء البحر المظلم ، وأن تلك الأرض من أرض الجنة ، و (أن) تلك القبة من زبرجد ، وأنها قبل أن تسلك البحر المظلم أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور .

(١) فيتشعب فى (خ ١ : ٥٣) .
(٢) يصب فى (خ ١ : ٥٣) بدلا من يجرى إلى .
(٣) وبحر الزنج – كما يقول المقريزى – قطعة من نهر الهند، مما يلى بلاد اليمن ... وفى هذه القطعة عدة جزائر منها : جزيرة القمر ، ويقال لها أيضاً جزيرة بهلاى ... وهى تحاذى جزيرة سرنديب ، وفيها جبل القمر كذا فى (خ ١ : ٥١) . غير أنه لم يذكر بين هذه الجزائر جزيرة فينلوا . وفى (ب) فيتلوا . والزنج : جيل من السودان يسكن حول خط الاستواء ، وتمتد بلادهم من المغرب إلى الحبشة ، وبعض بلادهم على نيل مصر .
(٤) عيذاب فى (ب) .
(٥) تقدم تحديد موقعها .
(٦) لهذا النيل فى (ب) .

(وممن)(١) جاء بهذا الخبر رجل من ولد العيص بن إسحاق، وأنه وصل إلى تلك القبة ، وقطع البحر المظلم ، فى حديث طويل يأتى ذكره (بسنده) إن شاء الله تعالى .

وذكر ابن زولاق : أن بعض خلفاء مصر أمر قوما بالمسير إلى حيث مجرى النيل ، فساروا حتى انتهوا إلى جبل عال، والماء ينزل من أعلاه ، له دوى وهدير لا يكاد يسمع أحدهم كلام صاحبه، ثم أصعدوا واحدا منهم إلى أعلى الجبل ، (فلما وصل رقص وصفق وضحك ، ثم مضى فى الجبل) ، ولم يعد ، ولم يعلم أصحابه ما شأنه ، ثم ثانيا ، ففعل مثل الأول ، فصعد ثالث وقال : اربطوا فى وسطى حبلا ، فإذا وصلت وفعلت مثل ما فعلا(٢) فاجذبونى ، ففعلوا ، فلما صار فى أعلى الجبل فعل كفعلهما ، فجذبوه إليهم فقيل : إنه خرس ، ولم يرد جوابا، ومات من ساعته ، فرجع القوم ، ولم يعلموا غير ذلك(٣) والله أعلم .

(واشتهى الملك الصالح)(٤) نجم الدين أيوب أن يعرف أصل النيل،فأمر أن يشترى عبيدا صغارا، زنوجا أو ما شاكلهم ، ثم يستعوبوا ويسلموا لصيادى السمك و التجار(٥) ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك لتكون قوتهم ، فإذا مهروا فى ذلك يُصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ، ويأتوه بخبر النيل .

واختُلف فى سبب زيادته ونقصانه ، فقال قوم : لا يعلم ذلك إلا الله (عز وجل)(٦) (وقال المسعودى : العرب تقول : إنه إذا زاد نيل مصر غاضت له(٧) البحار، أى نقصت ، وغاضت(٨) له العيون والآبار ، وإذا غاض(٩) هو زادت هى ، فزيادتها من غيضه وغيضها(١٠)

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ا) ، ومكتوب فى (ب) ، و (خ ١ : ٥٣) .
(٢) فى الأصل (ا) فعلوا .
(٣) فى (ب) « انتهى » بدلا من « والله أعلم » .
(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ا) ، ومذكور فى (ب) و(جـ : لوحة ١٠٩) .
(٥) والبحارين فى (ب) .
(٦) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ا) .
(٧) غاضت له الأنهار والأعين والآبار فى (خ ١ : ٥١) .
(٨) غاضت (خ ١ : ٥١) . وفى الأصلين (ا ، ب) غاصت .
(٩) غاض (خ ١ : ٥١) . (١٠) غيضه ، وغيضها (خ ١ : ٥١) .

من زيادته . وقالت الهند : زيادته ونقصانه (بالسيول) ، ونحن نقول ذلك ، بتوالى الأنواء وكثرة الأمطار وركود السحاب . وقالت الروم : لم يزد قط وإنما (١) ينقص ، وإنما زيادته بريح الشمال إذا كثرت واتصلت . وقالت القبط : زيادته من عيون فى شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه . وقد تقدم عن أبى قبيل أنه فى زيادته يفور كله دفعة واحدة من أوله إلى آخره .

(وحكى بعض من أقام بالحبشة أن الغمام والمطر يستمران عندهم فى أيام زيادة النيل ليلا ونهارا فى أعلى النيل ، وأنه فى بعض السنين يكثر المطر جدا ، وفى بعضها يقل ، فيعرفون كثرة النيل بمصر وقلته بسبب ذلك) .

وأما حيث يذهب فقال الحكماء : إن النيل إذا صب فى البحر المالح انتهى فيه إلى مواضع ، ثم يرتفع بخارا ، ويجتمع فى الجو ، فيحمله الغمام والريح إلى الأماكن التى يريد الله (عزوجل) (٢) المطر فيها من سائر البلاد ، ولهذا تجد الأماكن القريبة من البحر أكثر مطرا من غيرها ، ويشاهد الغمام قريبا من البحر المالح عند دمياط وغيرها مما جاور البحر .

قالوا : وإذا وقع المطر فى البلاد اتصل بالبحر من عيون وغيرها حتى ينتهى إلى البحر أيضا ، ثم يصير مطرا كما سبق .

وحكى أن خضرته تحصل من برك فى أعالى النيل ينقطع الماء عنها فى أوان النقص ، فتخضر لطول مكثها ، فاذا كان أوان الزيادة وزاد الماء صُب ماؤها فيه فيخضرّ والله أعلم .

(وقال ابن عفير وغيره عن القبط الأقدمين أنه إذا كان فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنتى عشرة ذراعا فهى سنة ماء ، وإلا فالماء ناقص ، وإذا تم ست عشرة ذراعا قبل النيروز فالماء يتم ، فاعلمه) .

قال المسعودى : وكان أحمد بن طولون فى سنة نيف وستين ومئتين بلغه أن رجلا

(١) فى (ب : لوحة ١١٠) ولم ينقص .

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل (١) .

بأعلى مصر من الصعيد من الأنباط (١) (له) ثلاثون ومئة سنة ممن يشار إليه بالعلم ، وأنه عالم بمصر وأراضيها من برها وبحرها ، وممن سافر (٢) (فى) الأرض ، وتوسط الممالك ، وشاهد الأمم من أنواع البيضان والسودان ، فبعث إليه أحمد ، وأخلى (له) نفسه فى ليال وأيام كثيرة ، سمع (٣) كلامه ، فكان مما سأله عنه طول الأحابش (٤) على النيل ومما لكهم فقال : لقيت من ملوكهم ستين ملكا فى ممالك مختلفة ، كل منهم ينازع من يليه من الكراع (٥) ، وبلادهم حارة يابسة ، قال : فما منتهى النيل من أعلاه ؟ قال : البحيرة التى لا يدرك طولها من عرضها ، وهى نحو الأرض التى الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر ، تحت الموضع الذى يسميه المنجمون الفلك المستقيم . وسأله : عن النوبة وأرضها ، فقال : هم أصحاب بخت (٦) وبقر وغنم ، والأغلب ركوب عوامهم البراذين (٧) ، ورميهم بالنبل عن قسى عربية ، وعنهم أخذ الرمى أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب ، ويسمونهم رماة الحدق (٨) . ولهم النخل ، والكرم ، والذرة والموز ، والحنطة ، والأترج (٩) أكثر ما يكون بأرض الإسلام (١٠) ، وأرضهم كأنها جزء من أرض اليمن ، وملوكهم تزعم أنها من حمير ، وملكهم يستولى على مصر والنوبة ، ووراء علوه أمة عظيمة من السودان تدعى بلبد (١١) . وهم عراة كالزنج ، وأرضهم تنبت الذهب . وفى مملكة هذه الأمة يفترق النيل ، فيتشعب منه خليج عظيم ، ثم يخضر الخليج من بعد انفصاله عن النيل ، فينحدر إلى أكثر (بلاد) النوبة ، ثم يشق فى أودية وخلجان وأعماق

---

(١) له ساقطة من (ا) . (٢) ساقطة أيضاً من (ا) .

(٣) لسمع كلامه فى (ب) .

(٤) الأحابيش فى (ب) ، والأحابيش جمع أحبوش وأحبوشة ، الجماعة من الناس اختلفت أجناسهم . أما الأحابش فجمع أحبش وهم الحبش .

(٥) الكراع : كراع الأرض ناحيتها ، ولعل المقصود أقاربهم ، أو من جاورهم .

(٦) بخت : البخت الإبل الخراسانية . وفى (جـ) : إبل بخت .

(٧) جمع برذون ، ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء .

(٨) الحدق : مفرده حدقة وهى السواد المستدير وسط العين ، وهو من رماة الحدق أى أنه حاذق ماهر فى النضال . . (٩) تقدم وصفه .

(١٠) بالأشلام فى (ب) ، وبالأرض فى الإسلام فى (ا) ، وفى (جـ) بأرض الإسلام .

(١١) بليد فى (ب) ، وفى (جـ) بكند .

مانوسة حتى يخرج إلى حلابس[(١)] والجنوب ، وذلك بساحل[(٢)] الزنج ، ومصبه فى بحرهم .

وسأله : عن بناء الأهرام ، فقال : إنها قبور للملوك ، كان الملك إذا مات منهم وضع فى حوض من حجارة ، وأطبق عليه ، ثم يبنى له من الهرم على قدر ما يرون[(٣)] من ارتفاع الأساس ، ثم يحمل الحوض ، و يوضع فى وسط الهرم ، ثم يقنطر عليه البنيان والأقباء[(٤)] ، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذى يرونه ، ويجعل باب الهرم تحت الهرم ، ثم يحفر له طريق فى الأرض و يعقد أزج[(٥)] ، ويكون طوله تحت الأرض مئة ذراع أو أكثر ، ولكل هرم من هذه الأهرام باب يدخل منه على ما وضعت[(٦)] . قيل له : فكيف بنيت هذه الاهرام المماسة؟ وعلى أى شىء كانوا يصعدون ؟ وعلى أى شىء كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر[(٧)] أهل زماننا على تحريك حجر واحد منها؟ فقال : كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراق[(٨)] كالدرج ، فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق إلى أسفل ، فهذه كانت حكمتهم[(٩)] ، ومع هذا كانت لهم حكمة وقوة وصبر وطاعة لملوكهم فقال له : فما بال هذه الكتابة التى على الأهرام والبرابى لا تقرأ ؟ فقال : دثرت[(١٠)] الحكماء أهل العصر الذين كان هذا قلمهم ، وتداول أهل مصر الأمم ، فغلب على أهلها القلم الرومى ، وذهبت عنهم كتابة آبائهم . (وسأله : عن مدينة العقاب فقال : هى غربى أهرام بوصير السدر[(١١)] ، وهى على خمسة أيام بلياليها لراكب مجد ، وقد عور طريقها وأعمى ، وذكر ما فيها من عجائب البنيان . والجواهر والأموال انتهى) .

(١) حلابس : لعله اسم مكان بساحل الزنج .

(٢) ساحل فى (ب) .

(٣) ما يريدون فى (خ ١ : ١١٥) .

(٤) جمع قبو ، وهو الطاق المعقود بعضه إلى بعض فى شكل قوس .

(٥) الأزج : بناء مستطيل مقوس الشكل .

(٦) على ما وصفت فى (خ١ : ١١٥) ، وعلى ما وضعت فى (ا ، ب) .

(٧) لايقدر أحد على حملها فى (ب) بدلا من « لا يقدر أهل الأرض على تحريك حجر واحد منها » — ٦ — ٥ ، والعبارة الأولى أفضل .

(٨) جمع مرقاة ، وهى وسيلة الرقى والصعود . والدرج مفرده درجة ، وهى المرقاة .

(٩) جبلتهم فى (خ ١ : ١١٥) .

(١٠) دثرت : درست وقدمت .

(١١) تقدم تحديد موقعها .

وقال المسعودى وغيره : وللنيل أعاجيب[١] كثيرة منها : التمساح فلا يوجد إلا فيه ، وهو يأكل الآدمى وغيره وبطنه كالجراب ليس له مخرج ، بل يتغوط من فيه ، فإذا أكل وبقى الطعام بين أسنانه دَوَّد ، فيأتى الى البر وينام ، ويفتح فاه ، فيأتى طائر ، فيدخل فيه ، ويلتقط ذلك الدود ، فإذا أحس التمساح بأن الدود قد فرغ ، طبّق[٢] فمه على الطائر ليأكله ، وجعل الله لذلك الطائر إبرتين من العظم فى طرفى جناحيه ، فإذا طبق فمه عليه ضرب بهما سقف حلقه ، فيفتح فاه ، فيخرج الطير .

قال : وخلق الله تعالى دُوَيْبَة بنيل مصر تعادى التمساح ، فتستخفى له (فى الرمل)[٣] فى موضع يرقد فيه ، ويفتح فاه لذلك الطائر ، فإذا فتح فاه وثبت فيه هذه الدويبة ، ودخلت فيه حتى تصل الى جوفه ، فإذا وصلت اضطرب ، وتحول للبحر فتأكل تلك الدويبة[٤] أحشاءه ، وتخرق بطنه ، وفى ذلك هلاكه . وفى كتاب القزوينى أن الذى يفعل ذلك بالتمساح هو كلب الماء .

ومن عجائبه السمكة (المعروفة) بالرعادة ، وهى قدر ذراع ، اذا وقعت فى شبكة الصياد ارتعدت يداه وعضداه[٥] ، ويعلم بوقوعها ، فيبادر[٦] الى تخليصها ، (ولو أمسكها بخشبة أو قصبة فعلت ذلك) . ذكر جالينوس أنها إذا جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة[٧] ، وهى فى الحياة[٨] ، هدأ من ساعته .

ومنها أنه يأتى فى وقت لايختلف فيه ، وينصرف فى وقت لايختلف فيه ، وينفع ما لاينفعه نهر من أنهار الدنيا ، ويوفر من الأموال مالا يعلمه الا الله .

(١) عجائب فى (ب) .

(٢) وقد جعل فى (ب) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ا) .

(٤) وهذه الدويبة نحو الذراع ، على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب (خ ١ : ٦٧) ، وابن عرس دويبة كالفأرة تفتك بالدجاج ونحوها .

(٥) فى (ب) : « وعضده فيعلم » ، وفى (خ ١ : ٦٦) « يده وعضده فيعلم » .

(٦) وفى (ب) : « فيخلصها من شبكته » ، وفى (خ ١ : ٦٦) : « فيبادر إلى أخذها وإخراجها من شبكته » .

(٧) الشقيقة : ألم ينتشر فى نصف الرأس والوجه .

(٨) فى الأصل (ا) : وهو فى حما هدى » ، وفى (خ ١ : ٦٦) : «وهي فى الحياة هدأ » . وفى (جـ) : « وهو فى حماه » ، وهو الصواب .

ومنها أن ماءه يطبخ به كالعسل حين يبدأ جريانه وهو كدر ، فيجيء فى غاية الصفاء ، وإذا طبخ منه فى أيام صفائه لا ينتفع به .

ومنها أنه ليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غيره .

ومنها أنه ليس فى الدنيا نهر يزيد فى اشد ما يكون من الحر حين تنقص جميع الأنهار وعيون الأرض غيره . وكلما زاد الحر كان أوفر لزيادته ، ويوجد فيه عند جريه العود والخيزران والقنا .

ومنها أنه ليس فى الدنيا نهر أطول منه كما تقدم .

ومنها أنه ليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال غيره ولا نهر يصب فى أبحر الروم والصين غيره .

ومنها أنه جرت العادة فيه انه إذا أمطرت السماء أيام زيادته نقص وهبط . قال شيخنا المقريزى : وقع مطر كثير فى المحرم من سنة سبع وثلاثين وثمان مئة وكان صيفا ، والنيل فى زيادته ، فهبط فى ذلك اليوم ، وكان نقصه ستا وعشرين إصبعا . ويوجد فى مائه من العسيلة كأنه شيب بلعاب الشهد . وكان عيسى[١] الهاشمى لما توجه الى مصر لإمارتها يخلط له الماء بالعسل فى مراحل الطريق ، فلما بلغ (فاقوس) سُقِى ماء النيل ، فلما شرب قال : زدتم فى عسيله ؟ فقالوا : لا ، هو صرف بلا عسل فتعجب من ذلك .

قال ابن زولاق : وأنشدنى محمد بن القاسم[٢] الدارمى يصف أمواج النيل .

كأنما النيل إذا * نسيم ريح حركه
بُنَيَّة ترقص فى * غلالة[٣] مُمَسَّكه
تريك فى تخليها * لكل عضو حركه

(١) عيسى الهاشمى : لم يل عيسى الهاشمى مصر ، وإنما الذى وليها موسى بن عيسى ثلاث مرات .
(٢) محمد بن القاسم الدارمى : لم نعثر على ترجمة له .
(٣) الغلالة : ثوب رقيق يلبس تحت الدثار (القميص الذى يلبس على الجسم مباشرة) .

وقال بعضهم يصف إحداقه بالشجر والضياع[(١)] شعر :

ما الخلد الا مصرفى أ(يلول)[(٢)] * يحل بالغدو والأصيل
بالبر من نسيمها العليل * كم سروة محفوفة بالنيل
* كأنها مائدة البخيل *

مما يذكر وهو صحيح أن الماء فى أعلى الصعيد يكون أحلى منه فى آخر النيل ، سيما ما قرب من البحر الملح . وما ألطف ما أنشده القاضى فخر الدين[(٣)] بن مسكين لما ولى قضاء قوص من الصعيد وكان قبل ذلك قاضيا بإبيار يقول :

والله لولا العار * ما اخترت غير ابيار
لكن الصعيد أعلى * وماؤه لى أحلى
* والآدمى فشار *

(ومن المشاهد أيضا أن ماء بعض الأمطار أحلى من بعض) .

وقال : بعض الأطباء : وفى نيل مصر آية من آيات الله تعالى ، وهى أن من شرب منه زادت قوته ، وأن ماء دجلة بالعراق يضعف شهوة الرجال ، ويقوى شهوة النساء ، و يقطع نسل الخيل . حتى إن جماعة من العرب لايسقون خيلهم منه . وقال : لولا (ما) بمصر من الليمون والحموضات ماعاش أحد بها لشدة حلاوة مائها .

ومن خواصه : التمساح ، فإنه لا يوجد فى غيره ، وهو حيوان عجيب كاسر ، وله طبع خبيث . وذكروا أن التماسيح إذا قذفها النيل الى (مدينة) مصر وجاز بها[(٤)] انقلبت على ظهورها ، فإذا تعدتها لا تضر أحدا ، بخلاف ماهى فى بلاد الصعيد ، فإنها تفترس جميع مايظهر به من الحيوانات (حتى الخيل) ، ولا يقوى على قتالها شىء الا الجاموس .

(١) الضياع : جمع ضيعة ، وهى الأرض المغلة .
(٢) أيلول ساقطة من الأصل (ا) ما عدا همزتها ، ومذكورة فى (ج) .
(٣) فخر الدين بن مسكين : هو محمد بن محمد بن الحارث بن مسكين الزهرى (٦٦٨ — ٧٦١ هـ) ، نائب الحكم بالقاهرة ، حدث عن جماعة ، وأجاز له العز الحرانى وابن النجارى وخلف (سح ١ : ١٦٦) .
(٤) وجازت فى (ب) ، وجاز الموضع وبه : سار فيه وقطعه ، وفى (ج) وجازتها .

ومن عجائبه (الباهرة) ما اتصل لنا سنده بالقاهرة عن الشيخ الصالح زين الدين ابن عبد الرحمن بن الشيخ خليل بن سلامة الإذرعى الشافعى[(١)]، إمام الجامع الأموى بدمشق، قال رحمه الله تعالى بحق سماعه من الشيخ شيخ الإسلام عمر البلقينى[(٢)]، والحافظ ابن زين الدين عبد الرحيم العراقى[(٣)]، ونور الدين على المقسمى[(٤)]، عن أبى الفتح محمد بن إبراهيم البريدى[(٥)]، بسنده المعروف إلى أبى طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المُخَلِّص[(٦)] : قرئ بجامع المنصور سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى البكرى[(٧)] وأبو بكر محمد بن صالح[(٨)] بن عبد الرحمن الحافظ الانباطى فى سنة ست وستين ومئتين، وحدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسمعيل بن يوسف الترينى[(٩)] فى سنة ثمانين ومئتين قالا : حدثنا أبو صالح عبد الله[(١٠)] بن صالح كاتب الليث بن سعد، قال : بلغنى أنه كان رجل من بنى العيص[(١١)]، يقال

---

(١) الشيخ زين الدين بن عبد الرحمن بن الشيخ خليل بن سلامة الإذرعى الشافعى من أخذ عنهم الزركشى (٧٤٥-٧٩٤هـ).

(٢) عمر البلقينى : تقدمت ترجمته .

(٣) الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو الفضل العراقى (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ) ، حافظ العصر ، وله مؤلفات فى الفن بديعة كالألفية وشرحها ، ونظم الاقتراح ، وتخريج أحاديث الأحياء ، وتكملة شرح الترمذى لابن سيد الناس (سح ١ : ١٥١) .

(٤) نور الدين على المقسمى : لم نعثر له على ترجمة له .

(٥) أبو الفتح محمد بن إبراهيم البريدى : لعله فتح الدين الشهير بابن الشهيد (٧٢٨ - ٧٩٣ هـ) ، له علم بالتفسير والأدب ، نظم « السيرة النبوية » لابن هشام (ع ٦ : ١٩٠) .

(٦) أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص الذهبى البغدادى (٣٠٥ - ٣٩٣ هـ) ، كان مسند بغداد فى عصره ، له « منتقى سبعة أجزاء » فى الحديث (ع ٧ : ٦٣) .

(٧) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى البكرى : لم نعثر له على ترجمة .

(٨) أبو بكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن الحافظ الأنباطى : لم نعثر له على ترجمة .

(٩) أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل بن يوسف الترينى : لم نجد له ترجمة فيما رجعنا إليه من مراجع على كثرتهـــا .

(١٠) أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنى مولاهم (المتوفى سنة ٢٢٢ هـ) ، كاتب الليث بن سعد (سح ١ : ١٦٢) .

(١١) ولد العيص فى (ب) .

له حايد[١] بن أبى سالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، وأنه خرج هاربا من ملك من ملوكهم ، حتى دخل أرض مصر ، فأقام بها سنين ، فلما رأى أعاجيب نيلها ، وما يأتى به (فضل الله تعالى عليه) نذر لله تعالى عليه ألا يفارق ساحله ، حتى يبلغ منتهاه ، ومن حيث يخرج ، أو يموت قبل ذلك ، فسار عليه . قال بعضهم : ثلاثين[٢] سنة فى الناس ، وثلاثين سنة فى غير الناس . (وقال بعضهم : خمس عشرة كذا ، وخمس عشرة كذا) حتى انتهى إلى بحر أخضر ، فنظر النيل يشق[٣] مقبلا ، فصعد على البحر ، فإذا رجل قائم يصلى تحت شجرة من تفاح ، فلما رآه استأنس به ، وسلم عليه ، فسأله الرجل صاحب الشجرة ، وقال له : من أنت ؟ قال : إنى حايد بن أبى سالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، فمن أنت ؟ قال : عمران بن فلان بن العيص . قال : فما الذى جاء بك (ها هنا[٤]) يا عمران ؟ قال : جاء بى الذى (جاء) بك حتى انتهيت إلى هذا الموضع ، فأوحى الله تعالى إلى أن أقف (هنا) حتى يأتينى أمره ، فقال له حايد : أخبرنى يا عمران ما انتهى إليك من أمر هذا النيل ، وهل بلغك (فى الكتب) أن أحدا (من بنى آدم) يبلغه ؟ قال له عمران : نعم ، قد بلغنى أن رجلا من بنى العيص يبلغه ، ولا أظنه غيرك (يا حايد) ، قال له : (يا عمران) فأخبرنى كيف الطريق إليه ؟ فقال عمران : لست أخبرك بشىء إلا أن تجعل لى ما أسألك . قال : وما ذاك يا عمران ؟ قال : إذا رجعت (إلىّ وأنا حىّ) أقمت[٥] عندى حتى (يوحى الله إلىّ بأمره أو) يتوفانى الله فتدفننى ، (فإن وجدتنى ميتا دفنتنى وذهبت) ، قال : ذلك لك علىّ . فقال له : سر كما أنت على هذا البحر فإنه[٦] ستأتى دابة ، ترى آخرها ،

(١) حايد فى (ب) و (خ ١ : ١٤٧) ، و (جـ) ، وحامد فى (ا) . لما عرض المقريزى لهذه القصة لم يعن بذكر تفصيلاتها لعدم اعتقاده ، فيما نظن ، بصحتها .

(٢) ثلاثين سنة فى عمران ، وعشرين سنة فى خراب (خ ١ : ٥٣) .

(٣) فى الأصل (ا) ينشق ، وكذلك فى (جـ) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ا) .

(٥) تقيم فى (ب) ، وفى (جـ) أقم .

(٦) فى (ب) « فإنك سترى » بدلا من » فإنه ستأتى » .

ولا ترى أولها ، فلا يهولنك أمرها ، اركبها (١)، فإنها دابة معادية (٢) للشمس ، إذا طلعت أهوت إليها لتلتقمها (حتى تحول بينها و بين حجبها ، و إذا غربت أهوت إليها لتلتقمها) ، فتذهب بك إلى جانب البحر ، فسر عليها راجعا حتى تنتهى الى النيل ، فسر عليه ، فإنك ستبلغ أرضا من حديد جبالها وأشجارها (وسهولها من حديد) ، فإن أنت جُزْتَهَا (٣) وقعت فى أرض (من نحاس جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس، فإن أنت جزتها وقعت فى أرض من فضة جبالها وأشجارها وسهولها من فضة ، فإذا أنت جزتها وقعت فى أرض) من ذهب جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب ، فيها ينتهى إليك علم النيل .

فسار حتى انتهى إلى أرض الذهب، فإذا فيها قبة من ذهب ، لها أربعة أبواب، فنظر إلى ما ينحدر من فوق ذلك السور، حتى يستقر فى القبة ، ثم ينصرف (٤) فى الأبواب الأربعة ، فأما ثلاثة فتغيض (٥) فى الأرض ، وأما واحد فيسير على وجه الأرض . قال حايد : فيشق على وجه الأرض، وهو النيل، فشرب منه واستراح، وأهوى إلى السور ليصعد، فأتاه ملك، فقال له : يا حايد ، قف مكانك ، فقد انتهى إليك علم هذا النيل ، وهذه الجنة ، والماء ينزل من الجنة ، فقال : أريد أن أنظر (إلى) ما فى الجنة، فقال له : إنك لن تستطيع دخولها اليوم يا حايد ، قال : فأى شىء هذا الذى أرى ؟ فقال : هذا الفلك (٦) الذى تدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحى ، قال : إنى أريد أن أركبه، فأدور فيه ، فقال بعض العلماء : إنه ركبه حتى دار الدنيا، وقال بعضهم : لم يركبه، فقال له يا حايد : إنه سيأتيك من الجنة رزق فلا تؤثر (٧) عليه شيئا من الدنيا، فإنه لا ينبغى لشىء من الجنة أن يؤثر عليه شىء من الدنيا، فإن فعلت (بقى) (٨) معك ما بقيت . قال : فبينما هو كذلك واقف إذ نزل عنقود

(١) فاركبها فى (ب) .
(٢) تعادى فى (ب) .
(٣) فى (ب) فإذا ، وفى (جـ) : وسهلها من نحاس .
(٤) يتصرف فى (١) .
(٥) تنزل فى الأرض وتغيب فيها .
(٦) الفضاء يدور فيه النجم أو الكوكب .
(٧) فلا تؤثرن فى (ب) .
(٨) ما بين القوسين ساقط من (١) .

من عنب فيه ثلاثة أصناف : (صنف[١]) لونه كالزبرجد الأخضر ، (وصنف[٢]) لونه كالياقوت الأحمر ، و (صنف[٣]) لونه كاللؤلؤ الأبيض ، ثم قال : يا حايد (أما ان) هذا من حصرم الجنة ، وليس[٤] من طيب عنبها ، فارجع ، يا حايد ، فقد انتهى إليك علم هذا النيل فقال : هذه الثلاثة التى تغيض فى الأرض ما هى ؟ قال : أحدها الفرات ، والآخر دجلة[٥] ، والآخر جيحان ، فارجع ، فرجع حتى انتهى إلى الدابة التى ركبها ، فركبها ، فلما أهوت الشمس لتغرب قذفت (به) من جانب البحر ، فأقبل حتى أتى عمران ، فوجده ميتا ، فدفنه وأقام على قبره ثلاثة أيام ، (فأقبل عليه شيخ مشبه بالناس ، أغر[٦] من السجود ، فسلم عليه ، وقال : يا حايد ما انتهى إليك من علم هذا النيل ؟ فأخبره ، فقال له : هكذا نجده فى الكتب ، ثم طوى ذلك التفاح ، وقال فى عينيه ألا تأكل منه ؟ قال : معى رزق ، قد أعطيته من الجنة ، ونهيت ألا أوثر عليه شيئا من الدنيا ، قال : صدقت يا حايد ، ولا ينبغى لشىء من الجنة أن يؤثر [عليه إلا[٧]] بشىء من الجنة ، وهل رأيت فى الدنيا مثل هذا التفاح ؟ إنما أنبت[٨] لعمران فى الأرض ، وليست فى الدنيا و إنما هذه الشجرة من الجنة ، أخرجها الله تعالى لعمران يأكل منها تفاحة ، فمضها ، فلما عضها عض يده ، قال له : أتعرفه ؟ هو الذى أخرج أباك من الجنة ، أما إنك لو سلمت هذا الذى كان معك لأكل منه أهل الدنيا قبل أن ينفد ، وهو مجهودك أن يبلغك ، فكان مجهوده أن يبلغه) ، ثم أقبل حايد حتى دخل مصر ، فأخبرهم بهذا الخبر[٩] ، ثم مات حايد بأرض مصر .

(حدثنا أبو محمد عبد الله ، حدثنا أبو بكر[١٠]) وأبو[١١]) إسمعيل قالا حدثنا أبو صالح عبد الله

---

(١) ، (٢) ، (٣) ما بين القوسين ساقط من (ا) ، ومن (ج) .

(٤) « فليس » فى (ا) . (٥) الدجلة فى (ب) .

(٦) أغر من السجود : بجبهته غرة ، وهى أثر السجود على الأرض فى جبهته

(٧) فى العبارة سقط ، وما وضعناه بين القوسين المربعين يكمل المعنى المقصود منها .

(٨) فى هذه العبارة تقديم وتأخير ، ولعلها : « وليست هذه الشجرة فى الدنيا ، وإنما [هى] من الجنة » .

(٩) فى (ب) بذلك « بدلا من « بهذا الخبر » .

(١٠) أبو بكر واسماعيل . الاسمان غير كاملين ، لذلك لم نستطع الترجمة لهما .

(١١) « أبو » ساقطة من (ا) ، والاسم كله ساقط من (ب) .

ابن صالح ، قال حدثنى (عبد الله) بن لهيعة (عن قيس[١] بن الحجاج [أن] عمر حدثه قال) : لما فتحنا مصر أتى أهلها عمرو بن العاص (حين دخل شهر بئونة من أشهر العجم) فقالوا : أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنَّة[٢] لا يجرى إلا بها . قال لهم : وماذاك ؟ فقالوا : إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر[٣] عمدنا إلى جارية بكر ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل ، فيزيد ما قدر الله تعالى ، فقال لهم عمرو : إن هذا الأمر لا يكون أبدا فى الإسلام ، فإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا بئونة وأبيب ومسرى لا يجرى لا قليل ولا كثير ، حتى هموا بالجلاء ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى (أمير المؤمنين[٤]) عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذى فعلت ، والإسلام يهدم ما (كان) قبله ، (وبعث ببطاقة فى داخل كتابه) ، وبعث إلى عمرو : إنى قد بعثت إليك ببطاقة فى داخل كتابى ، فألقها فى النيل فلما قدم إلى عمرو الكتاب أخذ البطاقة ، فإذا فيها : من عبد الله عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، إلى نيل مصر .

أما بعد فإن كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار (هو الذى) يجريك فنسأل الله أن يجريك على عوائد رحمته ، فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم ، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها ، لأنهم لا تقوم مصلحتهم (فيها) إلا بالنيل ، فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ست عشرة ذراعا فى ليلة واحدة ، وقطع الله تعالى هذه السُّنَّة السُّوء من أهل مصر إلى اليوم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وشرف الإسلام .

---

(١) قيس بن الحجاج بن خلى الكلاعى الحميرى المصرى ، روى عن حنش الصنعانى وأبى عبد الرحمن الحبلى ، وروى عنه ابن لهيعة والليث ، ووثقه ابن حبان (سح ١ : ١١٢) .

(٢) وما هى فى (ب) .

(٣) فى (ب) « من بئونة من أشهر العجم » بدلا من « من هذا الشهر » .

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل (١) .

ذكر ذلك ابن عبد الحكم وغيره . وقال (أبو محمد) : المقام الكريم المنابر ، وكان بها (أمير) المؤمنين[١] .

(وحدثنا[٢] أبو اسماعيل ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب : أن عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر، لأنه استقر عنده أنه كان يظاهر الروم على غزوات المسلمين ، فكتب بذلك إليهم ، فأخذ منه بضعة وخمسين إردبا دنانير .

قال أبو إسمعيل [حدثنا] عبد الله بن صالح، حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب : أن موسى عليه السلام كان قد دعا على فرعون ، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء منها ، ثم طلبوا (من) موسى أن يدعو لهم ، فدعا ربه رجاء أن يؤمنوا به ، وذلك في ليلة الصليب ، فأصبحوا وقد أجراه الله عز وجل في تلك الليلة ست عشرة ذراعا ، فاستجاب الله عز وجل لهذه الأمة ، كما استجاب لنبيهم موسى عليه السلام .

حدثنا عبيد الله ، حدثنا أبو إسماعيل)، حدثنا عبد[٣] الله (بن صالح) وابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافري[٤] عن عبد الله بن عمرو (أنه) قال : إن نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلّله له ، فإذا أراد الله عز وجل أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده ، فأمدته الأنهار بمائها ، وفجر الله تعالى له الأرض عيونا ، فإذا انتهى جريه إلى

---

(١) العبارة من : « وقال : المقام الكريم المنابر ، وكان بها أمير المؤمنين » مقحمة هنا ، وموضعها الصحيح بعد قوله تعالى : ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾ ، وبعد تفسير الجنات والخليج ، واسم الإشارة « ذلك » يشير إلى مجيء المصريين لعمرو ، وقولهم : « إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها ... إلخ » ولم نشأ أن ننقلها إلى مكانها المناسب حفاظاً على صورة الأصل ، وما بين القوسين مذكور في (جـ) فقط .

(٢) كما أن الجمل من : « وحدثنا أبو اسماعيل » إلى : « إردباً دنانير » لا صلة لها مطلقاً بموضوع زيادة النيل ونقصانه ، ويؤيد هذا أن المقريزي ذكر في (خ ١ : ٥٨) قصة دعاء موسى على فرعون وحبس النيل عقب قصة الجارية البكر التي كانت تلقى في النيل طمعاً في وفائه ، من غير أن يفصل بين القصتين بفاصل لشدة التشابه بينهما .

(٣) عبيد الله في (ب) .

(٤) المغافري في كل من (ا ، ب) .

ما أراد الله تعالى أوحى الله تعالى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره. (وقال[1] [ابن يونس]: فى قوله تعالى ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون . وكنوز ومقام كريم ﴾ ، قال[2] [أبو رهم السماعى] : كانت الجنان بحافتى هذا النهر من أوله إلى آخره فى الشقين جميعا، ما بين أسوان إلى رشيد، وكانت له سبعة خلج : خليج الإسكندرية ، وخليج دمياط[3] ، وخليج مردوس[4] ، وخليج منف ، وخليج الفيوم ، وخليج المنهى ، متصلة لا ينقطع منها شىء عن شىء ، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء ، وكانت جميع مصر تروى كلها يومئذ من ست عشرة ذراعا .

حدثنا أبو إسمعيل، أنبأنا عبد الله بن صالح، حدثنى ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب : أنه كان على نيل مصر فريضة[5] لحفر خلجها ، وإقامة جسورها ، وبناء قناطرها ، وقطع جزائرها مئة ألف وعشرون ألف فاعل ، معهم المساحى ، والطوارى[6] ، والآلة ، يعسفون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا . انتهى ما يتعلق بمصر ونيلها).

---

(١) القائل هنا : « ابن يونس » (خ ١ : ٢٣) .
(٢) والقائل هنا : « أبو رهم السماعى » (خ ١ : ٢٣) لا عبد الله بن عمرو كما يوهم النص (ا) .
(٣) خليج سخا فى (خ ١ : ٢٣) لا خليج دمياط .
(٤) فى (ا) بيردوس ، وفى (ج) بيردويس .
(٥) فى الأصل (ا) رصد فرضة بحفر خلجها ... إلخ ، وصوابها : « فريضة لحفر خلجها » كما فى (خ ١ : ٧٦) ، وفى (ج) فرضة لحفر خلجها ... إلخ .
(٦) فى المقريزى : الطور ، ويعتقبون (خ ١ : ٧٦) ، وفى « فصل فى ذكر ما حكى فى خراج مصر فى الجاهلية والإسلام » من هذا الكتاب : « يتعاقبون » . وفى (ج) : الطور والمساحى والأداة (لوحـة ١٢٠) .

[فصل فى ذكر المقاييس][1]

فأول من قاس النيل يوسف عليه السلام، بنى مقياسا بمنف، وهو أول مقياس وضع، وقيل كان يقاس قبل ذلك بأرض عُلْوة[2]. وكانت القبط (بمصر) تقيس على مقياس منف هذا إلى أن بطل، ثم من بعده مقياس "دلوكة" العجوز فى نواحى إخميم، (وكانت هناك)، (ومقياس آخر بأنصنا، وهو صغير الذرع، والعمل عليه عندهم)، ثم عملت القبط مقياسا آخر (فى قصر الشمع عند قيسارية الصوف، ثم عملت الروم مقياسا آخر) بالقصر خلف الباب الصغير، بمنة الداخل، (ثم بنى عمرو بن العاص مقياسا بأسوان[3])، ثم بنى فى أيام معاوية مقياسا بأنصنا، فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان، وكانت[4] منزله، وكان صغير الذرع، ثم وضع أسامة بن زيد[5] (أساس) المقياس القديم بأنف الجزيرة القبلى، (وقيل إنه كسر فيه ألفى أوقية)، وبنى أيضا بيت المال بمصر، ثم عمل محمد ابن عبد الله، خازن الإخشيد[6]، مقياسا بصناعة مصر، وهو باق إلى اليوم، ثم بنى المتوكل مقياسا بالجزيرة أول سنة سبع وأربعين ومئتين فى ولاية يزيد بن عبد الله التركى على مصر، وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد، والعمل عليه إلى يومنا هذا. وأمر المتوكل بعزل

---

(١) هذا الفصل يقع فى الأصل (ب) بين فصلى « من ولد بمصر » و « فتوح مصر »، وبآخره : فرعون موسى، وبختنصر وابنه .

(٢) أول مقياس وضعه عليه السلام فى (خ ١ : ٥٧) — والعلو والعلوة من كل شىء أرفعه .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ا) .

(٤) وكانت (أى حلوان) منزله فى (خ ١ : ٥٨) وفى (جـ : لوحة ١٢٠) وفى الأصل (ا) « وكان منزله » .

(٥) أسامة بن زيد فى الأصل (ب) وفى (خ ١ : ٥٧) وفى (جـ كذلك)، أما فى الأصل (ا) فابن يزيد، والصواب ما ذكرته (ب، خ، جـ) . وأسامة هذا عامل خراج مصر للخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك، وقد بنى هذا المقياس سنة ٩٧ هـ كما فى (خ ١ : ٥٨) — وألف الجزيرة : أولها وطرفها . وفى (صبـ ٣ : ٢٩٨) : أن أسامة بن زيد بنى مقياساً فى جزيرة الصناعة المعروفة الآن بالروضة .

(٦) العبارة من أول : « ثم عمل محمد بن عبد الله إلى : « وهو باق إلى اليوم » مكررة فى هذا الفصل، وموضعها الصحيح فى آخره .

النصارى عن قياسه ، وورد كتابه إلى القاضى بكار بن قتيبة بأن لا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره ، فاختار يزيد و بكار (١) أبا الرداد ، و [اسمه] المعلم عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرداد المؤدب العجمى ، أصله من البصرة ، قدم مصر وحدث بها ، فجعل على قياس النيل ، وأجرى عليه سليمان بن وهب ، صاحب خراج مصر يومئذ ، سبعة دنانير فى كل شهر ، فلم يزل المقياس من ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده إلى هذا اليوم . وتوفى أبو الرداد سنة ست وستين ومئتين .

ثم ركب أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومئتين ، ومعه أبو أيوب ، صاحب خراجه ، و بكار بن قتيبة القاضى ، فسار إلى المقياس ، وأمر بإصلاحه ، وقدر له ألف دينار فعمر . ثم بنى محمد بن عبد الله ، خازن كافور الإخشيد ، مقياسا بصافة مصر ، لا يعتمد عليه ، وهو باق إلى اليوم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) هذا الاسم فى (ا) : « أبو الدرداء عبد السلام بن عبد [الله] الرداد المؤدب » . وفى الأصل (ب) : « أبو الرداد عبد الله بن سلام بن عبد الله السلود المعلم العجمى » . وفى (جـ : لوحة ١٢١ : أبو الدرداء والمعلم عبد الله بن عبد السلام بن عبد [الله] الرداد المؤدب العجمى . وصحة الاسم : « أبو الرداد المعلم ، واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرادد المؤذن » كما فى (خ ١ : ٥٨) .

فصل فى ذكر القاهرة بالخصوص

أقول : لما أراد الله سبحانه وتعالى إيجادها (فى أول أمرها) حرك فى قلب الملك المعز معدّ بن منصور[1] القائم بأمر الله بن عبيد[2] الله المهدى الفاطمى وهو بالمهدية[3] بإفريقية من الغرب أخذ مدينة مصر بعد (موت) كافور الإخشيدى[4] ومواليه . وكان الخلفاء من بنى العباس ضعفوا، وقد اشتغلوا عن ديار مصر بقتال الديلم، والفتن التى قامت ببغداد، فعزم على أخذها، وخاف أن يغزو بنفسه، ويخيب سعيه، فيفوته المغرب، ولا تحصل له مصر، فأرسل قائدا من قواده، يعنى أميرا يسمى جوهرا الصقلى[5] بعسكر عظيم، ومعه ألف حمل من السلاح، ومن الخيل ما لا يوصف، لأخذ ديار مصر، وأمره إذا تملكها أن يبنى له بلدا بالقرب منها، لتكون له ولجنده سكنا، فجاء القائد جوهر، وتسلم مصر بعد أمور يطول شرحها[6]، فاختط سور القاهرة، و بناه بالطوب اللبن، وكانت برية[7] تعرف ببئر العظمة والعظام، وهى الآن (خلف الركن المخلق[8]) خلف جدار قبلة الجامع الأقمر من القاهرة، واختط فى وسط المدينة القصور بترتيب ألقاه إليه أستاذه، وموضعها الآن خزائن السلاح[9] والبيمارستان العتيق والمدارس وما يقرب من ذلك . ورتبها على سبع حارات للواصلين (إليها[10]) مع أستاذه من المغرب من الجند وغيرهم، وهى : حارة زويلة، وحارة الروم، وحارة كتامة، وحارة الديلم، وحارة بهاء الدين، وحارة برجوان، وحارة الصقالبة، وسماها « المنصورية »، وذلك فى سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة من الهجرة النبوية .

---

(١) ابن المنصور بنصر الله أبو الظاهر اسماعيل ، أما القائم بأمر الله فهو لقب أبى القاسم محمد جد المعز وولى عهد عبيد الله المهدى (خ ١ : ٣٥١) .

(٢) فى الأصل (ا ، ب) : عبد الله . (٣) المهدوية فى الأصل (ب) .

(٤) الإخشيدى فى (ب) .

(٥) الصقلبى فى الأصل (ا) . (٦) ذكرها فى (ب) . (٧) صحراء .

(٨) والجامع الأقمر بمرجوش على يمين السائر إلى باب الفتوح .

(٩) وموضعها الآن من أول حى الصاغة إلى قرب باب الفتوح طولا ، وعرضاً من حى الصاغة إلى برج الظفر .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ا) .

فلما قدم المعز من القيروان إلى ديار مصر، وتسلمها (وجلس على سرير ملكها) أطاعه[1] أهلها . وكان عارفا بالأمور، مطلعا على الأحوال بالذكاء، جيد المعرفة (بالنجوم) ، وأقام بالقاهرة سنتين ونصفا، ثم مات فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، وثلاث مئة .

وكان قد غير اسمها وسماها القاهرة، والسبب فى ذلك أن جوهرا لما قصد إقامة السور جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الأساس ، وطالعا لرمى حجارته ، فجعلوا قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أجراس، وأعلموا البنائين[2] أن ساعة تحريك (هذه) الأجراس ترمون ما بأيديكم من الطين والحجارة[3] (فى الأساس)، فوقف المنجمون لتحرير هذه الساعة، فاتفق من مشيئة الله سبحانه وتعالى ان وقع غراب على خشبة من تلك الأخشاب، فتحركت الأجراس ، فظن الموكّلون بالبناء أن المنجمين قد حركوها ، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة فى الأساس ، فصاح المنجمون : لا ، لا ، القاهر[4] فى الطالع ، فمضى ذلك، وخاب[5] ما قصدوه . وكان الغرض أن يختاروا طالعا لا يخرج البلد من نسلهم وعقبهم، فوقع أن المريخ كان فى الطالع ، وهو يسمى عند المنجمين القاهر، (فعلموا أن الأتراك لا بد أن يملكوا هذا الإقليم والبلد ولا تزال[6] تحت حكمهم) .

فلما قدم المعز من القيروان وأخبروه بالقصة، وكانت له خبرة تامة بالنجوم، وافقهم على ذلك ، وأن الترك يكون لهم الغلبة على هذه البلدة، فغير اسمها الأول ، وسماها القاهرة، وكان كما قال، فملكها الترك إلى وقتنا هذا، فلله الأمر من قبل ومن بعد .

(قلت) : وحكى المسعودى أن الإسكندر وقع له (مثل)[7] ذلك فى بناء الإسكندرية، وأنه أحب أن يرمى أساسها دفعة واحدة من سائر أقطارها فى وقت (محمود)[8] يختاره . وطالع

(١) فى (ا ، ب) ، وأطاعه ، فالواو هنا مقحمة لأن جملة أطاعه جواب « لما » .

(٢) البنـاء فى (ا) . (٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل (ا) .

(٤) القاهرة فى (ا) و (جـ) والصواب : القاهر كما فى (ب) .

(٥) فى (ب) خاب . وفى (ا ، جـ) خانهم ، ولعلها محرفة عن فاتهم .

(٦) فى الأصل (ا) ولاتزل تحت حكمهم . وبهامش (جـ : لوحة ١٢٣) تعليق يفيد أن هـذه القصة تذكرها كتب التواريخ فى بناء ثلاث مدن : الاسكندرية والقسطنطينية والقاهرة .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ا) . (٨) ما بين القوسين ساقط من (ا) .

سعيد . فخفق[١] (رأس) الإسكندر وكان قد احترز فى نفسه فى حال ارتقابه الوقت المحمود ، فنام، فجلس غراب على حبل الجرس الكبير فحركه فصوت ، وتحركت الحبال، وخفق ما عليها من الأجراس الصغار، وكان ذلك معمولا بحركات هندسية، وحيل حكمية، فلما سمع الصناع تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة، وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس ، فاستيقظ الإسكندر من رقدته، وسأل عن الخبر (فأخبر[٢]) فتعجب وقال : أردت أمرا وأراد الله غيره ، (ويأبى الله إلا ما يريد) ، أردت طول بقائها ، وأراد الله سرعة فنائها وخرابها .

(قال صاحب السكردان[٣] : وبعض الناس يزعم فى القاهرة أنها سميت باسم قبة فى قصور الفاطميين تسمى القاهرة ، وهى موجودة إلى الآن، والصحيح ما قلناه) .

ثم اختط جوهر المذكور بالقاهرة « الجامع[٤] الأزهر » بعد إقامته بها نحوا من ثلاث سنين قبل دخول المعز إليها ، فهو أول بيت وضع للناس بها ، وفرغ من بنائه لسبع[٥] خلوت من رمضان (وأقيمت فيه الجمعة فى رمضان) سنة إحدى وستين وثلاث مئة .

ولما ولى « العزيز بن المعز » جدّد فيه أشياء وعمر به عدة أماكن (قال الزركشى[٦] : قال الشيخ شمس الدين[٧] الجزرى ، ومن خطه نقلت ، من كتابه « الجمان ») : يقال إن به طلسما ألا يسكنه[٨] عصفور ولا يفرخ فيه ، وعلوا منارته فى أيام قاضى القضاة (صدر الدين

---

(١) خفق فلان : نام ، وخفق النوم رأسه : ضربه ، وما بين القوسين ساقط من (ا) .
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ا) .
(٣) اسم كتاب . ومعنى السكردان : مخزن السكر .
(٤) شرع فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (خ ٢ : ٢٧٣) .
(٥) لتسع (خ ٢ : ٢٧٣) .
(٦) الزركشى : هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) له : البرهان فى علوم القرآن وشرح البخارى وغيرهما (سح ا ٢٥٦)
(٧) شمس الدين الجزرى : هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله الجزرى المصرى (٦٣٧-٧١١ هـ) كان فقيها عارفاً بالأصلين والنحو والبيان والمنطق والطب (سح ١ : ٢٣٤) .
(٨) لا يسكنه فى (ب)، وفى (خ ٢ : ٢٧٣) فلا يسكنه ، والطلسم هنا عبارة عن صورة ثلاثة طيور منقوشة ، كل صورة على رأس عمود (خ ٢ : ٢٧٣)

موهوب الجـزرى[(١)] ، وكان فيـه تنوران فضـة ، فلما احترقت مصر فى سنة أربع وستين وخمس مئة تغيرت هذه المعالم . واستمرت الخطبة فى الجامع الأزهر (حتى بنى[(٢)] الجامع الحاكمى فى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة . فخطب به وانقطعت الخطبة من الجامع الأزهر) فى مئة سنة ، لأن الغز[(٣)] ملكوا مصر . واستولوا عليها فى سنة أربع وستين وخمس مئة .

فلما ملك الظاهر ركن الدين بيبرس الديار المصرية أمر باقامة الجمعة بالجامع الأزهر ، وكان ذلك فى سـنة خمس وستين وست مئـة ، وأفتى قاضى القضاة تاج الدين (بن[(٤)] بنت الأعز على أنه لا يجوز إقامة جمعتين ، وأفتى قاضى القضـاة شمس الدين الحنبلى بالجـواز ، وتوقف النـاس فى ذلك لإضرار القاضى تاج الدين) . ثم أقميت فيـه الجمعة ثامن وعشرى ربيع الأول سـنة خمس وستين وست مئة ، وحضر الصلاة به الصاحب بهاء الدين بن حنا وجماعة من الفقهاء والأمراء ، وصلى السلطان فى ذلك اليوم بالقلعة .

(وفى تاريخ شيخنا المقريزى رحمه الله تعالى ذكر هذه القصة بأبسط من ذلك، فقال :

وفى يوم الجمعـة ثامن عشر ربيع الأول من سـنة خمس وستين أقيمت الجمعـة بالجامع الأزهر من القاهرة ، وكانت قد بطلت منه منذ ولى قضاء مصر صدر الدين بن[(٥)] عبد الملك

---

(١) صدر الدين موهوب بن عمر بن موهوب الجزرى (٥٩٠ – ٦٦٥ هـ) ، برع فى المذاهب والأصول والنحو ، وولى القضاء بمصر (سح ١ : ١٧٤) . فى الأصل (ا) موهب، وفى (جـ) مواهب . والمقصود بالتنور جهاز من معدن تركب فيه القناديل .

(٢) أول من أسس هذا الجامع العزيز بالله ، وأكمله ابنه الحاكم بأمر الله (خ ٢ : ٢٧٧) .

(٣) فى الأصلين (ا، ب) : لأن المعز ، ولعله محرف عن الغز كما جاء فى (جـ : لوحة ١٢٤) غير أن الغز لا يطلق إلا على قبائل الترك . وفى (خ ٢ : ٢٣٢ ، ٢٧٥) أن السلطان صلاح الدين – وهو أول من ملك مصر من الأكراد الأيوبية – استبد بالسلطة من أول سنة ٥٦٧ هـ ، وانقطعت الخطبة فى الأزهر من زمانه إلى زمن الظاهر بيبرس ، وسر انقطاع الخطبة فى الجامع الأزهر وقصر إقامتها على الجامع الحاكمى هو أن الصبغة الشيعية كانت لاصقة بالأزهر منذ عهد الفاطميين، والأيوبيون أهل سنة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى عدم جواز إقامة خطبتين للجمعة فى بلد واحد ، كما يقضى بذلك مذهب الإمام الشافعى ، ومن جهة ثالثة كان الجامع الحاكمى أوسع من الأزهر وقتئذ (خ ٢ : ٢٧٥ ، ٢٧٦) .

(٤) مابين القوسين ساقط من (ا ، ب) ، ومذكور فى (جـ : لوحة ١٢٤) . وفى (خ٢: ٢٧٥، وجـ) أقيمت الجمعة ثامن عشر لا ثامن وعشرى . ولإضرار القاضى تاج الدين أى خوفاً من إنزاله الضرر بهم ، لأنه كان ذا حظوة لدى السلطان .

(٥) صدر الدين عبد الملك فى (خ ٢ : ٢٧٥) .

ابن دِرباس عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن سكن الأمير عز الدين أيدمر الحلى بجواره ، فانتزع كثيرا من أوقاف الجامع الأزهر، كانت مغصوبة بيد جماعة ، وتبرع له بمال جزيل[١] ، وأطلق له من السلطان جملة من المال وعمر الواهى من أركانه وجدرانه ، وبيضه وبلطه ، ورم سقوفه ، وفرشه واستجد به مقصورة ، وعمل فيه منبرا ، فتنازع الناس فيه هل تصح إقامة الجمعة فيه أو لا ؟ فأجاز ذلك جماعة من الفقهاء ، ومنعه قاضى القضاة[٢] (تاج الدين بن بنت الأعز وغيره) ، وصمم على المنع ، فعمل الحلى بفتوى من أجاز ذلك ، وأقام فيه الجمعة ، وسأل السلطان أن يحضر ، فامتنع من الحضور ما لم يحضر قاضى القضاة تاج الدين ، (فحضر) الأمير الأتابك ، والصاحب بهاء الدين بن حنا ، وعدة من الأمراء والفقهاء ، ولم يحضر السلطان ولا قاضى القضاة تاج الدين) .

وعمل الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار بالجامع مقصورة ، ورتب فيها مدرسا وجماعة من الفقهاء على مذهب الإمام الشافعى ، ورتب محدثا يُسمِع الحديث النبوى ، ورتب سبعة لقراءة القرآن العظيم ، وعمل على ذلك أوقافا تكفيه ، (والله أعلم[٣]) .

---

(١) العبارة من قوله : « وأطلق » إلى قوله « من أركانه » مضطربة فى الأصل(ا)، وقد استعنا فى تصحيحها بما جاء فى المقريزى (خ ٢ : ٢٧٥) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ا ، ب) ومذكور فى (جـ : لوحة ١٢٥) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ا) ، ومن (جـ) .

فصل فى ذكر محاسن مصر الكلية الجامعة التى (تفضل بها غيرها على سبيل الإجمال)

وهى ما وجدناها عليه الآن وأدركناها، وهذه فصول مخترعة لم أر قبلى من سطرها لذلك، فأقـــول :

أما إقليم مصر فإنه أعظم أقاليم الإسلام، (وأوسعها علما) .

وأما القاهرة بالخصوص فبلد عظيم الشأن، وكرسى الإمام (وبغية الإسلام)، والدليل على شرفها وعظمها اتخاذ الملوك لهـا دارا، و بيت المـال بها قرارا، وجيوش الإسلام لهـا استقرارا، (و رحل إليها ونشأ بها واستوطنها) العلماء الأعلام، (والسادة من أولياء الله الكرام)، وأهـل (الفضائل و) الصناعات البديعة، (والتجار)، وسائر أصناف الخـلق على اختلاف أجناسهم[(1)] وأنواعهم، قاطنون بها لا يبرحونها[(2)]. وأما المترددون للتجارة وغيرها فأكثر من أن يحصروا فى عصر وزمان. وهى الآن أحق بقول أبى إسحاق الزجاج فى بغداد : هى حاضرة الدنيا وما سواها بادية) .

والقول الكلى الجامع لفضلها أن تقول : (إنها) قوام الحيوان كله بالقوت والمـاء .

وأما أقواتها فعظيمة جدا (وكثيرة، كما هو معلوم مشاهد، فإنها تمير) ولا تمار، وهى اختلاف أصنافها من قمح وشعير وأرز وفول وغير ذلك ألذ من أقوات ما سواها وأطيب، (فقد اشتهر أن أقوات الشام ينقصها[(3)] أى كمال، [فى] تغذيتها ولذتهـا وطيبها، وذكر أن الإردب القمح الصعيدى الطيب يرمى من ست بطط[(4)] زنتها بالرطل المصرى ثلاث مئة رطل، وربما يزيد على ذلك .

وأما ماؤها فبحر النيل، وليس فى الدنيا له نظير، ينزل على الحجر فيهضمه، وهو مجمع على طيبه وحلاوته، ورقته ولطافته، لايخالف فيه إلا كثيف الطبع (سيئ المزاج، محتاج إلى العلاج.

---

(١) على اختلاف طبقاتهم فى (ب) .   (٢) فى الأصل (أ، جـ) : لايبرحون عنها، والصواب ما أثبتناه .

(٣) فى الأصل (ا) تنقص عنها، وكذلك فى (جـ : لوحة ١٢٦) .

(٤) بطط : جمع بطة، وهى هنا إناء على صورة البطة يستعمل مكيالا .

وقد تقدم بيان فضله فى ذلك مفصلا، ويكفى أنه من ماء الجنة، معدود من أنهارها .

وأما [ماء] بلاد الشام فهو إما من آبار تحفر، أو ما يجمع من المطر، أو من عيون وأنهار جارية ، وكلها ليس فيها ما يقاربه . وماء دمشق بالخصوص من أثقل المياه على المعدة وأكثفها لبطء انحداره ، وقلة هضمه للغذاء ، وخصوصا إذا انضم إليه أكل الفاكهة الغليظة ، فربما كان سببا للتلف .

ولقد سمعت شيخنا المرحوم قاضى القضاة شيخ الإسلام ابن حجر[١] ينقل عن بعضهم أن الماء فى غير دمشق يشرب، وأما ماؤها فيؤكل ، وهواؤها ، إذا اختلف ، سم قاتل) . ولقد ذكروا أن أصول الملاذ[٢] فى الدنيا ثلاثة ، وقيل أربعة : المأكول والمشروب والنكاح[٣] والمسموع[٤] الطيب ، والمنظر الحسن ، وهى[٥] بمصر أكمل من غيرها (وأحسن، فمن أعظم المأكول : اللحم ، والحلو ، وما يتنوع منهما [من] الطيب ، وكلها بحمد الله تعالى بمصر كثيرة فائقة فى الحسن، وأما اللحم فيشمل : الإبل، والبقر، والغنم ، وهو المأكول بها، وهى من أعظم الحيوان خلقة بمصر ، وأكثرها لحما ودهنا ودسما ، وألذ من لحوم بلاد الشام والحجاز . فقد نقلوا أن لحم دمشق لا لذاذة فيه وإن كان نظيفا ناشفا، ويظهر أن سبب ذلك طيب المرعى وحسن التربة ، وخصوصية بالماء، وشهد به من جرب ، وله ذوق .

ورأيت عن الكندى ما نصه:) اتفقوا على أن عسل مصر أطيب وماءها أطيب ، ولحمها أطيب، وحبها أطيب، وبهذا فضلت مصر على الشام ، لأن هذه الثلاثة هى عماد الحياة، (فحبها أطيب من حب الشام ، ولحمها وماؤها . انتهى) .

---

(١) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ... الكنانى العسقلانى ثم المصرى الشهير بابن حجر العسقلانى (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ) ، إمام الحفاظ فى زمانه ، ألف كتباً كثيرة كشرح البخارى ، وتهذيب التهذيب ، والإصابة (سخ ١ : ١٥٣) .

(٢) اللذات فى (ب) . (٣) والمنكوح فى (ب) .

(٤) فى (ب) و « الملبوس » بدلا من « والمسموع الطيب ، والمنظر الحسن » فى (١) ، و(جـ) .

(٥) وهذا كله فى (ب) .

وكان (بها) الصاحب[1] جمال الدين الدمشقى المولد ، المصرى الدار ، وبها توفى ، تغمده الله برحمته ، [وكان] شيخنا ظريفا فصيحا حسن الشكل والكلام ، وكان يذكر لنا كثيرا ويقول : لا تفاخر شاميا قط فيما يقوله عن دمشق من حسن مأكل ومشرب (ونحوهما) ولكن قل له شيئين ضرورين : لا يستغنى الإنسان وغيره عنهما (أبدا فى كل حال)، وهما الماء والهواء . أما ماء مصر فمعلوم حسن وفضله عند كل من له أدنى ذوق ، وأما هواؤها ونسيمها فلطيف بارد ينعش الروح والبدن ، (وخصوصا الآتى من[2]) على وجه الماء (وخصوصا) فى زمن الربيع ، وليس بدمشق ولا غيرها مثلهما قط . وهذا شرح يطول ذكره (والله أعلم) .

---

(١) فى (ب) الشيخ جمال الدين.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

فصل فى ذكر ما اختصت به مصر والقاهرة وأهلها من محاسن وفضائل ، وما شاركها فيه غيرها (وهو قليل بالنسبة إليها ، على سبيل التفصيل)

الأول : عِظم مدينة القاهرة (الآن) وكثرة خلقها وأبنيتها من أسواق وشوارع وربوع (وغيرها)[1] (وبيوت) وجوامع ومدارس ، (فمن المعلوم المقطوع به بالحسن ، فلا حاجة إلى المفاضلة فيه ، لأنه من خواص هذا البلد السعيد) . ولقد تواترت الأخبار (وأجمع المسافرون والسائحون فى بلاد الله تعالى الشاسعة ، وأرضه الواسعة) أنه ليس فى الدنيا (تحت السماء) من مشرقها إلى مغربها مدينة أعمر بكثرة الخلق منها ، لا يكاد ينقطع الزحام بشوارعها العظيمة ، وهى ضيقة لكثرة الناس والدواب حتى إلى الليل ، (وبعد العشاء بكثير ، ولا تشق فيهم إلا بالكتف . ومن لم يكن متيقظا يداس بسرعة ، وهى وإن كان ثم مدن بالمشرق والمغرب أكثر منها مساحة ولكنها قليلة الناس ، عديمة الإيناس[2] ، وأنا أقول : إن هذه ليست بمدينة واحدة ، بل مدن مجتمعة ، إذ فى كل شارع وخط ومحلة منها بيوت ودروب وأسواق وجوامع ومدارس تصلح أن تفرد بمدينة واحدة ، بل فى كل ربع من ربوعها ما يعمر بهم قرية) .

وكان شيخنا العلامة شمس الدين[3] القاياتى يقول فى خانقاه سعيد[4] السعداء وحدها : إن أهلها يعمرون مدينة ، (وقد بلغت عدة الصوفية بها فى هذا الوقت سبع مئة نفر وأكثر ،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ا) . (٢) لا يأنس الإنسان فيها بغيره .

(٣) شمس الدين القاياتى : هو محمد بن على بن يعقوب قاضى القضاة الشافعى النحوى (٧٨٥-٨٥٠ هـ) برع فى الفقه والعربية ، ودرس الحديث بالبرقوقية ، والفقه بالأشرفية والشافعى والشيخونية (سح ١ : ١٨٧)

(٤) الخانقاه : رباط الصوفية ، وملجأ الفقراء من الصوفية . وخانقاه سعيد السعداء اسمها فى (خ ٢ : ٤١٥) خانكاه الصلاحية ، وكانت تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء ، وهو الأستاذ قنبر ، ويقال عنبر ، أحد الأستاذين المحنكين ، خادم القصر ، عتيق المستنصر . وقد قتل قنبر فى ٧ من شعبان سنة ٥٤٤ هـ ، ثم خصصها الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لفقراء الصوفية سنة ٥٦٩ هـ ، وللمرابطين للقتال فى الحروب الصليبية .

تغمدهم[1] الله برحمته ، وتغمد روح واقفها بالرحمة ،) وما أحسن ما أنشده[2] العلامة زين الدين عمر بن الوردى[3] (حيث قال هذه الأبيات) شعر :

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

معارضا لقول ابن زريق[4] الكاتب (حيث قال فى بغداد) :

سافرت أبغى لبغداد وساكنها * مثلا وذلك شىء دونه الياس
هيهات بغداد[5] (هى) الدنيا بأجمعها * عندى وسكان بغداد هم الناس

وما قاله حق ، فقد كانت بغداد فيما مضى من الزمان دار السلام ، (وفيها الإسلام .

وقد قال يونس بن عبد الأعلى : قال لى الشافعى[6] أبا موسى: دخلت بغداد؟ قلت : لا . قال : ما رأيت الدنيا ، والقاهرة الآن بهذا الوصف ولله الحمد ،) وناهيك بمدينة ينفق فيها فى كل ليلة ثمن زيوت وحدها توقد فى الجوامع والبيوت (والحوانيت) ، ما ينيف[7] على عشرة آلاف دينار (تقريبا) ، وفى صبيحة كل يوم جمعة يلقى (فى الترب) على المقابر بالقرافتين والصحراء (من الريحان وسعف[8] النخل والآس[9] والبقل) ما يتجاوز ثمن خراج إقليم ،

---

(١) تغمدهم الله برحمته : غمرهم بها . (٢) فى (ب) ما أحسن قول .

(٣) زين الدين عمر بن الوردى : هو أبو حفص عمر بن مظفر (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه ، تفنن فى العلوم ، وأجاد فى المنثور والمنظوم (فو ٢ : ١٤٥) . وفى (جـ : لوحة ١٢٨) فقابلها بتفضيل .

(٤) ابن زريق الكاتب : هو محمد بن زريق الكاتب البغدادى ، رحل إلى الأندلس ، ولم يطل البقاء بها ، فعاد إلى بلاده . وقصيدته التى أولها : لا تعذليه فإن العذل يولعه * قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه تمثل ما دار بينه وبين زوجته من عتب بسبب عودته .

(٥) فى (ب) « هيهات بغداد وهى الدنيا بأجمعها » ، والصواب « هى الدنيا بأجمعها » .

(٦) أبو موسى الشافعى : لم نوفق إلى ترجمة له .

(٧) فى (ب) ما ينوف ، وكلاهما صحيح . (٨) سعف النخل : أغصانه ما دامت بالخوص .

(٩) الآس : شجر دائم الخضرة ، بيضى الورق ، أبيض الزهر أو ورديه ، عطرى .

ثم يضم ويطرح فى المزابل ، ثم يوقد (به) فى النار ، وما سمعنا بمثل ذلك فى بلد من الدنيا[(١)] (ولقد أخبرنى شيخنا عز الدين[(٢)] القدسى شيخ الصلاحية كان رحمه الله تعالى فى سنة ثلاث وأربعين : أن القاهرة الآن ليست على قيراط من أربعة وعشرين ، أعنى بالنسبة إلى ما شاهده قبل ذلك ؛ وكيف لو رآها اليوم ؟) وأنا أسأل الله (من فضله) أن يجعلها أبدا كذلك : دار إيمان وأمان ، عامرة إلى يوم القيامة .

الثانى : جوامعها ومدارسها وربطها وبيوت أمرائها ورؤسائها المنتهية[(٣)] فى الحسن (والمبالغة العظيمة فى زخرفتها بألوان الرخام العجيبة المثمنة النفيسة البهيسة المنظر) ، وتمويه سقوفها وجدرانها بالذهب واللازورد[(٤)] ، وصب الأموال فيها صبا من غير تقدير ولا اتفاق[(٥)] ، وغالب مدارسها (ولله الحمد) معمورة بعبادة الله تعالى (من إقامة الصلوات والأذكار ، وقراءة القرآن والحديث ، والاشتغال بالعلوم الشرعية وغيرها) آناء الليل وأطراف النهار ، وتجد فى كل مدرسة (وجامع) جمعا من الطلبة يشتغلون بأنواع العلوم من كل فن ، لا يعلم بهم ولا يفتش عليهم ، ولا يسأل عنهم ، ولا يعرفهم إلا من خالطهم فى اشتغالهم .

الثالث : جامعها الأزهر بالخصوص فليس فى الدنيا (الآن ، فيما أعلم ، له نظير ولا ينقطع ذكر الله تعالى عنه طرفة عين فى ليل ولا نهار ، وفيه أروقة لأصناف من الخلق (منقطعين لعبادة الله تعالى . والاشتغال بالعلوم وتلاوة القرآن ، لا يفترون[(٦)] ساعة) .

الرابع : حماماتها ، فهى فى غاية الحسن فى بنائها من كثرة الرخام والزخرفة واعتدال حرارتها وكثرة المياه بها جزافا[(٧)] (بلا كيل ولا ميزان ، بل داخلها يشبع من سكب الماء حتى يتعب ويمل ، ويستعمل ما قدر عليه ، ولا يرده عن الإسراف إلا دينه مع خشية الأجرة المدفوعة بقيمتها لمن أراد .

---

(١) من البلاد فى (ب) . (٢) الشيخ عز الدين القدسى ممن أخذ عنهم والد السيوطى (المتوفى سنة ٨٥٥) هـ .
(٣) فى (ا) و (جـ) إليها المنتهى فى الحسن .
(٤) اللازورد : صبغ شديد الزرقة تحلى به السقوف والجدران مع غيره من الألوان الذهبية وغيرها .
(٥) فى الأصلين (ا ، ب) « ولا انفاق) » ، ولعلها : « اتفاق » .
(٦) لا يفترون : لا يتوقفون . (٧) جزافاً : من غير حساب ولا تقدير .

وبلغنى أن حمامات دمشق ، مع كثرة مياهها ، فى غاية من قلة المـاء ، يستعمل منه بقدر الحاجة ثم يسد عليه) .

الخامس : تربتها ، وقبورها ، وما اشتملت عليه القرافتان (فى الصحراء) من مدارس وجوامع وسبل وأنواع البر من الصدقات (أكثر من أن تحصر ، وهم بحمد الله تعالى مرابطون[(١)] بهـا ، على كثرة الزيارات ، وقـراءة القرآن والذكر وبذل الصـلات[(٢)] فى غالب الأوقات) يمضون اليها (فى الليل الأليل[(٣)]) فى ليال معلومة لمشاهد مشهوة بالمناور[(٤)] وهم يذكرون الله تعالى فى جمع (لأجل استماع القرآن ، و) زيارة من بها من أولياء الله تعالى (والسادة الأعلام ، من المشايخ الكرام) .

السادس : جبلها المقطم بالميم ، والعامة تقولها بالباء ، سمى بذلك لأنه قطعت أطرافه ، قال البكرى : وفيه مـن الخاصية[(٥)] العجيبة التى لا توجد فى غيره[(٦)] (وهى) حفظ أجساد الموتى بحيث لا تكاد تبلى إلا بعد دهر طويل .

وقد ذكر الإمام[(٧)] البخارى فى تاريخه (الكبير) فى ترجمـة عمير بن أبى مدرك الخـولانى [أنه] سمع سفيان بن وهب[(٨)] الخولانى قال :

بينما نحن نسير مع عمرو بن العاص فى سفح هـذا الجبل (إذ) قال عمرو : يا مقوقس ، مابال جبلكم هذا أقرع ليس فيه نبات (ولا شجر على نحو جبل الشام؟) قال : ما أدرى ولكن الله تعالى أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك (ونجد فى الكتب[(٩)]) : ليدفنن تحته (أو ليقبرن) قوم

(١) مرابطون بها : مواظبون عليها ، ملازمون لها .

(٢) فى الأصل (ا) الصلاة .

(٣) الشديد الظلمة .

(٤) فى (ب) مشهودة ، والمناور : وسائل الإضاءة .

(٥) الخاصية فى (ب) ، وفى (ا) الخاصة .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ا) .

(٧) الإمام البخارى : هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخارى أبو عبد الله (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) ، صاحب « الجامع الصحيح » المعروف « بصحيح البخارى » ، وهو أوثق الكتب الستة المعول عليها فى الحديث (ع ٦ : ٢٥٨) .

(٨) سفيان بن وهب الخولانى ، أبو أيمن (المتوفى سنة ٩١ هـ) ، له صحبة ورواية ووفادة ، شهد حجة الوداع ، وفتح مصر وإفريقية ، وسكن المغرب ، لم يرو عنه غير أهل مصر (صح ١ : ٩٨) .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ا) .

يبعثهم الله عز وجل يوم القيامة لاحساب عليهم . قال عمرو : اللهم اجعلني منهم ! قال حرملة[١] : فرأيت أنا قبر عمرو بن العاص . وقبر أبي بصرة[٢] السعدى وعقبة بن عامر (انتهى).

وقيل لبعض العلماء بمصر : ما بال الجبال بالشام تنبت الجوز ، والبلوط ، والفاكهة ، وجبلكم هذا لا ينبت ؟ فقال : جبلنا ينبت الذهب ، والفضة ، والزمرد ، وجميع عقاقير الأدوية التي هي قِوام الخلق ، وشِفاء الناس) .

السابع : اختصاصهم[٣] بقبر الإمام الأعظم الشافعي القرشي (بن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفنه بأرضهم) فقد روى ان الربيع[٤] بن سليمان قال سمعت الشافعي ينشد :

لقد أصبحت نفسي تتوق[٥] إلى مصر * ومن دونها أرض المهامه[٦] والقفر

فوالله ما أدرى أللفوز والغنى * أساق إليها أم أساق إلى قبر ؟

قال : فوالله لقد سيق إليهما جميعا .

قال القضاعي : الشافعي مدفون في مقابر قريش بمصر ، وحوله جماعة من بني زهرة من أولاد عبدالرحمن بن عوف[٧] ، وقبره مشهور مجمع عليه ، وهو القبر البحرى من القبور الثلاثة التي تجمعها مسطبة[٨] واحدة غربي الخندق .

الثامن : اختصاصهم بقبر الإمام الجليل الليث[٩] بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف (الفهمي) ، وكنيته : أبو الحارث ، ولد سنة أربع وتسعين ، ومات رحمه الله تعالى سنة خمس وسبعين ومئة يوم الجمعة في النصف من شعبان ، ودفن بمشهده المعروف المشهور بالقرافة .

---

(١) هو حرملة بن عمران بن قراد التجيبي أبو حفص المصرى الحاجب (المتوفى سنة ١٦٠ هـ) وثقه ابن معين ، وروى عنه ابن وهب وغيره (خز : ٧٤) . (٢) أبو بصرة السعدى : لعله أبو بصرة الغفارى المدفون في مصر ، وقد تقدم التعريف به . (٣) اختصاص أهل مصر في (ب) .

(٤) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى مولاهم أبو محمد المصرى (المتوفى سنة ٢٧٠ هـ) ، مؤذن الفسطاط ، وصاحب الشافعي ، وراوى كتاب « الأم » (خز : ١١٥) . (٥) تشتاق .

(٦) المهامه : جمع مهمه : المفازة البعيدة ، والبلد المقفر . والقفر : الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ . وفي (جـ) : أم أساق إلى قبرى .

(٧) عبد الرحمن بن عوف ... بن زهرة بن كلاب بن مرة الزهرى أبو محمد (المتوفى سنة ٣٢ أو سنة ٣٣ هـ) ، شهد بدرا والمشاهد ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، له خمسة وستون حديثاً (خز : ٢٣٢)

(٨) بسطلة في (ب) . (٩) الليث بن سعد بن عبدالرحمن بن عوف الفهمي أبو الحارث — تقدمت ترجمته .

التاسع : اختصاصهم بضريح السيدة الجليلة نفيسة[١] بنت زيد بن على بن أبى طالب بن عم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ توفيت سنة ثمان ومئتين ، ودفنت بمشهدها المعروف بجوار بيوت الخلفاء العباسيين بمصر (الآن) وقيل[٢] : إنه متعبدها ، وأما مقبرها (فهو) القرافة يعرفه بعض الناس (رحمة الله عليها) .

(العاشر : اختصاصهم[٣] بقبور السادة الأجلاء من الصحابة ، وهم : السيد الجليل عمرو بن العاص صاحب [مصر] وفاتحها ، والسيد الجليل عقبة بن عامر الجهنى بمشهده المعروف بالقرافة) .

الحادى عشر : اختصاصهم بمدافن علماء وأولياء وصلحاء بالقرافتين وغيرهما يضيق هذا المجموع عن استعابهم ، وقد أفرد لذكرهم بأسمائهم ومواضع مشاهدهم كتب مصنفة فى ذلك ، (نفعنا الله ببركاتهم فى الدنيا[٤] والآخرة أنا وأحبائى واخوانى . آمين) .

(الثانى عشر : حكى ابن أبى حجلة[٥] وغيره أنه) اشتهر عند المصريين من قديم أن بالقرافة سبعة قبور ، الدعاء عندها مستجاب مجرب لقضاء الحوائج ، وأن من زارها يوم السبت وسأل الله حاجته قضيت وهى : قبر ذى النون[٦] المصرى وقبر أبى الخير الأقطع[٧] ، وقبر الربيع

(١) السيدة نفيسه بنت حسن الأنور بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، زوج اسحاق بن جعفر الصادق ، ولدت بمكة المشرفة سنة ١٤٥ هـ ، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره ، وقدمت إلى مصر سنة ١٩٣ هـ ، وتوفيت سنة ٢٠٨ هـ ، ودفنت بمصر (نور الأبصار الشبلنجى) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ا) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصلين (ا ، ب) ومذكور فى (جـ : لوحة ١٣١) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ا) .

(٥) ابن أبى حجلة التلمسانى : هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد المغربى (٧٢٥ — ٧٧٦ هـ) ، محدث ، فقيه ، نحوى ، أديب (ع ١ : ٢٥٥) . والبيت بين القوسين زيادة فى (حل : ٢٩٩) ، والأبيات الثلاثة منسوبة فيها إلى النصير الحمامى .

(٦) ذو النون المصرى : هو ثوبان بن ابراهيم أبو الفيض (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) أول من عبر عن علوم المنازلات ، وحدث عن مالك والليث وابن لهيعة ، وكان أوحد وقته علماً وورعاً وحالا وأدباً (سح ١ : ٢١٨) .

(٧) أبو الخير الأقطع : المعروف بالتينانى (المتوفى سنة ٣٤٣ هـ) ، أصله من المغرب ، كان أوحد عصره فى طريقة التوكل ، وله فراسة حادة (سح ١ : ٢١٩) .

المالق[1]، وقبر القاضى بكار[2]، وقبر القاضى كنانة[3]، وقبر أبى بكر المزنى[4]، وقبر أبى الحسن الدينورى[5] نفعنا الله تعالى ببركاتهم آمين .

الثالث عشر: اختصاصهم بوضع الآثار الشريفة النبوية بأرضهم وبلادهم، وقد زرتها، ورأيتها، وهى مرود ومخضب[6]، وقطعة من الفضة، وضم إليها أشياء من آثار الأولياء، وقيل : إن الصاحب تاج الدين بن حنا[7] اشترى هذه الآثار الشريفة بستين ألف درهم، وجعلها فى مكانه المعشوق بالروضة على شاطئ النيل .

ثم اختصاصهم بإقامة الخلفاء من بنى العباس عندهم، من سنة تسع وخمسين وست مئة بعد خراب بغداد[8] وانقطاع الخلافة منها، وإلى وقتنا هذا .

فأول من قدم منهم إلى الديار المصرية فى العام المذكور الإمام أبو العباس[9] أحمد بن الإمام الظاهر بالله محمد بن الإمام الناصر، فركب الملك[10] الظاهر بيبرس وخرج لتلقيه فى موكب عظيم ثم أنزله بالقلعة، وبالغ فى إكرامه، ثم جمع القضاة والأمراء ووجوه الناس بقاعة الأعمدة، وأثبت نسبه قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز[11]، (وشهد جماعة عنده

---

(١) الربيع المالقى (أو المالق) : لم نعثر له على ترجمة .

(٢) القاضى بكار بن قتيبة بن أسد الثقفى أبو بكر الفقية (١٨٢ – ٢٧٠ هـ) ، قاضى الديار المصرية ، له تصانيف فى الشروط والوثائق والرد على الشافعى فيما نقضه على أبى حنيفة (سح ١ : ١٩٧)

(٣) القاضى كنانة : لم نعثر له على ترجمة .

(٤) أبو بكر المزنى : لم نستطع العثور على ترجمته .

(٥) أبو الحسن الدينورى : هو على بن محمد بن سهل (المتوفى سنة ٣٣١ هـ) ، زاهد ، له كرامات (سح ١ : ٢١٩) .

(٦) المخضب : الإجانة تغسل فيها الثياب ، وخرقة الخضاب .

(٧) الصاحب تاج الدين بن حنا : هو محمد بن محمد بن على .. المصرى أبو عبدالله (المتوفى سنة ٧٠٧هـ)، حدث بدمشق ومصر ، وانتهت إليه رياسة عصره بمصر (وافى جـ ١ طبع استانبول سنة ١٩٣١ ص ٢١٧) ، و (سح ١ : ١٦٣) .

(٨) خربت بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ .

(٩) فى (سح ٢ : ٤٩) اسمه : أبو القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله ، وهو الخليفة المستعصم ، وأخو المستنصر ، ولقب المستنصر بالله بلقب أخيه .

(١٠) فركب ساقطة من (ا ، ب) ، ومذكورة فى (جـ) .

(١١) هو أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامى (المتوفى سنة ٦٦٥ هـ) ، ولى قضاء الديار المصرية ، وتدريس الشافعى والصالحية والوزارة . والأعز كان وزير الكامل (سح ١ : ١٧٤) ، وما بين القوسين ساقط من (أ ، ب) .

بالاستفاضة ، ثم قاضى القضاة) وأشهده على نفسه بثبوت نسبه ، وسجله و بايعه ، ثم بايعه السلطان وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم (ولقب بالمستنصر بالله) ، ثم قلد السلطان الملك الظاهر البلاد الإسلامية ، وما أضيف إليها ، وما فتحه من بلاد الكفار[(١)] ، (ولقبه بقسيم أمير المؤمنين) وهو أول من لقب بها ، ثم أمر السلطان أن يكتب إلى الملوك والنواب أن يخطب باسمه ، ثم خلع الخليفة على السلطان خلعة الخلافة ، وهى فرجية سوداء بتركيبة زركش وعمامة سوداء ، وطوق ذهب ، وقيد ذهب وسيف بداوى[(٢)] وكتب تقليده ، فركب السلطان بها ، وشق القاهرة ، وأخذ السلطان فى تجهيزه وتسييره إلى بغداد ، فسار فى ثالث ذى القعدة ونزل على الرحبة[(٣)] ، فاتصل خبره بقرابغا ، مقدم التتار ببغداد. فبينما الخليفة بجانب الأنبار[(٤)] ليلة الأحد ثالث المحرم إذ صبحه قرابغا بمن معه ، فاقتتلوا ، وانكسر قرابغا ، ووقع أكثر عسكره فى الفرات ، وكان قد أكمن جمعا فخرج الكمين ، فأحاط بعسكر الخليفة ، فقتلوا عسكره ، ولم ينج منهم إلا من طال عمره ، ولم يعرف للخليفة خبر إلى الآن .

ثم قدم ديار مصر يوم الجمعة سادس وعشرى صفر سنة ستين وست مئة الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن[(٥)] بن على بن الحسن بن أمير المؤمنين المرشد بالله ، ثم أنزله السلطان الظاهر بيبرس أيضا بالقلعة ، بالبرج الكبير ، ورتب له كفايته ، فأقام إلى ثامن المحرم سنة إحدى وستين . ثم أراد السلطان أخذ البيعة ، فعقد له مجلسا ، وصنع به كالذى قبله ، ولقب بالحاكم بأمر الله ، ثم أنزله إلى مناظره فى[(٦)] الكبش ، ثم أنزله بها إلى أن مات فى ثانى عشر جمادى

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ا ، ب) ، ومذكور فى (جـ) .

(٢) فى (جـ : لوحة ١٣٣) : سيف بداوى ، وفى (ا ، ب) : بداو .

(٣) رحبة مالك بن طوق ببغداد .

(٤) مدينة على الفرات فى غربى بغداد ، بينهما عشرة فراسخ (٣٠ ميلا) (ب ١ : ٣٦٧) .

(٥) فى (سح ٢ : ٥٢) اسمه : أبو العباس أحمد بن الأمير أبى على الحسن القبى بن الأمير على ابن الأمير أبى بكر بن أمير المؤمنين المسترشد بالله . وفى (جـ : لوحة ١٣٣) : الراشد بالله .

(٦) جمع منظرة ، والمناظر : قصور الانتظار والضيافة ، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أعوام بضع وأربعين وست مئة بجوار الجامع الطولونى (المحاضرة الثانية « الفسطاط » من المحاضرات الأثرية ليوسف أحمد) . وفى (سح ٢ : ٥٤) أن الذى أسكنه فى مناظره بالكبش هو المنصور لاجين ، وهو أول خليفة مات بمصر من بنى العباس .

الأولى سنة إحدى وسبع مئة ، فتـولى غسله والصلاة عليه شيخ الشيوخ كريم الدين الأيلي ، وحمل إلى جامع ابن طولون ، فصلى عليه ، وحمل إلى مشهد السيدة نفيسة ، فدفن بجوارها في قبـة بنيت له ، وكانت له جنازة مشهودة . وهو أول خليفة دفن بمصر من العباسيين ، وكانت خلافته أربعين سنة ، والخلفاء إلى وقتنا هذا من ذريته .

ثم ولى بعده ابنه أبو الربيع[1] سليمان المكتفى بالله في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن مات سنة اثنتين وأربعين[2] بقوص .

ثم أقاموا بعده ابنه العباس[3] أحمد بعهد من أبيه ، وتلقب بالحاكم بأمر الله كلقب جده إلى أن توفى في سنة أربع وخمسين .

ثم ولى أخوه أبو الفتـح أبو[4] بكر بن الامام المكتفى بن الحـاكم ، وكان المتـولى لأمور المملكة يومئذ المقر السيفى شيخو ، فأقامه ، وعقـدوا له مجلسا وبايعوه ، وتلقب بالمعتضد بالله إلى أن توفى ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبع مئة ، فمكث عشر سنين .

ثم ابنه الإمام أبوعبد الله محمد بن المعتضد ، بعهد من أبيه ، ولقب بالمتوكل على الله ، إلى أن بلغ السلطان الظاهر برقوق عنه في شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبع مئة أنه اتفق مع الأمير قرط بن عمر التركمانى والأمير ابراهيم وجماعة على الفتك بالسلطان وطلب الأمر لنفسه ، فطلبه السلطان وقرره[5] وهو يحلف ان هـذا الكلام ليس له صحة ، فاشتد حنق السلطان عليه وسل النمشاة[6] ليضرب عنقه ، فقام سودون النائب وحال بينه وبينه ، وما زال به حتى سكن

(١) في (سح ٢ : ٥٤) : أبو الربيع سليمان ، ولقب المستكفى بالله بن الحاكم بأمر الله .

(٢) في (سح ٢ : ٥٧) : سنة ٧٤٠ هـ .

(٣) الواقع أنه عهد بالخلافة إلى ابنه أحمد ، ولكن الناصر لم يلتفت إلى ذلك العهد ، وطلب ابن أخى المستكفى : ابراهيم بن ولى العهد المستمسك بالله أبى عبد الله محمد بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد ، وبايعه الناصر ، ولقب الواثق بالله . ولما ملك أبو بكر المنصور خلع الواثق ، وولى أحمد ابن المستكفى (سح ٢ : ٥٨ ، ٥٩) ، وكانت وفاته سنة ٧٦٣ هـ (سح ٢ : ٦٥) .

(٤) اسمه في (سح ٢ : ٦٥) : أبو بكر بن المستكفى أخو الحاكم بأمر الله ، وكنى أبا الفتح .

(٥) قرره بالذنب : حمله على الاعتراف به .

(٦) النمشاة : سيف نمش : به خطوط تتراءى في متنه .

غضبه فأمر بقرط وابراهيم، فنهر، واستدعى القضاة ليفتوه بقتل الخليفة فلم يفتوه وقاموا عنه، فسجن الخليفــة فى موضع بالقلعة مقيــدا ، ثم طلب السلطان زكريا وعمر[1] ابنى ابراهيم ، عم المتوكل ، فوقع الاختيار على عمر ، فولاه الخلافة ، وهو ابن عم الخليفة المستعصم بالله بن المستمسك بالله أبى اسحاق إبراهيم بن محمد الحاكم، فخلع عليه، وتلقب بالواثق بالله، ثم أفرج السلطان عن المتوكل فى ذى القعدة ونقل من سجنه بالبرج إلى دار فى القلعة، وطلع إليه عياله، فمكث الواثق بالله الى أن توفى ســنة ثمــان وثمــانين ، فلما كان يوم الخميس ثامن وعشرى شهر شوال منها استدعى السلطان زكريا بن الخيفة المعتصم بالله الى القصر ، وحضر الأمراء والأعيان، فأحضر لهم عهد عمه المعتضد له بالخلافة، و بايعوه بالخلافة، وتلقب بالمعتصم بالله أبى يحيى ، فمكث ، ثم خلع ، واستدعى السلطان الخليفة المتوكل على الله فى جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين بحضرة الأمراء وأعيان الدولة، فقام اليه السلطان وتلقاه وأجلسه، وأشار الى القضاة، فحلف كل منهم للآخر، فحلفوا على الموالاة والمناصحة، ثم خلع عليه، وقدمت له حجر شهباء[2] بسرج وكنبوش[3] وسلسلة ذهب ، فركب ونزل من القلعــة إلى داره فى موكب جليل، ثم فى ذى الحجة قبض على الخليفة المخلوع زكريا وأخذ منه عهد أبيه وأشهد عليه أن لاحق له فى الخلافة ، واستمر المتوكل فى الخلافة الى أن مات ليلة الثلاثاء ثامن وعشرى شهر رجب سنة ثمان وثمان مئــة ، فمكث ، وعرض عليه الاستقلال بالأمر مرتين فأبى، وكثر ماله، ثم بويع[4] أبوالفضل العباس بن محمــد المتوكل على الله، ولقب بالمستعين بالله ، فلمــا خرج مع الناصر لمحاربة شيخ[5] ونوروز بدمشق ، وأقبلت علامات الخذلان على الناصر وآل ملكه إلى الزوال، خلعه المستعين بالله من الملك فى يوم السبت خامس وعشرى المحرم سنة خمس عشرة وثمان مئة ، ثم سلطنوا الخليفة المستعين بالله بعد امتناعه من ذلك كثيرا بحيلة دبروها عليه ،

(١) فى (سح ٢ : ٦٦) طلب عمر بن ابراهيم بن المستمسك بن الحاكم .
(٢) حجر شهباء : حجر : فرس ، وشهباء : بيضاء بها شعرات سود .
(٣) كنبوش : لعل المقصود بهذه الكلمة غطاء لجسم الفرس .
(٤) كان المتوكل قد عهد بالخلافة لولده أحمد ، ولقبه المعتمد على الله ، ثم خلعه وعهد إلى ابنه أبى الفضل العباس (سح ٢ : ٦٨) .
(٥) لخروج هذين الأميرين عليه فى المحرم سنة ٨١٥ هـ .

فقبل وبايعه الأمراء والأعيان بأجمعهم ، وأطبقوا على يده ، وحلفوا له على الوفاء ببيعته ، وأجلسوه على كرسى الملك ، وألبسوه السواد ، ووقفوا بين يديه على قدر مراتبهم بعد تقبيل الأرض على العادة ، فخلع على الأمير بكتمر خلعة بنيابة الشام ، وعلى قرقماس سيدى الكبير بنيابة حلب ، على سودون الجلب بنيابة ترابلس .

ثم قدموا القاهرة فلما كان يوم الاثنين مستهل شعبان خلعوا المستعين من السلطنة ، وأقاموا الملك مؤيد شيخ المحمودى ، فأقام حاكما ، منذ جلس خارج دمشق وإلى هذا اليوم ، سبعة أشهر وخمسة أيام ، ثم بعث به مع أولاد الملك الناصر فرج فى يوم النحر عاشر ذى الحجة سنة تسع عشرة ليحبسوا بالأسكندرية ، ووكل بهم الأمير كزل(١) الأرغون ساوى ، فسجنوا بها ، فمكث بها الخليفة المستعين بالله إلى أن توفى يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ، ولم يبلغ الأربعين ، وترك ولدا ذكرا اسمه يحيى .

قال المقريزى : وكان خيرا لينا دينا حشما وقورا إلا أن الأيام لم تسعده والأقدار لم تساعده .

ثم بويع المعتضد(٢) بالله ابو الفتح داود بن الخليفة المتوكل على الله يوم الخميس النصف من ذى الحجة سنة ست عشرة وثمان مئة ، استدعاه السلطان الملك المؤيد شيخ من داره ، فلما حضر قام إليه وأجلسه إلى جانبه ، ثم أمر باحضار القضاة الأربعة وهم :

جلال(٣) الدين البلقينى الشافعى ، وناصر(٤) الدين محمد بن كمال الدين عمر بن العديم الحنفى ، وشهاب الدين(٥) أحمد بن محمد الاموى المالكى المغربى ، ومجد(٦) الدين سالم بن سالم بن عبد الملك

(١) فى (ج: لوحة ١٣٦) كزك . (٢) طالت مدته فى الخلافة نحو ثلاثين سنة (سح ٢ : ٧١) .

(٣) جلال الدين البلقينى الشافعى ، المقصود به هنا صالح بن عمر بن رسلان البلقينى (٧٩١–٨٦٨ﻫ) ، شيخ الإسلام ، العالم بالفقه والحديث ، لأنه هو الذى ولى القضاء بمصر (ع ٣ : ٢٧٩) .

(٤) ناصر الدين محمد بن كمال الدين عمر بن العديم الحنفى . توفى كمال الدين فى جمادى الآخرة سنة ٨١١ ﻫ ، وتولى ابنه ناصر الدين محمد ، ثم عزل فى رجب من نفس السنة (سح ٢ : ١٢٢) .

(٥) شهاب الدين أحمد بن محمد الأموى المالكى المغربى ، تولى القضاء بمصر فى ربيع الآخر سنة ٨١٦ ﻫ (سح ٢ : ١٢٣) . (٦) مجد الدين سالم بن عبد الملك الحنبلى : تولى القضاء بمصر سنة ٨٠٣ ﻫ ، ثم صرف فى سنة ٨١٨ ﻫ (سح ٢ : ١٢٤) .

الحنبلى، وخلع على أبى الفتح داود، وأقيم فى منصب الخلافة، ولقب بأمير المؤمنين المعتضد بالله، ودعا له القضاة وانصرفوا .

الرابع عشر : ترتيب مملكتها فى طلوع الأمراء والجند والمباشرين لدار ملكها بقلعة الجبل (السعيدة) للخدمة السلطانية فى أيام معلومة بلباس مخصوص وهيئة جميلة وأبهة عظيمة ومنازل معلومة لمراتبهم، وخدمة القصر والإيوان والدهيشة(١) والحوش والجامع بالقلعة بترتيب قويم، ونظام عظيم، والقراءة للقرآن المرتبة بالقصر السلطانى فى كل يوم، وقراءة الحديث (الشريف) النبوى، وهو صحيح البخارى، (بالقصر) فى رمضان (وختمه)، وخلع الخلعات النفيسة من الصوف، والسمور(٢) والسنجاب(٣) على القضاة الأربعة، وقارئ الحديث، وأعيان المشايخ، وبذل الصلة للطلبة السامعين، وكذا طلوع الأمراء والمباشرين، وأرباب الوظائف (كلهم) على اختلاف طبقاتهم (للتهنئة فى يوم العيد الصغير والخلع عليهم بأجمعهم من الأطرزة المزركشة بالذهب وأنواع الحرير والصوف (والسمور) والسنجاب، كل منهم على حسب مقامه، وكذا تفرقة السلطان فى يوم عيد الأضحى من الأبقار السمينة، والأغنام المعلوفة لا تكاد تحصر، ثم يجلس وينحر بيده ويفرق ما شاء) .

الخامس عشر : دوران المحمل الشريف النبوى المتوجه إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام (من شهر رجب فى كل عام بعد النداء(٤) بين يدى مصر والقاهرة ثلاثة أيام، فيدور فى اليوم الرابع) ومعه كسوة الكعبة المشرفة و [كسوة] مقام سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام، (وستر ضريح نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام بالحجرة الشريفة) كل ذلك من الحرير المذهب (المنمق النفيس، ثم يمرون بذلك من باب القاهرة إلى الرميلة(٥) تحت

---

(١) فضاء يؤدى إلى الإيوان . الدهيسة فى (ب)
(٢) السمور : حيوان ثديي ليلى من أكلة اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين .
(٣) السنجاب : حيوان أكبر من الجرذ، له ذنب طويل، كثيف الشعر، ولونه أزرق رمادى .
(٤) أى بعد الإعلان عن خروج المحمل استعدادا للحج .
(٥) الفضاء بأسفل سور القلعة (قره ميدان) .

القصر بقلعة الجبل تجاه باب السلسلة[١] لينظره السلطان، وهو بالخرجة، من القصر ومعه القضاة الأربعة ونوابهم وأعيان الدولة وسائر فرق الفقراء بأعلامهم وطبولهم فيقبل[٢] جمله الأرض للسلطان، ثم يمضوا إلى مصر العتيقة، وهى مزينة لذلك، ثم يعود إلى القاهرة، وفى تلك الأيام يلعب (أعيان) الجند بالرماح فى الفضاء الواسع عند قبر سيدى أبى العباس الجزار[٣] بالقرافة، ويلعبون هناك فنونا عجيبة وأندابا[٤] غريبة، ويركبون المماليك الصغار خيولا قد نصب عليها السيوف والرماح بالقباقيب، وفى أيديهم رماح صغار يلعبون بها وهم على ذلك).

السادس عشر: اختصاصهم بكسر بحر النيل المبارك (عند أوانه): وهو بلوغه ست عشرة ذراعا، ليصرفوه إلى القرى والمزارع (والخلجان) بسائر إقليم مصر. وهو (أيضا) يوم مشهود يركب له السلطان أو نائبه مع الأمراء وأركان الدولة (من قلعة الجبل فيخرج من باب السلسلة إلى الرميلة ثم الصليبة، ثم مناظر الكبش إلى أن يدخل إلى مصر العتيقة تجاه دار النحاس[٥] على شاطئ النيل، فينزل هناك، وقد أعدت له الحراقة[٦] والذهبية، وهما باسم السلطان، مزينتين مزخرفتين بالذهب وغيره، فينزل السلطان ومن معه من الخواص بالحراقة، وينزل من بقى بالذهبية، وهناك مراكب شتى وحراريق لا تكاد تحصر مزينة، يركب فيها أربابها من الأمراء والمباشرين وغيرهم، ثم تسير الحراقة بالسلطان، وتلك المراكب كلها، فيشق بحر النيل إلى أن ينتهى إلى الروضة آخر الكلام، ثم يعود السلطان)، فيقطعون ذلك الكوم[٧] فى أقل من دقيقة ثم (يقدم له خيوله و) يكر راجعا إلى القلعة المنصورة.

وهذا لا يوجد لغير مصر.

(١) الباب القريب من الميدان تجاه جامع السلطان حسن.
(٢) يبرك على يديه تحية للسلطان.
(٣) أبو العباس الجزار: لم نعثر له على ترجمة.
(٤) جمع ندب، وهو القوس السريعة السهم.
(٥) رحبة أمام فندق الأشراف عرفت قديماً بدار النحاس، وبها مدرسة الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى (مدينة الفسطاط، وهى المحاضرة الثانية من المحاضرات الأثرية ليوسف أحمد — طبع ١٩١٧).
(٦) ضرب من السفن يتخذ للنزهة.
(٧) كذا فى الأصل، ولعل المقصود به التل

السابع عشر : كسر قناطر سد أبو المنجا[(١)] . فى يوم النيروز ثم كسر قناطر شيبين[(٢)] القصر فى عيد الصليب وهما من ضواحى القاهرة يخرج للفرجة عليها خلائق عظيمة ، ولهم شرح مطول ، وشيء لا يكاد يوصف من المسرة والفرح وغير ذلك) .

الثامن عشر : البرسيم بأراضى مصر فى أيام الربيع فإنها تصير تربة خضراء بمنظر بهيج إذا وقف الناظر فيها يرى مدّ بصره يمينا وشمالا ، بساطا أخضر ، جاءت عظمة خالقه ، ويشم فيه روائح طيبة ونسيما طيبا لطيفا ، وغيما[(٣)] كثيفا وظلا رقيقا . وطيورا مختلفة الألوان والأشكال والأصوات . ولهذا قال بعض الحكماء : من أراد أن ينظر إلى [شبه] الجنة فلينظر إلى ديار مصر فى زمن الربيع قبل طلوع الشمس .

التاسع عشر : غيطان مصر أى بساتينها وهى عظيمة كثيرة ، ومناظرها عالية ، ومياهها جارية غزيرة ، فيها كثير من الأشجار النضرة ، والأزهار العطرة والرياحين ، والفواكه الكثيرة من غالب الثمار ، لكن الحوامض فيها أكثر ، لأنها نافعة محتاج إليها لإصلاح الغذاء والدواء فان أكل ليمونة وقت الحاجة خير من مئة تفاحة ، وهى كثيرة جدا ، لا قيمة لها بمصر ، وقال بعض الأطباء : وأماغيرها من سائر الفواكه فكثير جدا مليح طيب ، إلا أن أهله يستعجلون بقطعه قبل نضجه طلبا لسعره ، فيتلف ويصير رديا لمن رآه أو أكله ، وهى وإن كثرت بديار مصر فأهلها أكثر منها ، فهى لا تظهر للنظار بهذا الاعتبار ، وكذا الفواكه[(٤)] باقليم مصر وقراه مليحة كثيرة ، ولقد أخبرنى المولى سيدى عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على [الله] أمير المؤمنين العباسى أنه أكل بقرى البحيرة فاكهة أطيب من فاكهة الشام ، منها عنب زنة كل عنقود خمسة أرطال ، أحلى من العسل المذاب ، وأنعم من السلّى[(٥)] لا يحتمل مس الأيدى

---

(١) أبو المنجا : اسم خليج تسميه العامة « بحر أبى المنجا » ، والذى حفره الأفضل بن أمير الجيوش فى سنة ست وخمس مئة ، وكان يشرف على حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودى ، فعرف به .

(٢) هى جسر شيبين القصر الذى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧ هـ بين شيبين القصر وبين بنها العسل (خ ٢ : ١٧٠) .

(٣) أى ويشاهد غيما .

(٤) يبدو أن فى هذه الفقرة تكرارا متعلقا بوصف الفواكه .

(٥) غشاء رقيق يحيط بالجنين .

وأكل بطيخا يشـبه الصيفى فى شـكله : غير أن داخله مرمل ، أحلى من الشهد . وأكل [بمريوط] تينـا أسود صغيرا أحلى من العسل ، وأشياء غير ذلك .

العشرون : البريم وبركة الحبش وهى ملقـة[1] كبيرة تزيد على الف فدان يزرع فيها القطن[2] والكتان يصل اليها المـاء من بحر النيل فى أيام معلومة فإذا رويت حبس عنها المـاء ، فينصب إلى قناطر هناك قريبة من البحر تسمى البريم ؛ فينصبون فيها شباكا لصيد السمك ، فيجتمع فيها فى الساعة الواحدة قناطير مقنطرة من أنواع السمك ، ولها منظر عجيب ، والله تعالى أعلم .

الحادى والعشرون : قصـور مصر القديمة ومساكنها ومدارسها وجوامعها بشاطئ بحر النيل ويقابلها الروضة كذلك من جهة الغرب ممتدة بطولها ، وهى جزيرة متوسطة بين بحر مصر والبحر الأعظم ، خضرة ، نضرة ، ذات بساتين وأشجار كثيرة ، وكان بها قديما قلعـة وقصور الملوك السالفة ، وبطرفها المقياس المبارك فى ملتقى البحرين ، وبيوتها ومساكنها تقابل بيوت مصر من جهة الشرق ، وبينهما البحر ، يوصل إليها من مصر فى المعادى وهى مراكب صغار وكبار معدة لتعدية الناس ، والدواب خاصة) .

الثانى والعشرون : القصور والمناظر والبيوت والمساكن الممتـدة على شاطئ بحـر النيل بمدينة بلاق ، وهى متصلة الأبنيـة والبساتين بالقاهرة ، ابتـدئ بالبناء فيها فى أيام الملك (المؤيد) شيخ ، ثم أخذ النـاس فى البناء ، وتزايد إلى وقتنا هـذا ، فصارت مدينة ضخمة ذات أسواق وحمامات وشوارع وأزقة ، يتيه السالك فيها إن لم يكن معـه دليل ؛ وسكنها خلق عظيم من سائر البـلاد ، وامتدادها طولا من جهـة البحر من جزيرة الفيل[3] إلى الجزيرة الوسطى ، فراسخ كثيرة . ومن أجل تلك القصور قصر المقر الأشرف[4] الجمالى ، ناظر الخواص ،

(١) الملقة : الصفاة الملساء .

(٢) فى الأصل (ا) : القرط ، وفى (ج : لوحة ١٤٠) القطن .

(٣) جزيرة الفيل : كانت بلداً كبيراً خارج باب البحر من القاهرة ، وكانت تتصل بمنية السيرج من شمالها ، ويمر النيل من غربيها (خ ٢ : ١٨٥) .

(٤) قصر المقر الأشرف الجمالى : لعله نسبة إلى بدر بن عبد الله الجمالى (المتوفى سنة ٤٨٧ هـ) ، قلده المستنصر وزارة السيف والقلم (ع ٢ : ١٣) .

تغمده الله برحمته، والقصر البارزى [١]، والقصر الباسطى [٢]، وهو الآن باسم المقر الأشرف الزينى ابن مزهر، كاتب السر، والقصر المعروف بالبزانجية [٣] والمدرسة الجعانيـة [٤]، وهى ظريفـة لطيفة، والقصر المعروف بالحجازية [٥]، (ثم القبطية) والقصر الشرقى من إنشاء المقـر [٦] الأشرف القضائى شرف الدين الأنصارى، والقصور الطنبدية [٧] والخاجية، وغير ذلك ولا يعلم اليـوم فى مملكة من المـالك الإسلامية نظير هذه).

الثالث والعشرون: مقطعات النيل بأراضى مصر بعد البحر وأخذه فى الهبوط، ويزرع فيها من أنواع الزراعات، وبها طيور عاكفة وأصوات مختلفة ومن أى عجيبة [٨]).

الرابع والعشرون: المراكب الكبيرة العظيمة كالجبال بشاطئ بحـر النيل، المعدة للسفر فيها، على اختلاف أنواعها وأشكالها، يحمـل فيها الأحطاب، وأنواع الغـلات. وسائر الأرزاق، فى كل مركب منها تملأ شونه من الغـلال ومن جملتها التبن، وفى رصه صناعة عجيبة لا تعرف إلا فى هذه الديار).

---

(١) القصر البارزى: لعله نسبة إلى ناصر الدين محمد بن محمد بن الفخر عثمان بن الكمال محمد ابن عبد الرحيم بن عبيد الله بن المسلم البارزى (٧٦٩ – ٨٤٣ هـ)، برع فى الأدب، وولى كتابة السر بالديار المصرية (سح ١ : ٢٧٤).

(٢) القصر الباسطى: نسبة إلى القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقى ناظر الجيوش ومنشىء الجامع الباسطى بخط الكافورى من القاهرة سنة ٨٢٢ هـ (خ ٢ : ٣٣١).

(٣) القصر المعروف بالبزانجيـة لم نقف على شخصية من نسب إليه هذا القصر.

(٤) المدرسة الجيعانية: لعلها نسبة إلى يحيى بن شاكر بن عبد الغنى بن شاكر، أبو زكريا شرف الدين ابن الجيعان (٨١٤ – ٨٨٥ هـ)، كان مستوفى ديوان الجيش بمصر، صاحب كتاب «التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية» (ع ٩ : ١٨٤).

(٥) القصر المعروف بالحجازية: نسبة إلى مالكته خوندتتر الحجازية بنة الملك الناصر محمد ابن قلاوون وزوج الأمير بكتمر الحجازى وبه عرف (خ ٢ : ٧١، ٣٨٢).

(٦) قصر المقر الأشرف القضائى شرف الدين الأنصارى: نسبة إلى زكريا بن محمد ... الأنصارى (٨٢٣ – ٩٢٦ هـ)، شيخ الإسلام، قاض، مفسر، من حفاظ الأحاديث، ولاه السلطان قايتباى قضاء القضاة (ع ٣ : ٨٠).

(٧) القصور الطنبدية والخاجية: لم نعثر على ترجمة لمن نسبت إليه هذه القصور وفى (ج: لوحة ١٤١) سقط من أول «ولا يعلم اليوم فى مملكة من الممالك الإسلامية نظير هذه» إلى قوله: «ولم أره منقولا أنه قال: من لم يتزوج بمصرية لم يكمل إحصانه».

(٨) كذا فى الأصل (ا)، ولعل المقصود من كل عجيبة.

الخامس والعشرون : حسن فهمهم فى العلوم الشرعية وغيرها من سائر العلوم ، وسرعة تصورهم واقتدارهم على الفصاحة بطباعهم (وعذوبة ألفاظهم ولطافة شمائلهم) وحسن وسائلهم (أمر محسوس ، غير منكور ، تشهد لهم بذلك الناس حتى إن كل من عرفهم وخالطهم اكتسب من فصاحتهم ، واختلس من لطافتهم . وإن [كان] أعجميا لحفا(١) [أو] فلاحا جلفا(٢)) .

(السادس والعشرون : حسن أصواتهم ، ونداتهم ، وطيب نغماتهم وشجاها ، وطول أنفاسهم وعلاها(٣) فمؤذنوهم إليهم الغاية فى الطيب ، ووعاظهم ومغنوهم إليهم المنتهى فى الإجادة والتطريب) .

السابع والعشرون : نساؤها اللاتى خلقهن الله تعالى للتمتع بهن ، وطلب النسل منهن ، أرق نساء الدنيا طبعا وأحلاهن صورة ومنطقا ، وأحسنهن شمائل(٤) ، (وأجملهن ذاتا) ، وخصوصا المولدات منهن ، وهى من يكون أبوها تركيا وأمها مصرية ، أو بالعكس ، (ومازلت أسمع قديما عن الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، ولم أره منقولا ، أنه قال : من لم يتزوج بمصرية لم يكمل إحصانه(٥)) .

الثامن والعشرون : حلاوة لسانهم ، وكثرة ملقهم ومودتهم للناس ومحبتهم للغرباء ، ولين كلامهم لهم ، والإحسان إليهم ومساعدتهم لهم على قضاء حوائجهم ، وردظلاماتهم ، ونصرهم على من ظلمهم بحسب استطاعتهم ، وقوة عصبيتهم [لمن] أرادوا وإن كانوا فى باطل) .

التاسع والعشرون : عدم اعتراضهم على الناس ، فلا ينكرون عليهم ، ولا يحسدونهم ، ولايدافعونهم ، بل يسلمون لكل أحد حاله : العالم مشغول بعلمه ، والعابد بعبادته ، والعاصى بمعصيته ، وكل ذى صنعة بصنعته ولا يلتفت أحد إلى أحد ، ولا يلومه بسبب وقوعه فى معصية أو نقيصة .

(١) كذا فى الأصل ، ولعل الكلمة محرفة عن قح وهو الجافى .
(٢) جلفا : خشنا .
(٣) علاها : ارتفاعها مصدر علِى كرضى . (٤) فى (ب) « تمايلا » .
(٥) إحصانه : عفته

الخاتمة

فى ذكر ما استحسنته من منظوم ومنثور فى وصف مصر ونيلها ومحاسنها ومتنزهاتها وبركها وقصورها ومناظرها وغيطانها و بحرها ، (وهى قطرة من بحر) ، فمن ذلك قول الأقدمين (فيها ، شعر) :

أحن إلى الفسطاط شوقا و إننى * لأدعو لها إذ ما يحل بها القطر
وهل فى الحيا(١) من حاجة بجنانها * وفى كل قطر من جوانبها نهر ؟
تبدّت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

ومنه قول ابن نَباتة(٢) :

يا سارى البرق من آفاق مصر لقد * أذكرتنى من زمان النيل ما عذبا
حدث عن البحر أو دمعى ولا حرج * واتفل على النار أو قلبى ولا كذبا
واندب على الهرم الغربى لى عمرا * فحبذا هرم فارقته وصبا

وللقاضى شهاب الدين(٣) بن فضل [الله] العمرى :

ما مثل مصر فى زمان ربيعها * لصفاء ماء واعتدال نسيم
أقسمت ما تحوى البلاد نظيرها * لما نظرت إلى جمال وسيم

وله أيضا

لمصر فضل باهر * لعيشها الرغد النضر
فى كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

---

(١) الحيا : المطر ، وفى (جـ) لجنابها .

(٢) ابن نباتة : الشاعر المصرى هو جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد الفارقى (المتوفى سنة ٧٦٨ هـ) . ولد بميا فارقين ، ونشأ وتخرج فى مصر ، تفرد بلطف النظم وعذوبة اللفظ وجودة المعنى وغرابة المقصد وجزالة الكلام وانسجام التركيب ، ونثره غاية فى الفصاحة (وافى جـ ١ ص ٣١١ طبع استانبول سنة ١٩٣١) وقد ضبطه التاج نقلا عن شيوخه بفتح النون. سارى البرق : البرق السارى فى عرض السماء وفى «هرم» تورية .

(٣) هو شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) ، من رؤساء ديوان الإنشاء ، كاتب ، شاعر ، أجل آثاره كتاب : « ممالك الأبصار فى ممالك الأمصار » (ع ١ : ٢٥٤) . جمال وجه وسيم فى (ب) ، ولفظة وجه ساقطة من (ا) ، ووسيم : قرية بالجيزة على ضفة النيل الغربية ، وعلى ثلاثة فراسخ (٩ أميال) من مصر القديمة (ت : و س م) — والرغد أو الرغيد : الطيب الواسع ، والنضر : ذو الرونق والبهجة .

وقال[١] وقد بالغ فى المدح :

لعمرك ما مصر بمصر وإنما * هى الجنة العليا لمن يتفكر
فأولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وقال المعمار[٢] :

ما مصر الا منزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا ومغربا
هذا وإن كنتم على سفر به * فتيمموا منه صعيدا[٣] طيبا

(وللصفدى[٤] مفرد :

لم لا أهيم بمصر * وارتضيها واعشق)
وما ترى العين أحلى * من مائها إن تملق

وللصلاح الصفدى أيضا :

سقى سفح المقطم صوبُ مزنٍ * وان يحل فيكفى دمع جفنى
وحيا مصرَ عنى كلُّ غادٍ * وهل تَغْنَى بذلك مصر عنى
قرعت السن حين رحلت عنها * وليت لو انتفعت بقرع سنى
وأخرجنى القضا عنها فقل لى * شريتَ جهنما بجنان عدن
فيا قبح الذى أصبحت فيه * ويا حسن الذى قد راح عنى

---

(١) فى (ا) : وبالغ من قال ، وفى (ب) : وقال وقد بالغ فى المدح ، وهو الصواب لأن قائل هذين البيتين هو شهاب الدين المتقدم (خ ١ : ٦٣) ، ورواية المقريزى : بمصر بدلا من لمصر ، وفى سفح روض يلتقى بدلا من فى كل سفح يلتقى ، والخضر : الغض الطرى من النبات . وفى (ا) : والنهر كوثر ، وفى (جـ) والنيل كوثر .

(٢) هو إبراهيم الحائك ، غلام النويرى المصرى (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) ، عامى مطبوع له التوريات المليحة لا سيما فى الأزجال و البلاليق (فو : ٣٩) و (سح ١ : ٢٤٥)' والبلاليق : نوع يشبه الزجل (انظر الطالع السعيد للأدفوى) .

(٣) صعيداً طيباً : تراباً طاهراً .

(٤) هو صلاح الدين أبو الصفاء خليلُ بن أيبك الصفدى (المتوفى سنة ٧٦٤ هـ) ، كان من صدور العلماء المعدودين ، وفحول الشعراء ، متضلعاً فى الآداب ، عارفاً بالأخبار والآثار . والصوب : المطر بقدر ما ينفع ، والمزن : السحاب ، واحده مزنة .

ظافر الحداد[1] :

انظر إلى الروضة الغناء[2] والنيل * واسمع بدائع تشبيهى وتمثيلى
وانظر إلى البحر مجموعا ومفترقا * تراه أشبه شىء بالسراويل

في البريم يقول

لله يوم فى البريم قطعته * بمسرة دارت به أفلاكه
خرّت به أمواهه فتراقصت * طربا لحسن غنائه أسماكه[2]

وللوداعى[3]

(ارو بمصر وسكانها * شوقى وجدد عهدى البالى
وصف لى القرط وشنف به * سمعى وما العاطل كالحالى
وارو لنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن [عسال])

ابن الصائغ فى بركة الرطلى[4] :

فى أرض طبالتنا بركة * مدهشة للعين والعقل
ترجح فى ميزان عقلى على * كل بحار الأرض بالرطل

(وللبهاء زهير[5] من أبيات :

فرعى الله أرض مصر وحيا * ما مضى لى بمصر من أوقات

---

(١) هو أبو منصور ظافر بن القاسم الجروى الجذامى (المتوفى سنة ٥٢٨ هـ) ، من أهل الإسكندرية ومن الشعراء المجيدين ، وله ديوان شعر ، أكثره جيد (خر ٢ : ١) . (٢) الكثيرة الشجر ملتفته ، وفى (جـ : ١٤٣) الغراء ، ودامت به أفلاكه ، وجرت به أمواهه . (٣) الوداعى : على بن المظفر بن ابراهيم الكندى الوداعى (٦٤٠ — ٧١٦هـ) ، أديب ، شاعر ، عارف بالحديث والقراءات ، من أهل الإسكندرية ، له «التذكرة الكندية» ، وديوان شعر (ع ٥ : ١٧٤) . وهذه الأبيات ساقطة من (أ ، ب) ومذكورة فى (جـ : لوحة ١٤٣) ، وفى آخرها بياض اعتمدنا فى ملء مكانه على رواية (حل ٢٦١) .

(٤) هو موفق الدين أبو البقاء يعيش بن على (المتوفى سنة ٦٤٣ هـ) ، شهد أدباء دمشق له برسوخ القدم فى فنون الأدب ، والطبالة كانت فى مكان الفجالة ، وبركة الرطلى كانت بمنطقتها . وفى (أ ، ب) : بركة طبالنا بركة ، وفى (حل) : فى أرض طبالتنا بركة .

وعرفت هذه البركة ببركة الطوابين لأنه كان يعمل بها الطوب ، وكان فى شرقيها زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد ، فنسبت إليه (خ ٢ : ١٦٢) .

(٥) البهاء زهير : هو بهاء الدين أبو الفضل زهير بن محمد المهلبى (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) شعره غاية فى الرقة واللطف والوضوح والانسجام ، وهو السهل الممتنع .

البزاة : ضرب من الصقور يستخدم فى الصيد ، مفرده : البازى . الرقشاء : بها نقط بيض وسود . موات : مطاوع . الزفرات : جمع زفرة ، وهى إخراج النفس بعد مده . وفى (جـ : لوحة ١٤٣) :
« وليال بالحرة والجيزة فيما اشتهيت من لذات » بعد البيت الأول .

(وليـال بالحـرة والجـيزة فيها * اشـتهيت من لذات)
حبذا النيــل والمراكب فيـه * مصـعِدات بنـا ومنحدِراتِ
هاتِ زدنى من الحديث عن النيـ * ـل ودعنى من دِجلةٍ وفراتِ
بين روض حكى ظهور الطواويـ * ـس وجـوٍ حكى صدور البزاة
حيث مجرى الخليج كالحية الرقشاء * بين الرياضِ والجنــاتِ
ونــديم كما تحب ظـريف * وعلى كل ما تحـب مــوات
كل شيءٍ أردته فهــو فيــه * حسن الذات كامل الأدوات
يا زمـانى الذى مضى يا زمـانى * لك منى تـسواتر الزفـرات

عمر بن الوردى[1] :

يا نيل فاجرِ على حسن الفوائد فى * أرجاءِ مصرك وانفـع كل مرتزق
واعـلم بأنـك مِصرى فلست تُرَى * حلو الشمائل مالم تأت بالســلق[2]

القيراطى[3] (فى وصف نيل مصر) :

لنيــل مصر كمال فى زيــادته * وفضـله غـير مخـفى ومكتتم
إذا بدت لك من تياره شِيم * رأيتــه طاهر الأوصاف والشيم

(ابن الصائغ[4] :

أرض مصر فتــلك بأرضى * من كل فن لهـا فنون
ونيلها العــذب ذاك بحــر * ما نظرت مثــلَه العيون

ابن الصائغ[5] مضمنا :

لله يوم الوفا والناس قـد جمِعوا * كالروض يطفو على نهرٍ أزاهره
وللوفاء عمــود من أصابعـه * مخــلق تمــلأ الدنيا بشائره

(١) عمر بن الوردى : تقدم التعريف به .
(٢) الملق : ما استوى من الأرض ، والملقة : الصفاة الملساء ، أو الحجر العريض الأملس .
(٣) القيراطى : هو عبد الله بن محمد بن عسكر ... أبو محمد (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ) ، سمع من الدمياطى وابن دقيق العيد ، وقرأ الأصول على الباجى والجزرى ، والعربية على أبى حيان ، وله نظم وسط (درر ٢ : ٤٠٤) .
(٤) تقدمت ترجمته . وفى (ج : لوحة ١٤٤) : أرض مصر فتلك أرضى .
(٥) فى الأصل (ا) ابن الصاحب ، وفى (ج : لوحة ١٤٤) : ابن الصائغ .

ابن نباتة[1] :

رقت أصابع نيلنا * وطمت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى اياد

ابن أبى حجلة[2]

النيل قال وقوله * إذ قال ملء مسامعى
(فى غيظ من طلب العلا * عم البلاد منافعى)
وعيونهم بعد الوفا * ء قلعتها بأصابعى

وله أيضا رحمه الله

النيل فى ميعادنا ياصاحبى * من غير تكدير بقلب قد صفا
نشروا القلوع و بشروا بوفائه * فالراية البيضا عليه) بالوفا

وللصلاح[3] الصفدى (وكتب بها إلى بعض أصحابه بالديار المصرية يتشوق) لبركة الفيل

يابركة[4] الفيل كم لى فيك من وطر * وددت لو أشتريه فيك بالعمر
أفديك من بقعة فى الأرض أحسبها * ترد قول المعرى عند ذى النظر
(تطاول الافق فى حسن وتفضله * وتكشف الشهب ما فيها من الدرر)
يطل من كل دار حولها قمر * وليس للافق يا هذا سوى قمرِ
والماء مثل السما لونا وباطنه * يشف عن نيرات الأنجم الزهُرِ

---

(١) تقدم التعريف به . وفى (ج : لوحة ١٤٤) : وطفت وطافت . (٢) تقدمت ترجمته .

(٣) تقدم التعريف به . والوطر : البغية والمأرب . وفى (ج: لوحة ١٤٤) : إذا « سقاك أعطاك الحديث فما » . « وسعيا على الفج أو سعياً على الشعر » .

(٤) حينما وضع جوهر مدينة القاهرة كانت بركة الفيل تجاهها ، ولم يكن فى القديم عليها بنيان ، ثم عمر الناس حولها بعد الست مئة حتى صارت مساكنها أجل مساكن مصر كلها ، وكان ماء النيل يدخل إليها (خ ٢ : ١٦١ ، ١٦٢). وبركة الفيل: الأرض الممتدة فى شارع مراسينا إلى حى الحلمية، وسميت كذلك باسم مالكها « الفيل » أحد أصدقاء ابن طولون . وقيل كانت بركة ماء يسبح فيها فيل كبير ويخرج الناس لرؤيته .

قطعت فيها ليالى الأنس مع فئة * تعلم اللطف منهم نسمة السحر
قد أدبوا الدهر حتى لان جانبه * فراق ازرق فى الآصال والبكر
من كل من فاق فى فضل وفى أدب * فما تلفظ إلا جاء بالدرر
إذا سقاك وعاطاك الحديث فما * يحتاج فيه إلى الألحان الوتر
لو ساعدتنى الليالى زرت ساحتها * سعيا على الرأس أو سعيا على الشعر
أخبار سكانها فى الظن طيبة * فليت شعرى هل يدرون ما خبرى؟

(وللشيخ كمال الدين أبو الفضل جعفر الأدفوى صاحب " الطالع السعيد " [1] متشوقا إلى وطنه ، يقول :

أحن إلى أرض الصعيد وأهلها * ويزداد وجدى حين تبدو قبابها
وتذكرها فى ظلمة الليل مهجتى * فتجرى دموعى إذ يزيد التهابها
وما صعبت يوما على ملمة * وشاهدتها إلا وهانت صعابها
بلاد بها كان الشباب مساعدى * على نيل آمال عزيز طلابها
مواطن أهلى ثم صحبى وجيرتى * وأول أرض مس جلدى ترابها)

وقال غيره (فى نيل مصر)

إذا ما النيل حل بأرض مصر * وطاف بها وفتحت التراع
ترى فيها عجائب كل يوم * سماوات كواكبها الضياع

ابن أبى الوفا

رعى الله اياما أهاج بلا بلى [2] * إليهن روض قد تناجت بلابله
فما راقنى فى الماء الاصفاؤه * ولا شاقنى فى الغصن الاتمايله
كأن به القمرى صب له الصبا * رسول وأوراق الغصون رسائله
مصارف همى فى مناجاة طيره * إذا أنفدت لى ماحوته حواصله

---

(١) تقدم التعريف به . (٢) وفى (جـ : لوحة ١٤٥) «كأنما القمرى صب به الصبا». وفى (حل: ٢٨٢) « أهاج بلا بلى » بدلا من « أهاجت » ، « وكأن به » بدلا من « كأن بها » ، « وأنفذت » بدلا من « نفرت » . مع ملاحظة أن الفعل « هاج » ثلاثى متعد من غير همزة .

(فى بركة الرطلى[(١)])

بمصر لاهل اللهو والتيه بركة * تولع فيها بالحشيش أولو العقل
ويبلغ رِطلا كل من رام أرضها * ومن أجل هذا سميت بركة الرطلى

ابن النبيه[(٢)]

وروضةٍ وجنات الورد قد خجلت * فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت
تشاجر الطير فى أفنانها سحرا * ومالت القضب للتعنيق واصطلحت
والطل قد رش ثوب الدوح حين رأى * مجامر الزهر فى أذياله نفخت

ابن أيبك[(٣)]

وروضة ملأ الأكياس كأسهم * فيها وقد أفرغوا فى ذاك أكياسا
غصونها من سلافات النسيم غدت * تميل شكرا ولم ترفع لها راسا

القيراطى[(٤)]

وتشوقنى ألفات الروض مائلة * من النسيم سكارى وهى دالات
ولى من الورق فى أوراقها طرب * كأنهن على العيدان قينات

---

(١) تقدم تحديد موقعها .

(٢) ابن النبيه المصرى : هو كمال الدين أبو الحسن على بن محمد (المتوفى سنة ٦١٩ ﻫ) من مجيدى الشعراء ، وأكثر شعره فى مدح بنى أيوب ، وشعره سهل عذب رقيق ، وله أيضاً نثر لطيف أنيق . والرواية التى أثبتناها رواية (حل) ، أما الأصل (ا) و (ج : لوحة ١٤٥) ففيهما « والطير » بدلا من « والطل » و « القطر » فى مخطوطة خاصة فى مكتبة مصطفى السقا بقلم عبد الله باشا فكرى . والدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة . والمجامر جمع مجمر ، وهو الذى يوضع فيه الجمر مع البخور .

(٣) تقدم التعريف به . والأكياس ، جمع كيس ، وهم خيار الناس وعقلاؤهم ، والسلاف والسلافة أفضل الخمر وأخلصها . وفى (ج : لوحة ١٤٥) وكم أفرغوا .

(٤) والورق : جمع ورقاء ، وهى الحمامة ذات الطوق ، والقينات : جمع قينة ، وهى الجارية المغنية

الاسعد[١] (فى الخليج)

خليج كالحسام له صِقال * ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى مجره

ولأبى الفضل[٢] بن الخازندار ملغزا (فى النيل) شعر :

وخل صفاء زرته بعد هجعة * فألفيت شخصى فى هواه مصورا
وأودعته سرا فأفشاه للورى * فياحسن ما أفشى العداة وأظهرا
أبوه حليف للثريا وأمه * به حامل فى بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح * يسارى الرياح الجاريات إذا جرى
يدير عليه الريح ثوبا مقرطا * وتكسوه شهب الليل ثوبا مدنرا

وقد أورد صاحب هذا الكتاب الطريف[٣] للصاحب فخر الدين[٤] بن مكانس (قصيدة) . اشتملت على أكثر مفرحات مصر ، وهى مشهورة ، وأولها :

انعم صباحا فى ظلال السعد * واركب إلى المُزْل[٥] جواد الجد

وهى مطولة ، وقد اختصرناها فى هذا المجموع ، وفيما أوردناه كفاية والله أعلم .

---

(١) هو أسعد بن الخطير بن مهذب بن زكريا بن مماتى (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ) ، كان ناظراً للدواوين المصرية ، وله مصنفات عديدة وديوان شعر ، نظم سيرة السلطان صلاح الدين ، وكتاب كليلة ودمنة (خر ١ : ١٠٠) و (و ١ : ٦٨) . « وله صقال » : كان أملس مصقولا . والرواية التى أثبتناها رواية (خر ١ : ١٠١) و (جـ : لوحة ١٤٥) ، أما الأصل (ا) ففيه « للرائى مجرة » و « رأيت به الصغار » والمجرة : البياض المعترض فى الأفق والنسران من جانبيها ، وهما نجمان : أحدهما النسر الطائر ، والثانى النجم الواقع .

(٢) الهجعة : النومة الخفيفة من أول الليل . وفى (ب) «فياحسن ما أفشى العدو» . السطيح : الذى لا يقدر على القيام أو القعود لعلة . مدنرا : محلى بالدنانير ، ومقرطا : محلى بالأقراط ، وفى (ب) مدثرا .

(٣) فى الأصل (ا) الطريدة وفى (جـ) الطريف .

(٤) فخر الدين بن مكانس : هو عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس القبطى المصرى (المتوفى سنة ٧٩٤ هـ) ، تولع بالأدب ، فأخذ عن القيراطى وغيره ، وكان قوى الذهن ، حسن الذوق ، حاد البادرة ، ولى نظر الدولة وغيرها من المناصب بالقاهرة (در ٢ : ٤٣٨) .

(٥) فى (جـ) : « واركب إلى النيل جواد الجد : »

وللقيراطى فى زيادة النيل نثر :

وأما النيل فإنه زاد نيله ، وتراكم سيله ، ولازم المشوق ملازمة العاشق ، وقطع الطريق بكثرة مياهه ، وكاد يصل بارتفاعها إلى الطارق،[١] وشبك بالخمس أصابعه ، وأغار على ما هنالك من الضياع[٢] الثلاث والعدوية رابعة ، وتوجه إلى مصر فعم جهاتها وما خصص ، وأقام بدار النحاس[٣] ورصص ، وعقـدت خيامه بأذيال الجبال الطُّنُب[٤] ، وغسل بمـائه جاره الجنب[٥] ، وأذاق الشجر الأخضر ، من محمّر مائه الموت الأحمر .

وقال ابن نباته .

لا زالت مبشرة المنازل بكل مبهجة ، معطرة الأرجاء بكل سائرة أرجه[٦] ، ميسرة الأوقات لمقـدمى سماع وعيان كلتاهما للسار منتجه ، مستحضرة فى معانى الكرم بكل دقيقة تشهد حتى ببسطة النيل انها أرفع درجه ، وينهى بعـد ثناء ماء الروض بأعطر من شـذاه ، ولا ماء النيل وإن كرم وفاء بأجدى من جدواه ، وفاء النيل المبارك ، وحبذا من وفى موافى ، متغير المجرى وعيش البلاد به العيش الصافى ، ووارد يرد من بعد بعيد ، وجميل لا جرم أن مده ثابت ويزيده ، وجامد إذا تـدافع حيث تياره يقلد بره ودره من الأرض على كل جيـد ، وجائل إذا ذكر للخصب فى مكان عيده المشهود ألق السمع وهو شهيد ، فالبلاد جبرت بكسر خليجه ، واستقامت أحوالها بتعريجه وأثنت عليه بآلائه ، وسمت لون الأصهب على رغم الصهباء بأحسن أسمائه ، وجعلت ماءه قاهرا لهضبة كل سد ، ولم تسلطها على مائه ، وخلق فملأت الدنيا بشائر مخلقه وعلق ستره ، فزكا لونه التبرى على معلقـه ، وحدث عن البحـر ولا حرج ، وانعرج على البقاع فلذلك يلوى معصمه ، فلله أوقات اللوى والمنعرج ، واستقرت الرعايا آمنين ، آملين ،

(١) كوكب الصبح . (٢) العدوية : العدوية ، قرية بالجيزة قرب مصر القديمة وفى هذه العبارة تورية عن اسم الزاهدة المشهورة رابعة العدوية .

(٣) هى من الدور القديمة ، وقد دثرت ، وصار الخط يعرف بها ، وهو مطل على النيل ، اختطها وردان ، مولى عمرو بن العاص . (الفسطاط ليوسف أحمد ص ١٠١) . ورصص : ثبت .

(٤) الطنب : الحبل الذى تشد به الخيمة . (٥) البعيـــد .

(٦) ذات أريج أو رائحة طيبة . وقد سقط من (ج : لوحة ١٤٧) من « على كل جيد » إلى « بكاسات الجلنار أنامل غصونه » .

وقطع دابر الجدب حتى ظلمه فى هــذه الدولة القاهرة ، فقل الحمد لله رب العالمين ، والله تعالى يملأ له بالمسرات صدرا ، و يضع بعد له عن الرعية إصرا[١]، و يسرهم فى أيامه لكل وارد بقول الإحسان لمتحمله ، لوشئت لا تخذت عليه أجرا .

وقال القاضى محيي[٢] الدين بن عبد الظاهر مبشرا بوفاء النيل :

ولا برح برحمة الله و بفضله يستبشر ، ومن شكر على نعمه يديه يستكثر ، ولازال بأحسن تهانى الأمانى يختص ، و بأكمل ذخائر البشائر يستأثر .

صدرت هــذه المكاتبة بشرى إلى البلاد والعباد قد هديت ، والى الزهاد قد نسبت ، و بها كل أرض مجدبة قد اهتزت و ربت ، وذلك أن النيل المبارك قد أجاب داعيه ، و جاد ساعيه ، والأمة محتاجة ، و يعقــوب مدراجه واليوسفية تود لو قضت بالقضاء ما فى نفســه من حاجة ، وأحسن فى المآب من المــانع ، وأجمل ذراعه فى سد الذرائع[٣] ، وشهدت جنازة البخل حين حمل من زيادته على الأصابع ، وأخذ المقياس أهبة للخلوق[٤] ، وضمخ حتى لا ينم السحاب عليــه بشىء ولا بلمع البروق ، وراق للناس منظره الوسيم ، وأحسن ما كان النيل حين يروق ، وشاهد الناس من نخــار المقياس وعموده ما فات السحائب توطئة وتوطيدا ، وما أمسى به حين خلق فكان عليــه من شمس الضــحا نورا ومن فلق[٥] الصباح عمودا وكملت المسرة بكسر الخليج، الذى هو رحيق[٦] مصر المختوم ، وعقدها المنظوم، وطراز ملبسها المرقوم ،

---

(١) ثقلا وحملا .

(٢) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان المصرى محيى الدين (٦٢٠ – ٦٩٢ هـ) ، الكاتب الناظم الناثر ، شيخ أهل الترسل ، ومن سلك الطريقة الفاضلية فى إنشائه (و ا ف جـ ٦ ق ٢ لوحة ٤١) و (سح ١ : ٢٤٥) .

تنبيه : لم نجد أصلا للنصين الأخيرين فيما بين أيدينا من مراجع ، ولذلك نعتذر للقارىء عما وقع فى بعضهما من غموض .

(٣) الذرائع : جمع الذريعة ، وهى ما يستتر به الصائد ، والوسيلة .

(٤) الخلوق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران .

(٥) فلق الصباح : الفلق : الصبح ينشق من ظلمة الليل .

(٦) رحيق مصر المختوم : الرحيق : الخمر ، والخالص الصافى منها .

ومجرة سمائها التى كم بها من المراكب أبهى من نيرات النجوم، فليأخذ حظه من هذه البشرى، يستبشر بها السهول والحزون[١]، ويحقها لو كتبت الرياض بشائرها على الخدود بماء العيون، والله تعالى يحقق فى سعادته الظنون إن شا الله تعالى .

وقال ابن المعتز[٢] : فى زمن الربيع :

الأرض عروس مختالة فى حلل الأزهار، متوجة بأكاليل الأزهار، وشحة بمناطق الأنهار، والجو خاطب لها، قد جعل يشير بمخصرة[٣] البرق، ويتكلم بلسان الرعد، وينشر من الغيث أبدع تيار) .

(وقال غيره :

وحللنا موضع كذا فافترشنا من زهره أحسن بساط، واستظللنا من شجره بأوفى رواق[٤]، وطفقنا نتعاطى شموما[٥] من أكف بدور وحرور[٦] وجسوم نار فى غلائل[٧] نور؛ إلى أن جرى ذهب[٨] الأصيل على لجين[٩] الماء، ونشب نور الشفق فى فحمة[١٠] الظلماء) .

وقال ابن نباته من رسالة كتبها .

المملوك : ومنظر الروض قد شاق، ودمع العين قد رقا[١١]، ووجه الأرض قد راق، والغصون المنعطفة قد أرسلت هواء القلوب بالأوراق، وحمائمها المترنمة قد جذبت القلوب بالأطواق، والورد احمر خدّه الوسيم، وفككت أزراره من أجياد[١٢] القضب بأنامل النسيم، وخرجت كفه من أكمامه تأخذ البيعة على الأزهار بالتقديم .

---

(١) الحزون : جمع حزن، وهو من الأرض ما غلظ منها .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (المتوفى سنة ٢٩٦هـ)، أخذ الأدب عن أبى العباس المبرد، وأبى العباس ثعلب وغيرهما، وكان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً، قريب المأخذ سهل اللفظ، جيد القريحة، حسن الإبداع للمعانى، وله عدة مصنفات منها : كتاب البديع، وطبقات الشعراء، وغيرهما (و ١ : ٢٥٨ مطبعة الميمنية) .

(٣) المخصرة : العصا القصيرة . (٤) رواق البيت : مقدمه، ورواق الليل : مقدمه وجانبه .

(٥) الشموم : المسك . (٦) حرور : جمع حر .

(٧) جمع غلالة، وهى الثوب الرقيق يلبس على الجسم مباشرة .

(٨) الأصيل الشبيه بالذهب . (٩) الماء الشبيه بالفضة .

(١٠) الظلماء الشبيهة بالفحمة . (١١) رقأ الدمع : سكن وجف وانقطع بعد جريانه .

(١٢) أجياد القضب : أجياد : جمع جيد، وهو العنق، والقضب : كل شجرة طالت وبسطت أغصانها

وقال : يوم رفيق، وغيم رقيق ، وروض إذا تسلسل ماؤه المطلق تهلل وجهه الطليق، وإذا نحرت[(١)] القافية دماء الزقاق ، صارت أيامهم كلها تشريق[(٢)] ، وإذا خاط من الشرب[(٣)] ثياب سروره فاح من أوجه المسك العبيق[(٤)] .

وقال فى منزل قد انعطفت قدود أشجاره ، وابتسمت ثغور أزهاره ، ودب كافور مائه على عنبر طينه ، وامتدت بكاسات الجلنار أنامل غصونه ، والنسيم قد خفت واعتل، وسقط رداؤه[(٥)] الخفاق فى المـاء فابتل ، ووهنت قواه حتى ضعف عن السير، واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير .

وقال : كنا بمجلس أنس، فقال بعض الحاضرين : ورد الورد، وبان البان[(٦)]، فقال آخر بديها : ودنا الدن[(٧)] ، وحان الحان[(٨)] .

وقد قدمنا أن بعض الحكماء قال : من أراد أن ينظر إلى الجنة فلينظر إلى أرض مصر فى زمن الربيع قبل طلوع الشمس . وقال أبقراط : من لم يبتهج بالربيع وأزهاره ، ولم يستمتع ببرد نسيم أسحاره ، فهو فاسد المزاج ، محتاج إلى العلاج .

وكان المأمون يقول : أغلظ الناس طبعا من لم يكن فى الربيع ذا صبوة[(٩)] .

وكان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى[(١٠)] رحمه الله تعالى يقول : أطيب الزمان الربيع ، ومن أحسن أزهاره الورد ، وزيارته زيارة طيف فى ليل صيف .

وهذه قطرة من بحر .

---

(١) نحرت القافية دماء الزقاق أى حسن الشعر احتساء الخمر ، ودعا إليه .

(٢) تشريق : منع الماء عن الأرض حتى يشتد جفافها (فى لغة المصريين) .

(٣) الشرب: القوم يجتمعون على الشراب . (٤) العبيق: المنتشر الرائحة . (٥) ذراه: فى (ج) .

(٦) البان : ضرب من الشجر ، لين العود ، ورقه كورق الصفصاف، وقد سقط من (ج : لوحة ١٤٨) : «فقال بعض الحاضرين: ورد الورد وبان البان » . (٧) الدن: وعاء ضخم للخمر ونحوها .

(٨) الحان : مفرده حانة ، وهى المكان الذى يشرب فيه الخمر .

(٩) الصبوة : الميل إلى اللهو ، والحنين والتشوق . ويراد بها العشق .

(١٠) أبو الفرج بن الجوزى: هو عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى (٥٠٨ — ٥٩٧ هـ) علامة عصره فى التاريخ والحديث، له نحو ثلاث مئة مصنف منها « تلقيح فهوم أهل الآثار، فى مختصر السير والأخبار » (ع : ٤ : ٨٩) . والبيت : «إن تجد عيباً ... إلخ » ساقط من (ج : لوحة ١٤٨) .

ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والهداية إلى أقوم طريق وأن يتوب علينا من سوء أعمالنا ، وقبيح أفعالنا ومضلات آرائنا ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وبعباده لطيف خبير .

والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

تم المجموع المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه .

إن تجد عيبا فسد الخللا * جل من لا فيه عيب وعلا

(أ)

كشاف الأعلام

كشاف الأعلام

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(ب)

كشاف الكتب

كشاف الكتب

(ج)

كشاف المواضع والآثار

كشاف المواضع والآثار

(أ)

(ب)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ١٩٣/١٩٦٨؛ ٣٠٠٠/

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٢٠٦٦
١٩٦٩